دور المرأة في جهاد الإمام الحسن عليه السلام

تأليف

السيّد زيد الحلو

تقديم

مركز الإمام الحسن عليه السلام للدراسات التخصصية

رقم الإصدار: ٧

جميع حقوق الطبع والنشر محفوظة للمركز

العراق- النجف الأشرف
www.imamhassan.org
info@imamhassan.org
+964 7803358020

❖ **هوية الكتاب:**

اسم الكتاب..... دور المرأة في جهاد الإمام الحسن عليه السلام

المؤلِّف ..... السيّد زيد الحلو

الطبعة .....الأُولىٰ

سنة الطبع ١٤٣٧هـ/ ٢٠١٦م

الكمّية ..... ١٠٠٠ نسخة

الناشر..... مركز الإمام الحسن عليه السلام للدراسات التخصّصية

الإخراج الفنّي .....وحدة الإخراج الفنّي

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدّمة المركز:

بسم الله الرحمن الرحيم، والحمد لله ربِّ العالمين، والصلاة والسلام علىٰ أشرف الخلق أجمعين محمّد وآله الطيِّبين الطاهرين، واللعن الدائم علىٰ أعدائهم أجمعين إلىٰ قيام يوم الدين، آمين ربَّ العالمين.

أهل البيت عليهم السلام شخوصٌ نورانيَّة وأشخاصٌ ملكوتيَّة، منها ولأجلها وُجِدَ الكَوْن، وإليها حسابُ الخَلق، يتدفَّقون نوراً وينطقون حياةً، شفاههم رحمة وقلوبهم رأفة، وُضِعَ الخير بميزانهم فزانوه عدلاً، ونَمَت المعرفة علىٰ ربوع ألسنتهم فغذّوها حكمةً.

أنوارٌ هداة، قادةٌ سادات (**ينحدرُ عنهم السيل ولا يرقىٰ إليهم الطير**)، ألفوا الخَلق فألفوهم، تصطفُّ علىٰ أبوابهم أبناء آدم متعلِّمين مستنجدين سائلين، وبمغانمهم عائدين.

لا يُكرِهون أحداً علىٰ موالاتهم ولا يجبرون فرداً علىٰ اتِّباعهم، يُقيِّد حبُّهم كلَّ من استمع إليهم ويشغف قلبَ كلِّ من رآهم، منهجهم الحقُّ وطريقُهم الصدق وكلمتُهم العليا، هُم فوق ما نقول ودون ما يُقال من التأليه، هُم أنوار السماء وأوتاد الأرض.

والإمام الحسن المجتبىٰ عليه السلام هو أحد هذه الأسرار التي حار

الكثير في معناها وغفل البعض عن وجه الحكمة في قراراتها وباع آخرون دينهم بدنيا غيرهم فراحوا يُسطِّرون الكذب والافتراءات عليه والتي جاوز بعضها حدَّ العقل ولم يتجاوز حدَّ الحقد المنصبِّ علىٰ بيت الرسالة.

وقد اهتمَّ مركز الإمام الحسن عليه السلام للدراسات التخصّصية بكتابة البحوث والدراسات وتحقيق المخطوطات التي تُعنَىٰ بشأن الإمام الحسن المجتبىٰ عليه السلام ونشرها في كتب وكتيّبات بالإضافة إلىٰ نشرها علىٰ مواقع الانترنت وصفحات التواصل الاجتماعي التابعة للمركز.

بالإضافة إلىٰ النشاطات الثقافيَّة والإعلاميَّة الأُخرىٰ التي يقوم بها المركز من خلال نشر التصاميم الفنّية وإقامة مجالس العزاء وعقد المحاضرات والندوات والمسابقات العلميَّة والثقافيَّة التي تثرىٰ بفكر أهل البيت عليهم السلام وغيرها من توفيقات الله تعالىٰ لنا لخدمة الإمام المظلوم أبي محمّد الحسن المجتبىٰ عليه السلام.

وهذا الكتاب الذي بين يديك عزيزي القارئ هو أحد تلك الثمار التي أينعت والتي لا تهدف إلَّا إلىٰ بيان شخصيَّة الإمام الحسن المجتبىٰ عليه السلام بكلِّ أبعادها المضيئة ونواحيها المشرِقة، ولرفد المكتبة الإسلاميَّة ببحوث ودراسات عن شخصيَّة الإمام الحسن المجتبىٰ عليه السلام، ومن الله التوفيق والسداد.

العتبة الحسينية المقدَّسة

مركز الإمام الحسن عليه السلام للدراسات التخصّصية

كاظم الخرسان

الإهداء

إلىٰ السبط الزكيّ والحليم التقيّ..
والصابر الممتحَن..
قرَّة عين البتول عليها السلام..
وبكر أمير المؤمنين عليه السلام..
ووارث سؤدد وبهاء الرسول صلى الله عليه وآله..
أُهدي جهدي المتواضع..
راجياً منه القبول..

الراجي شفاعتك
زيد

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدّمة:

إنَّ دراسة سيرة المعصومين عليهم السلام تارةً تكون من خلال تسليط الضوء عليهم مباشرةً ودراسة وتحليل الأحداث والمواقف التي سايروها علىٰ امتداد حياتهم الشريفة الحافلة بالمعطيات الإنسانيَّة والإسلاميَّة التي مهَّدت لقيام الإسلام بدوره كقانون إلهيٍّ شرع في جميع مجالات الحياة، وأسَّسوا نظاماً تربويَّاً وخُلُقيَّاً وعلميَّاً كان كفيلاً ببناء مجتمعٍ ناضجٍ وفردٍ متكامل، فكان لمدرستهم الأثر الكبير في تخريج شخصيّات نشرت علومهم ومعارفهم علىٰ المستوىٰ العقديِّ والتشريعيِّ.

بل إنَّ تعاليمهم الدينيَّة كانت موجَّهة إلىٰ البشريَّة جمعاء، ولا ريب في ذلك فهم خلفاء الله علىٰ أرضه اجتباهم واختارهم لحمل هذه المسؤولية العظيمة؛ فكانت أُبوَّتهم الروحيَّة تغمر الجميع دون استثناء، فلم يكن لهم عدوّ إلَّا من عادىٰ الله تعالىٰ منتهجين منهج السلام والمحبَّة وقاعدة لا إفراط ولا تفريط، فأقرَّ لهم العدوّ قبل الصديق.

بل إنَّ كلماتهم النورانيَّة وسلوكهم القويم كان مدعاةً لجذب قلوب الناس نحوهم وتطهير نفوسهم بلمساتهم الإلهيَّة، ولكن

الـذين غلبـت شـقوتهم تربَّصـوا لأهـل البيـت مكائـد الغـدر والخيانـة للإطاحـة بسـنن الله؛ فللشـيطان أنصـاره كـما أنَّ لله أهلـه، ولكـنَّ الله مـتمُّ نوره ولو كره الكافرون.

وتـارةً تكـون مـن خـلال دراسـة سـيرة الشخصـيّات التـي ارتبطـت بهـم، وكـان لهـا دور في سـيرتهم الطـاهرة، فكـانوا جـزءاً مـن حـركتهم التبليغيَّـة، وقـد أدركـوا صـواب مـنهجهم وخلافـتهم الإلهيَّـة وأنَّهـم المُثُـل العليـا للبشـر والإسـلام، فأحـاطوا بهـم إحاطـة الـواعي المسـلِّم مستبسـلين في الـدفاع عـنهم مـن غـير أن تأخـذهم في الله لومـةُ لائـم ولا مكـر حاقـد، سـالكين سـبل الهدايـة والرشـاد، مغتنمـين فرصـة المعرفـة والإيـمان الحـقِّ للفـوز برضـا الله تعـالىٰ برضـا أوليائـه عـنهم، ولم يقتصـر هـذا الـدور عـلىٰ الرجـال فقـط فالخطـاب القـرآنيُّ كـان موجَّهـاً لكـلا الجنسـين دون اسـتثناء إلَّا مـا يخـصُّ كـلَّ جـنسٍ مـنهما بـما شرعـه تعالىٰ لهـم؛ فهـما شريكـان وجـزآن مكمِّـلان لبعضـهما لإقامـة الحيـاة عـلىٰ أسـاس الـدين الإسـلاميّ منـذ بـدء الرسـالة المحمَّديـة الخالـدة وإلىٰ يومنا هذا.

فلولا سيفُ عليٍّ وأموالُ خديجةَ لما قـام للإسـلام عـودٌ ولا اشـتدَّ لـه عمود، وكلٌّ بحسبه، وهنا تكمن عظمة الإسلام في توزيع الأدوار وتحميـل المسـؤوليّات عـلىٰ مقتضـىٰ مـا فـرض الله تعـالىٰ ومـا أعطـىٰ مـن قـوىٰ وإمكانات، وقد شهد التاريخ الإسلاميّ شخصيّات نسائيَّة رفيعة أصـبحت أُنموذجاً للاقتداء بهنَّ في بناء الكيان الإسلاميّ بكلِّ قوَّة وعزيمة.

* * *

تمهيد:

إنَّ مرحلة إمامة الإمام الحسن عليه السلام كانت من أخطر المراحل التي واجهت المجتمع الإسلامي ومن أكبر التحدّيات التي خاضها إمامنا أمام العصف الهائل من الفتن والشبهات التي أُثيرت حوله بآلات رخيصة لم يكن همّها إلَّا إنهاء روح الإسلام وإلباسه ثوب الملك والجبروت وتغيير نهج الإسلام الأصيل إلىٰ دين ملك وطبقيّات لينهض الإمام المجتبىٰ عليه السلام حاملاً إرثاً محمَّديَّاً علويَّاً فاطميَّاً بقلبٍ صدعته آلام ولوعة أُمَّةٍ ما حفظت لنبيِّها وصيَّة وجعلت جزاء الأجر ظلم القربىٰ.

فنهض بأعباء الإمامة وقد أحاطت به دوائر الغدر والشقاق، ولكن هذا لم يثنِ إمامنا عن القيام بتكليفه في نشر الرسالة وإثبات العدالة. ولم تخلُ ساحة الإمام من أنصارٍ أكفّاء حملوا هموم الإمامة ووطَّنوا أنفسهم للبلاء تيمُّناً بقادتهم؛ فبرزوا كالجبال الشاهقات، فتصاغرت أمامهم مخطَّطات الأُمويّين فعالجوا حربهم اللئيمة بولاءٍ أصيل وإيمانٍ عميق أرغم أُنوف الحاقدين، وجرَّعهم سوء أفعالهم غصصاً نكَّدت علىٰ أعداء الإمامة ملكهم العضوض، فداروا في فلك الإمامة متحصِّنين بدرع انتمائهم العقدي والمعرفي، قد أبطلوا حجج المشكّكين، وردّوا شبه المحتالين ببراهين واضحة وأدلَّة

دامغة، مستلهمين من مدرسة أهل البيت عليهم السلام براعة الحوار وفصاحة المقال؛ فبزغت نجومهم في سماء العقيدة، ولاحت أشعَّتهم في أُفق الحقيقة مبادرين إلىٰ إظهار المظلوميَّة وبيان أُصول الدين القيِّم.

قد بايعوا علىٰ بذل المُهَج وشراء الأنفس غير مبالين بأساليب التعسُّف والطغيان، ومن هؤلاء الأنصار الثابتين علىٰ الحقِّ نساءٌ طاهرات ونجائبُ مصونات آثرن نصرة الإمام الحسن عليه السلام علىٰ أنفسهنَّ وعلىٰ مدىٰ حقبٍ متفاوتة من الزمن، منهنَّ مَنْ أنجبت الإمام الحسن عليه السلام، وهي سيِّدة نساء العالمين فاطمة الزهراء عليها السلام، فكانت الأصل الذي أثمر الإمامة عاكفةً علىٰ ملء وجدانه بأنوارها القدسيَّة، قد أزهرت علىٰ محيّاه الشريف، متكنّيةً باسمه (أُمّ الحسن) رافدةً فرعها بشمم جدِّه وكبريائه محزونةً علىٰ مصيره المحتوم بكبدٍ مسموم.

ومنهنَّ كان لهنَّ أثرٌ في حركته المعصوميَّة، وهي ربيبةُ المجد والبهاء والعزَّة والكبرياء زينب الحوراء عليها السلام التي شاركت أخاها في مسيرة الحرب والسلام؛ فكانت عضده وسنده وحلقة الوصل بينه وبين الحسين عليه السلام، كما كانت أُمّها الطاهرة لجدِّها وأبيها.

وكان ممَّن شارك الإمام الحسن عليه السلام في محنة الإمامة عدَّة نساء، وكان لكلٍّ واحدةٍ منهنَّ أثرها ووظيفتها التكليفيَّة التي قامت بها علىٰ أكمل وجهٍ، وعلىٰ هذا الأساس كان يدور محور الكتاب الذي أسميناه (دور المرأة في جهاد الإمام الحسن عليه السلام) ممَّن كان لهنَّ

أثـرٌ إيجـابيٌّ وبصـمة ولائيَّـة سـجَّلتها في السـيرة التاريخيَّـة للإمـام الحسـن عليه السلام، سـواء كانـت هـذه المـرأة زوجـة أو بنتـاً أو مواليـةً، فكـنَّ نـماذج مشـرقة ومشـرِّفة في تـاريخ المـرأة المسـلمة أثبـتن بجـدارة وبكفـاءة عاليـة جلالـة قـدرهنَّ وسـلامة مـوقفهنَّ اعـتماداً عـلىٰ مـا جـاء مـن نصـوص تاريخيَّـة وإن كانـت محـدودة، إلَّا أنَّهـا كافيـة في اسـتجلاء الحقيقة وكشـف زيـف الباطـل، وإن كـان بالمقابـل نسـاء كـان وجـودهنَّ سـلبيَّاً في حيـاة الإمـام الحسـن عليه السلام، اخترنـا عـدم التعـرض لمـواقفهنَّ والاقتصار علىٰ سِيَر النساء المؤمنات فهو أنفع وأكمل في الفائدة.

وعليـه أضـع بـين يـدي القـارئ الكـريم جهـدي القـاصر، وهـو هـذا الكتـاب ليكـون منفـذاً لدراسـات أُخـرىٰ في مضـمار ولايـة أهـل البيت عليهم السلام التـي تتطلَّـب منّـا عمـلاً كثـيراً لتوعيـة المسـلمين عـلىٰ تـاريخ لم يُكتَـب بأيـدي منصـفة، داعيـاً الله تعـالىٰ الأخـذ بأيـدينا لأداء حـقِّ أئمَّتنا علينا، والحمد لله علىٰ ما أنعم أوَّلاً وآخراً.

زيد الحلو

الصدّيقة الطاهرة
فاطمة الزهراء عليها السلام

إنَّ الكلمات لَتقصر عن ذكر فاطمة عليها السلام، وإنَّ القلم لَيعجز عن الكتابة عنها، لا يعلم من أين يبدأ وإلىٰ أين ينتهي، فبضعة محمّد صلى الله عليه وآله لا تحويها سطورٌ ولا يليق بكيانها المقدَّس بعض العبارات المسبوكة، فسيِّدة النساء عطاءٌ لا ينضبُ ومظلوميَّةٌ لا تنتهي إلىٰ يوم الحساب، فكلُّ ما يُكتَب عنها هو ذرَّة رملٍ علىٰ ساحل بحرٍ كبيرٍ لا نُدرِك آفاقه، ولكن سنحاول التركيز علىٰ محورٍ من حياتها الشريفة، وهي علاقتها بولدها الإمام الحسن عليه السلام.

فاطمة عليها السلام أمّ أبيها:

إنَّ شخصيَّة الصدّيقة الطاهرة فاطمة عليها السلام ليست كإحدىٰ النساء، ولا كأحدٍ من الرجال؛ فإنَّ تكوين السيِّدة الزهراء عليها السلام كان بأمرٍ إلهيٍّ؛ فخصوص خلقة المعصومين تختلف من حيث الكمالات النفسانيَّة عن غيرهم وإن شابهوهم بالخِلقة الجسديَّة، إلَّا أنَّ الصفات الروحيَّة لهم ترتبط بتكوينهم المميَّز عن الآخرين بإرادةٍ ربّانيَّة، خصوصاً أنَّهم أوَّل خلق الله تعالىٰ، فقد خُلقوا من نوره تعالىٰ، وحباهم بأنفُسٍ ملكوتيَّة لا توجد عند سائر الناس، والمعبَّر عنها بالعصمة التكوينيَّة، وهي المائز بينهم وبين سائر البشر.

ومن المعلوم أنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله هو سيِّد الكائنات وأوَّل المخلوقات وأكمل الموجودات، جعله الله تعالىٰ حُجَّةً علىٰ الأنبياء، فضلاً عن الناس، بل هو العقل الذي أقبل وأدبر بأمره وإرادته عزَّ وجلَّ، وبه يُحاسَب ويُعاقَب، فكلُّ جُزءٍ من النبيِّ صلى الله عليه وآله هو حُجَّة قولاً وفعلاً وتقريراً.

وهذا هو حال البضعة فاطمة عليها السلام، التي هي جزءٌ لا يتجزَّأُ من كيان النبيِّ صلى الله عليه وآله؛ فكلُّ ما هو موجودٌ في الكلِّ موجودٌ في الجزء، فحملت فاطمة عليها السلام صفات وسجايا الرسول صلى الله عليه وآله، وكذلك الشبَه الخَلقي برسول الله صلى الله عليه وآله، فكانت السيِّدة فاطمة عليها السلام هي أفضل المخلوقات بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وأمير المؤمنين عليه السلام، بل إنَّها أصبحت حُجَّةً علىٰ أولادها، وهم حجج الله المعصومون عليهم السلام، والأحاديث والروايات في حقِّها كثيرةٌ ومتواترةٌ اتَّفق عليها الفريقان، فشخصيَّة السيِّدة الزهراء عليها السلام لا يختلف فيها اثنان، وقد تعدَّت شخصيَّتها العظيمة إطار المسلمين إلىٰ غيرهم من الديانات الأُخرىٰ التي تُكِنُّ للسيِّدة فاطمة عليها السلام فائق الاحترام والتقديس.

من ألقاب فاطمة الزهراء عليها السلام: أُمّ أبيها، وهي كنيةٌ غريبةٌ في شكلها ومضمونها، فكون البنوَّة تتحوَّل إلىٰ أُمومةٍ أمرٌ لا يُتصوَّر بالقوانين العقليَّة والطبيعيَّة، إلَّا أنَّ في هذه الكنية إرشاد إلىٰ المسلمين كافَّة علىٰ مكانة السيِّدة فاطمة عليها السلام مِنْ أبيها رسول الله صلى الله عليه وآله، والذي وجد عندها عليها السلام الحضن الدافئ للأُمِّ التي افتقدها رسول الله صلى الله عليه وآله منذ نعومة أظفاره. وفيه إشارةٌ أُخرىٰ إلىٰ أنَّ فاطمة عليها السلام

لها من احترام النبيِّ صلى الله عليه وآله ما يكون للابن مع أُمِّه، فكنية (أُمّ أبيها) لها من المعاني الكثيرة التي لا تكون إلَّا لفاطمة الزهراء عليها السلام؛ إجلالاً وشرفاً وتعريفاً بقدرها ومنزلتها ودرجتها الرفيعة من النبيِّ صلى الله عليه وآله.

وبالمقابل كانت علاقة فاطمة عليها السلام بأبيها علاقةً منقطعة النظير، وهي تمرُّ بالظروف نفسها من اليُتم الذي مرَّ به النبيُّ صلى الله عليه وآله، فكان الاثنان يستمدّان العاطفة والحنان من بعضهما، فصدر النبيِّ صلى الله عليه وآله الواسع كان الركن الأمين الذي تلجأ إليه فاطمة عليها السلام، لتشعر بالطمأنينة والاستقرار والهدوء، فتشمُّ فيه رائحة أُمِّها خديجة عليها السلام، وتقرأ في عينيه البرّاقتين حزنه عليها في وحدتها، فيُقبِّلها بزفراتٍ حارَّةٍ من قلبه الملتهب علىٰ ما سيجري عليها من ظلمٍ واستخفافٍ وأذىٰ.

أنوار الزهراء عليها السلام:

أحد أشهر ألقاب السيِّدة فاطمة عليها السلام هو (الزهراء)، وهي صفةٌ ملازمةٌ لها، لإشراقات وجهها البهيِّ الذي كان يشعُّ بأنوار الله علىٰ أرجاء المدينة، فيستنيرون بنورها في ظلمات قلوبهم وبيوتهم.

فالسيِّدة فاطمة عليها السلام عُرِفَت بعبادتها وتقرُّبها إلىٰ الله تعالىٰ بالصلاة والصيام والدعاء، وإغاثةِ الملهوف والتصدُّق علىٰ المساكين، وكانت عند صَلاتها في المحراب تشعُّ أنوارُها في أرجاء المدينة، فعن أبان بن تغلب قال: قلتُ لأبي عبد الله عليه السلام: يا ابن رسول الله، لِمَ سُمّيت الزهراء عليها السلام زهراءً؟ فقال: «**لأنَّها تزهر لأمير المؤمنين عليه السلام في النهار ثلاث مرَّاتٍ بالنور، كان يزهر نور**

وجهها صلاة الغداة والناس في قُرُشهم، فيدخل بياض ذلك النور إلىٰ حجراتهم بالمدينة فتبيضُّ حيطانهم، فيعجبون من ذلك، فيأتون النبيَّ صلى الله عليه وآله فيسألونه عمَّا رأوا، فيُرسِلهم إلىٰ منزل فاطمة عليها السلام، فيأتون منزلها فيرونها قاعدةً في محرابها تُصلّي والنور يسطع من محرابها من وجهها، فيعلمون أنَّ الذي رأوه كان من نور فاطمة، فإذا نصف النهار وترتَّبت للصلاة زهر وجهها عليها السلام بالصفرة، فيعلمون أنَّ الذي رأوا كان من نور وجهها، فإذا كان آخر النهار وغربت الشمس احمرَّ وجه فاطمة عليها السلام، فأشرق وجهها بالحمرة فرحاً وشكراً لله عزوجل، فكان يدخل حمرة وجهها حُجرات القوم وتحمرُّ حيطانهم، فيعجبون من ذلك، ويأتون النبيَّ صلى الله عليه وآله ويسألونه عن ذلك، فيُرسِلهم إلىٰ منزل فاطمة، فيرونها جالسةً تُسبِّح الله وتُمجِّده ونور وجهها يزهر بالحمرة، فيعلمون أنَّ الذي رأوا كان من نور وجه فاطمة عليها السلام، فلم يزل ذلك النور في وجهها حتَّىٰ وُلِدَ الحسين عليه السلام، فهو ينقلب في وجوهنا إلىٰ يوم القيامة في الأئمَّة منّا أهل البيت، إمامٍ بعد إمام»[1].

إن بركات الزهراء عليها السلام وإشراقاتها كانت تعمُّ الجميع دون استثناء؛ فهي باب الرحمة ومنفذ الأنوار ومظهر اللطف الإلهيِّ الذي عمَّ نواله البعيد والقريب والمخالف والمؤالف، فيكون حجَّةً فاطميَّةً عليهم، إضافةً إلىٰ حججها النقليَّة والعقليَّة.

---

(١) علل الشرائع/ الصدوق ١: ١٨٠/ الباب ١٤٣ العلَّة التي من أجلها سُمّيت فاطمة الزهراء عليها السلام زهراءً/ ح ٢، عنه بحار الأنوار/ المجلسي ٤٣: ١١/ الباب ٢/ ح ٢.

تسبيح فاطمة عليها السلام:

من الرحمة التي حبانا بها الله _ وهو الرحمن الرحيم _ أنْ علَّمَنا علىٰ لسان أوليائه تسابيح النور التي تُفتَح بها أبواب السماء فيُستجاب الدعاء، ومِنْ أهمِّ العبادات المستحبَّة المؤكَّدة تسبيح فاطمة الزهراء عليها السلام، فما عُبِدَ الله بشيءٍ من التحميد أفضل من تسبيح الزهراء عليها السلام[1].

وعن أبي الورد بن ثمامة، عن عليٍّ عليه السلام أنَّه قال لرجلٍ من بني سعد: «**ألَا أُحدِّثك عنّي وعن فاطمة! إنَّها كانت عندي، وكانت من أحبّ أهله إليه، وإنَّها استقت بالقربة حتَّىٰ أثَّر في صدرها، وطحنت بالرحىٰ حتَّىٰ مَجِلَت يدها[2]، وكسحت البيت حتَّىٰ غبرت ثيابها، وأوقدت النار تحت القِدر حتَّىٰ دكنت ثيابها[3]، فأصابها من ذلك ضررٌ شديد، فقلتُ لها: لو أتيتِ أباكِ فسألتيه خادماً يكفيكِ هو ما أنتِ فيه من هذا العمل. فأتت النبيَّ صلى الله عليه وآله فوجدت عنده حُدَّاثاً، فاستحت وانصرفت، فعلم النبيُّ صلى الله عليه وآله أنَّها جاءت لحاجة، فغَدا**

---

(١) الكافي/ الكليني ٣: ٣٤٣/ باب التعقيب بعد الصلاة والدعاء/ ح ١٤.

(٢) قال الطريحي: في حديث فاطمة عليها السلام: «طحنت بالرحاء حتَّىٰ مجلت يداها»، هو من قولهم: مجلت يده - كنَصَر وفَرِح، تمجل مجلاً -: إذا ثخن جلدها وتعجَّز وظهر فيها ما يشبه البثر من العمل بالأشياء الصلبة الخشنة. (مجمع البحرين/ الطريحي ٥: ٤٧٢/ مادَّة مجل).

(٣) قال الطريحي: في الحديث: «أوقدَت فاطمة عليها السلام القِدر حتَّىٰ دكنت ثيابها»، أي: اغبرَّت، يُقال: دكن الثوب دكناً - من باب تَعِبَ -: مال إلىٰ الغُبرة، وهو بين الحمرة والسواد، ومنه ثوبٌ أدكن. (مجمع البحرين/ الطريحي ٦: ٢٤٧/ مادَّة دَكَن).

علينا ونحن في لفاعنا[١]، فقال: السلام عليكم يا أهل اللفاع. فسكتنا واستحيينا لمكاننا، ثمّ قال: السلام عليكم. فخشينا إنْ لم نردّ عليه أن ينصرف، وقد كان يفعل ذلك يُسلِّم ثلاثاً فإن أُذِنَ له وإلّا انصرف، فقلت: وعليك السلام يا رسول الله، أُدْخُل. فلم يعد أن جلس عند رؤوسنا، فقال: يا فاطمة، ما كانت حاجتكِ أمس عند محمّد؟ فخشيتُ إنْ لم نُجبه أن يقوم، فأخرجتُ رأسي فقلت: أنا والله أُخبرك يا رسول الله: إنَّها استقَت بالقربة حتَّىٰ أثَّر في صدرها، وجرَّت بالرحىٰ حتَّىٰ مجلت يداها، وكسحت البيت حتَّىٰ اغبرَّت ثيابها، وأوقدت تحت القِدر حتَّىٰ دكنت ثيابها، فقلتُ لها: لو أتيتِ أباكِ فسألتيه خادماً يكفيكِ هو ما أنتِ فيه من هذا العمل. قال: أفلا أُعلِّمكما ما هو خيرٌ لكما من الخادم؟ إذا أخذتُما منامكما فسبِّحا ثلاثاً وثلاثين، واحمدا ثلاثاً وثلاثين، وكبِّراً أربعا وثلاثين. فأخرجَت فاطمة رأسها فقالت: رضيتُ عن الله ورسوله، ورضيتُ عن الله ورسوله، ورضيتُ عن الله ورسوله»[٢].

تحتوي هذه الرواية الشريفة علىٰ عدَّة مضامين عالية ونفيسة، بل فيها دروسٌ تربويَّةٌ قيِّمة، علىٰ كلِّ مسلم الاستفادة منها، لما قدَّمَت من أدبيّات المعاملة الأُسريَّة وحفظ مكانة كلِّ شخصٍ فيها، وما أهل البيت عليهم السلام إلَّا المَثل الأعلىٰ والقدوة في أقوالنا وأفعالنا،

---

(١) اللِّفاع: خمارٌ للمرأة يستر رأسها وصدرها، والمرأة تتلفَّع به. (العين/ الفراهيدي ٢: ١٤٦/ مادَّة لَفَع)، وهو اللحاف أيضاً، وتلفَّع الرجل الثوب إذا اشتمل به وتغطّىٰ. (مجمع البحرين/ الطريحي ٤: ٣٨٧/ مادَّة لَفَع).

(٢) علل الشرائع/ الصدوق ٢: ٣٦٦/ الباب ٨٨ علَّة تسبيح فاطمة عليها السلام/ ح ١.

نستوحي منهم مكارم الأخلاق والقيَم الإنسانيَّة والتربويَّة منهجاً للحياة.

ومن إرشادات هذه الرواية أيضاً أنَّ العمل الجسديّ مهما كان مُضنياً ومُتعباً فيمكن تحمّله ومعالجته ببعض الراحة، إلَّا أنَّ الروح وتقويمها هو البحث الأساسيّ للإنسان الباحث عن الكمالات، فتعليم النبيّ صلى الله عليه وآله هذا التسبيح للزهراء عليها السلام هو لتحويل الأنظار والتنبيه على المعالجات الروحيَّة للنهوض بأنفسنا عن المادّيات المستوعبة لمفاصل حياتنا، ومحاولة التركيز على الجهد النفسيّ بإزاء الجهد الجسديّ لموازنة الإنسان المسلم في حياته الدنيا، فهو درسٌ لنا بأنَّ العبادة بتسبيح الزهراء عليها السلام هو ترقٍّ في درجات القرب الإلهيِّ وتعزيز نفوسنا بعالم الغَيب الذي يحرص الإسلام على توجيهنا إليه، فهو عالم القوىٰ الإلهيَّة التي هي خارج إطار التصوّر الإنسانيِّ.

البيت الفاطمي:

في مثل هذه الأجواء والسلوك النبويِّ نشأت عائلة فاطمة عليها السلام المطهَّرة من الرجس، تحت كساء خاتم الأنبياء، فجعلهم رحمةً للعالمين ومنهاجاً للصالحين، فكانت الولادة الميمونة لأوَّل سبطٍ لرسول الله صلى الله عليه وآله وبِكر عليٍّ عليه السلام وقُرَّة عين فاطمة عليها السلام الإمام الحسن المجتبىٰ عليه السلام، فيُنير بيتُ فاطمة بنورٍ جديدٍ أضفىٰ على البيت لمسةً جميلةً، فهو المولود الأوَّل لالتقاء الفرعين المباركين: عليٍّ وفاطمة، وفي أيّام شهر رمضان المبارك شهر الله وُلِدَ وليُّ الله وريحانة رسوله والإمام الثاني أبو محمّد الحسن عليه السلام، في ليلة الخامس عشر

من شهر رمضان وضعت فاطمة عليها السلام وليدها وسط فرح وسرور النبيِّ والوصيِّ، ومن الوهلة الأُولىٰ التي رأت فيها فاطمةُ مولودها ابتهجت ابتهاجاً شديداً، وبعد إخبار النبيِّ صلى الله عليه وآله بولادة بضعته الزهراء أقبل مُسرعاً ليشهد حضور السيِّد الزكيِّ، وليكون مُشرفاً علىٰ إجراء مراسيم الولادة، من الأذان والإقامة والتسمية والتحنيك، في جوٍّ من الأُنس والاستبشار، فتدفع أسماء بنت عُمَيس الوليد المبارك إلىٰ جدِّه، فينظر إليه نظرةً سعيدةً ممزوجةً بالحزن لما سيقع عليه من ظلم ومآسٍ، ثمّ يسأل عليّاً: ما سمَّيتَه؟ فيردُّ عليٌّ عليه السلام: ما كنتُ لأسبقك في تسميته يا رسول الله! فيُجيب النبيُّ صلى الله عليه وآله: وما كنتُ لأسبق ربّي في تسميته. فيهبط جبرئيل علىٰ النبيِّ صلى الله عليه وآله مبارِكاً له من الله تعالىٰ، وداعياً النبيَّ إلىٰ تسميته باسم ابن هارون؛ فعليٌّ بمنزلة هارون من موسىٰ.. ولكنَّ النبيَّ يستدرك أنَّ ابن هارون كان اسمه شُبَّراً، وهو اسمٌ عبراني، غير عربي! فقال جبرئيل عن الله تعالىٰ: سَمِّه (حسناً). فكانت تسمية الإمام عليه السلام من قِبَل الله تعالىٰ عِزّاً وكرامةً لهذا الابن الذي سيحمل أعباء جدِّه وأبيه، وسيجري عليه ما جرىٰ من القوم الظالمين.

فتعيش الزهراء عليها السلام أجمل لحظاتها مع ابنها الحسن عليه السلام، تُناغيه في مهده وتلاعبه، وتبصر إشراقاته الملكوتيَّة تشعُّ في حناياها وقد أصبح بيتها مزهوّاً بنغمات طفلها التي ملأت أركان البيت وأعنان السماء، فيسرُّ الملأُ الأعلىٰ بسرور فاطمة عليها السلام.

ثمّ بعد عامٍ من ولادة الحسن عليه السلام يستقبل بيتها المتواضع

مولوداً غيَّر ملامح الكون، فشابت ضحكات الفرح نبرات الحزن، فهذا الوليد الذي استقبل الدنيا بحشرجات الحناجر ونبضات القلوب المتسارعة من بدء العدّ التنازليّ لفاجعة الدهر، إنَّه السبط الثاني المعزّىٰ بولادته، الحسين عليه السلام..

فيزدان بيت فاطمة بنورَيها، مستأنِسةً علىٰ وقع أقدامهم عند اللعب، وابتساماتهم المورقة بالحبِّ والأمل في ظلِّ جدِّهم صاحب الرسالة.

وبأيّام متسارعة كأنَّها تجدُّ في مسيرها نحو البلاء، تولد زينب عليها السلام، زهرةٌ فوّاحةٌ عطَّرت بيت فاطمة بشذاها وعبقها، بأحداثٍ وصور مشابِهة لولادة أخوَيها الحسنين عليهما السلام، فيتَّسع البيت وتزداد مروجه وأريجه.

أُسرةٌ ليست كباقي الأُسَر، وعائلةٌ فيها لمسات الرحمان تُبدي ألقها وتوهّجها، فيمتدُّ إلىٰ كلِّ أرجاء المدينة المنوَّرة، والنبيُّ صلى الله عليه وآله يرىٰ معالم الرسالة تكتمل، وبلاغات الإسلام قد تمَّت، فيطمئنُّ بتمام النعمة، مع وجود هذه القرابين الخالدة التي ستحفظ لله دينه الذي أراد، فما هم إلَّا مشاريع الوحي ومصابيح الهداية!

الأمّ وابنها:

من طبيعة الإنسان إذا كان له ذرّية أن يكون المولود الأوَّل له خصوصيَّةٌ وميزة علىٰ أقرانه، فهو النبعة الأُولىٰ التي زادت من ترابط الأبوين وقوَّت وشائج الأُسرة، والنظرة إليه هي نظرة الوارث والخليفة لهم علىٰ تراثهم وهويَّتهم.. هكذا كانت نظرة الزهراء عليها السلام

إلىٰ الإمام الحسن عليه السلام الذي زاد من حُبِّه في قلبها صفاته التي شابهت صفات أبيها، فكان له حبّان: حبُّ شبهه بجدِّه النبيِّ صلى الله عليه وآله، وحبٌّ لذاته المعصوميَّة.

النبيُّ صلى الله عليه وآله يوصي ابنته أن لا ترضعه، ولكنَّ رقَّة الأُمومة لم تُبقِ لفاطمة من سبيلٍ لإرضاعه!

قالت برة ابنة أُميَّة الخزاعي: لـمَّا حملَت فاطمة بالحسن، خرج النبيُّ في بعض وجوهه، فقال لها: «**إنَّكِ ستلدين غلاماً قد هنَّأني به جبرئيل، فلا تُرضعيه حتَّىٰ أصير إليكِ!**». فدخلتُ علىٰ فاطمة حين ولدت الحسن عليه السلام وله ثلاثٌ ما أرضعَته، فقلتُ لها: أعطينيه حتَّىٰ أُرضعه، فقالت: «**كلَّا**»، ثمّ أدركتها رقَّة الأُمّهات، فأرضعَته، فلـمَّا جاء النبيُّ صلى الله عليه وآله قال لها: «**ماذا صنعتِ؟**»، قالت: «**أدركَتني عليه رقَّةُ الأُمّهات فأرضعتُه**»، فقال: «**أبىٰ الله عزّ وجلّ إلَّا ما أراد**»[1].

فعلاقة الأُمِّ بابنها كانت سبباً لأن يُجري الله الأُمور بأسبابها، فتكون ميراث الإمامة للحسين عليه السلام دون الحسن عليه السلام.

في ربيع البيت الفاطميِّ تنتشر رياحين الجمال والجلال،

---

(١) مناقب آل أبي طالب/ ابن شهرآشوب ٣: ٢٠٩/ باب إمامة أبي عبد الله الحسين عليه السلام، وفيه: فلمَّا حملَت بالحسين قال لها: «يا فاطمة، إنَّكِ ستلدين غلاماً قد هنَّأني به جبرئيل، فلا تُرضعيه حتَّىٰ أجيء إليكِ ولو أقمتُ شهراً!»، قالت: «أفعلُ ذلك». وخرج رسول الله في بعض وجوهه، فولدت فاطمةُ الحسين عليه السلام، فما أرضعَته حتَّىٰ جاء رسول الله، فقال لها: «ماذا صنعتِ؟»، قالت: «ما أرضعتُه». فأخذه، فجعل لسانه في فمه، فجعل الحسين يمصُّ حتَّىٰ قال النبيُّ صلى الله عليه وآله: «إيهاً حسين، إيهاً حسين»، ثمّ قال: «أبىٰ الله إلَّا ما يُريد، هي فيك وفي وُلدك»، يعني الإمامة.

فتخضـرُّ أغصـان فاطمـة اليانعـة، فتشـمُّ ثمرتهـا الطيِّبـة بعطـر التفّاحـة التـي وهبهـا الله إلىٰ نبيِّـه مـن الجنَّـة، فسـرىٰ عطرهـا في أبنائهـا بعـين الرعاية والمحبَّة، تُرقِّص[1] فاطمة حسنها وتقول:

أشـبِهْ أبـاك يـا حسـنْ واخلَـعْ عـن الحـقّ الرسـنْ[2]

واعبـد إلهـاً ذا مِـنَنْ ولا تـوالِ ذا الإحَـنْ[3][4]

فـنلاحظ أنَّ التربيـة الفاطميَّـة حتَّـىٰ في طريقـة مؤانسـتها ومـداعبتها لصـبيها تُطبِّـق برنامجـاً مسـتقبليّاً بالسـخاء والجـود وإظهـار الأسرار الكامنـة عنـده، وهـو تخطـيطٌ لنـا في ممارسـة التربيـة الصـحيحة المبنيَّة علىٰ أساسٍ من العلم والتقوىٰ والإيمان.

عاشـت فاطمـة وأبناؤهـا شـظف العـيش وقلَّـة المؤونـة، فلـم يتعـدّ حـالهم حـال الفقـراء في المدينـة، حتَّـىٰ إذا حـلَّ العيـد لم تجـد مـا تُفـرِّح بـه أبنـاء رسـول الله مـن ثيـابٍ جديـدة، مُواعـدةً إيّاهمـا بثيـابٍ جديـدةٍ عنـد الخيّاط، وقـد عـزَّ عليهـا طلـبهما، وبحلـول الظـلام تُقـرَع البـاب، فتُجيـب فاطمـة: «**مَـنْ هـذا؟**»، فـيردُّ عليهـا: أنـا الخيّـاط، جئـتُ بالثيـاب! فتفـتح البـاب، فـإذا رجـلٌ ومعـه مـن لبـاس العيـد، قالـت فاطمـة: «**والله لم أرَ رجـلاً أهيـب سـيمةً منـه**». فناولهـا منـديلاً مشـدوداً، ثـمّ انصـرَف،

---

(١) لا يخفىٰ أنَّ التعبير بـ (تُرقِّص) هو تعبير الراوي.

(٢) الرَّسَـن: الحبـل. (لسـان العـرب/ ابـن منظـور ١٣: ١٨٠؛ مجمـع البحـرين/ الطريحـي ٦: ٢٥٥/ مادَّة رَسَن).

(٣) الإحَـن: جمـع إحنـة، وهـي الحقـد في الصـدر. (لسـان العـرب ١٣: ٨؛ مجمـع البحـرين ٦: ١٩٨/ مادَّة إحَن).

(٤) مناقب آل أبي طالب/ ابن شهرآشوب ٣: ١٥٩/ باب إمامة السبطين.

فدخلَت فاطمة عليها السلام ففتحت المنديل، فإذا فيه قميصان ودرّاعتان وسروالان ورداءان وعمامتان وخفّان أسودان معقبان بحُمرة، فبادرت فاطمة فَرِحةً مسرورةً، وأيقظت ولديها المكسورين وألبستهما، ودخل رسول الله صلى الله عليه وآله وهما مزيَّنان، فحملهما وقبَّلهما، ثمّ قال: «**رأيتِ الخيّاط؟**»، قالت: «**نعم يا رسول الله، والذي أنفذته من الثياب**»، قال: «**يا بُنيَّة، ما هو خيّاط، إنَّما هو رضوان خازن الجنَّة**»[1].

تُظهر هذه الرواية حميميَّة العلاقة بين فاطمة ووَلديها، كأيِّ أُمٍّ مشغوفةٍ بأُسرتها في تلبية حاجاتهم وسدِّ عوزهم، فبساطة الحياة التي كان يعيشها أهل البيت عليهم السلام عكست على المجتمع آنذاك حقيقة الإسلام والذي يجب أن يكون عليه قادة الأُمَّة، فهم يتساوون مع أدنىٰ طبقات المجتمع مادّياً من غير أن يكون منقصة لشأنهم ولا مدعاة لغلق أبوابهم أمام الفقراء والمساكين، بل يتقاسمون معهم لقمة الطعام، بل يُؤثِرون الآخَرين علىٰ أنفسهم، وهم سادات الخلق، والكون كلّه مسخَّرٌ لهم، لكنَّهم أبوا إلَّا تعليمنا وتربيتنا علىٰ سبل التكيّف مع الواقع الذي يعيشه الإنسان المسلم في محيطه الاجتماعي، وهو أرقىٰ ما تجود به الإنسانيَّة في مراحلها التكوينيَّة البشريَّة. فما أشدّ حاجتنا للرجوع إلىٰ مكارم الأخلاق هذه، وأريحيَّة التعامل مع الذات بشفافيةٍ ومرونةٍ، لتنتج فرداً خلوقاً سليماً من الأمراض التي تصيب النفس من تشنّجاتها الشيطانيَّة، وتكفينا إطلالةٌ واحدة علىٰ المنهج الفاطميِّ لتصحيح مسارنا التربويِّ

(١) بحار الأنوار/ المجلسي ٤٣: ٢٨٩.

والـديني، والتحليـق في سـماء الصـفاء والنقـاء الـذي صـنعه أهـل البيت عليهم السلام لنا.

وتمضـي الأيّـام بأحـداثها وتـداعياتها، فيُفـارق النبـيُّ صلى الله عليه وآله عـالم الـدنيا، ملتحقـاً بـالرفيق الأعـلىٰ، مخلِّفـاً في أُمَّتـه الثقلـين، مـن غـير أن يطلب عـلىٰ تبليغـه أجـراً سـوىٰ المـودَّة في قربـاه، ولكـنَّهم مـا راعـوا ومـا صـانوا وصـيَّة نبـيِّهم بنصـرة آلـه، فيُنكِّـل بهـم ويُسـتحوَذ عـلىٰ حقِّهـم الـذي كتبـه الله لهـم. ولم تقـف أحقـادهم إلىٰ هـذا الحـدّ، بـل حـاولوا طمـس الإسـلام وتحريـف القـرآن، والطعـن بنبوَّتـه بسـدِّ ذرائـع الولايـة وتكميـم الأفـواه بـالنطق بالهدايـة، فجـرَّت هـذه العصـابة الـويلات عـلىٰ المسـلمين، وعـلىٰ رأسـهم فاطمـة وبعلهـا وبنوهـا، فجرَّعـوهم نغـب الـتهام أنفاسـاً، فـيكظم عـليٌّ غيظـه بوصـيَّةٍ كبَّلتـه ورعيَّـةٍ أمسـكته، فالإسلام غضٌّ والمخاطر جمَّةٌ.

وقد حان الفراق:

عـاش الإمـام الحسـن عليه السلام محنـة تقصـير الأُمَّـة عـن نصـرة حـقٍّ قـد سُـلِبَ ومنصـبٍ قـد طُلِـبَ، فضُـربَت علـيهم الذلَّـة والمسـكنة، فيـزداد هـمُّ الإمـام الحسـن عليه السلام وهـو يجـاري ويـلات أُمِّـه فاطمـة عليها السلام فلـذة محمّـد صلى الله عليه وآله في سـنِّها الثـامن عشـر، تُقـاسي أبشـع إجـراءات التعسّـف والتهمـيش، وهـي مَـنْ قـد عرفـوا، فيهـبُّ أنصـار الإمامـة _ عـلىٰ قلَّـتهم _ مستنهضـين همـم النـاس، مُـرجِعين إيّـاهم إلىٰ الصـواب وإلىٰ خلافـة أبي الحسـن عليه السلام، مـع حفـظ مـيراث فاطمـة المسـلوب،

ولكن لا أُذُن تسمع ولا عقل يخضع، يجولون ويصولون، فيأتي جواب المناوئين بالاعتداء الأثيم علىٰ بيت النبوَّة ومعدن الرسالة ومختلَف الملائكة، فيسومونهم سوء العناد والمخالفة بجفاءٍ شديد، وخُلُقٍ مريد، فتبرز أحقادهم وتطفو غلظتهم علىٰ الدين وأهله، بعد احتجاج الزهراء عليها السلام عليهم ومقاطعتها إيّاهم، إيذاناً بغضبٍ من الله علىٰ القوم الكافرين.

ما أقسىٰ ما عانيتَ يا أبا محمّد مِنْ إيذاء أُمِّك الزهراء عليها السلام، واستصغار شأنها، وغصب حقِّها، وهي تلوذ بذكرىٰ أبيها المحامي والناصر، ولكن لا ناصر لها اليوم، وما أشدّ ما سمعتَ من نبرات اللؤم والتشفّي التي كسروا بها قلب الصدّيقة الطاهرة، فكانت كالسهام في قلبك الشريف، فتنفرد في مخيِّلتك كلُّ الصور التي انطبعت في ذاكرتك عن فاطمة بنت رسول الله، طفلٌ في السادسة يرىٰ أُمَّه تُقهَر وتُضرَب وتُعصَر، وما يملك إلَّا الصبر والسكوت، وأيُّ أُمٍّ هي؟! فاطمة! وأيُّ ابنٍ هو؟! الحسن! أقطاب الوجود، ومحور الملكوت، وسط أُناسٍ وجهلة لم يُدرِكوا حقيقة هذا البيت.

محطّاتٌ في حياة الحسن عليه السلام مع فاطمة عليها السلام:

علىٰ الرغم من الفترة القصيرة التي قضاها الإمام الحسن عليه السلام في ظِلِّ أُمِّه، إلَّا أنَّها كانت مُتخَمةً بالأحداث والأخبار والأنباء، وكان لكلِّ فعلٍ حكايةٌ خلَّدها التاريخ الإسلاميُّ والإنسان، وأشبعها بحثاً وتنقيباً، للخروج بكنوز لطائف موروثهم علماً وأخلاقاً وحكمةً وأدباً.

ولعلَّ مِنْ أهمِّ ما نزل من القرآن وما يحكي عن عظمتهم ورفعة درجتهم وعلوِّ مقامهم آياتٌ ثلاثٌ تداولها الباحثون والكُتّاب في دراساتهم وتحقيقاتهم، وهي: آية التطهير، وآية المباهلة، وآية المودَّة. وسنحاول تسليط الضوء علىٰ هذه الآيات التي جمعت أهل بيت العصمة في تنزيلها، حيث جمعت فاطمة الزهراء عليها السلام والإمام الحسن عليه السلام في آنٍ واحدٍ ومكانٍ واحدٍ لحدثٍ واحدٍ.

آية التطهير:

﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً ﴿٣٣﴾﴾[1].

وقع الكلام في هذه الآية من حيث دلالتها علىٰ العصمة من جهة، ومن جهةٍ أُخرىٰ في المقصود من أهل البيت عليهم السلام، حيث اختلف الفريقان في هاتين الدلالتين، فقد استدلَّ أعلام الإماميَّة من خلال هذه الآية علىٰ إمامة أمير المؤمنين عليه السلام وعصمته وعصمة فاطمة والحسن والحسين عليهم السلام، إضافةً إلىٰ رسول الله صلى الله عليه وآله، وهذا بعدَّة قرائن:

١ _ دلالة كلمة ﴿إِنَّمَا﴾ التي تفيد الحصر، حيث قصرت الآية الحكم علىٰ هؤلاء الخمسة الذين كانوا تحت الكساء، ولم تتعدَّ إلىٰ غيرهم، فأداة الحصر _ كما تفيد اللغة _ تجمع هؤلاء وتمنع دخول غيرهم معهم، هذا من جهة الدلالة اللغويَّة، وأيضاً دلالة الحال من وجودهم تحت الكساء.

---

(١) الأحزاب: ٣٣.

٢ _ فإذا عرفنا أنَّ المقصود من الآية فقط هؤلاء الخمسة، نناقش: هل فيها دليلٌ علىٰ العصمة مِنْ إذهاب الرجس والتطهير لهم؟ فالإرادة هنا هي إرادةٌ تكوينيَّة مِنْ قِبَل الله تعالىٰ، جعلها بإذهاب الرجس، أي: الذنوب التي تحول دون تطبيق شريعة الله تعالىٰ، فالفارز بين العصمة واللَّاعصمة هي ارتكاب الذنب، فمَنْ يرتكب الذنب يزلُّ عن جادَّة الشريعة، فيصبح في معرض التخطئة، أمَّا المعصوم فقد نُزِّه عن الوقوع في الخطأ، فأصبح مؤهَّلاً للتشريع عن الله. وما كان ذلك الاختيار لهم إلَّا لعلمه ﷻ بحالتهم المعنويَّة العالية التي افترقوا بها عن باقي الناس، فصار لهم هذا التكريم من الله تعالىٰ.

إذن، أهل البيت قد عُصموا بالعصمة التكوينيَّة بهذه الآية الشريفة التي أفصحت باختيارهم واجتبائهم عن سائر الخلق، كي يكونوا حُجَّةً علىٰ الخلق، فهم الحبل المتين الذي مَنْ استمسك به عُصِمَ ومَنْ تخلَّف عنه هوىٰ وهلك.

ولم يقبل أصحاب المدارس الأُخرىٰ هذا التفسير الذي لا يقبل الشكّ به أو تأويله، فحاولوا نسبتها إلىٰ غيرهم أو التشكيك بمعنىٰ العصمة من هذه الآية بإدخال المغالطات والشبهات لإزاحة الحقِّ عن أهله، ولكن دون دعواهم خرط القتاد، فالشواهد التاريخيَّة والسيرة المعصوميَّة تؤكِّد _ وبأصالة _ هذا المعنىٰ الذي لا يشوبه الغلط.

أمَّا المقصود من أهل البيت في هذه الآية وبسبب جمع القرآن

علىٰ الصورة الحاليَّة ووضع الآيات فيما لا يناسبها من مواقع، فتحت باب الجدل وطُرِحَت الآراء في المقصود من أهل البيت عليهم السلام. والثابت عندنا قطعاً هم محمّدٌ وآل محمّد صلى الله عليه وآله، عليٌّ وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام، بالنصِّ المعصوميِّ المتواتر والمعروف بحديث الكساء اليمانيِّ، فالآية جاءت في سياق الكلام عن نساء النبيِّ صلى الله عليه وآله، وأُقحِمَت هذه الآية في ضمنها لتغيير معالم النصِّ القرآني، ولكن تأبىٰ الأدلَّةُ النقليَّة والعقلية وآراء علماء الإسلام ومِنْ كلا الفريقين تعميمَ المقصود من أهل البيت، فقد ذُكِرَت آراء في أنَّ عبارة أهل البيت تخصُّ نساء النبيِّ صلى الله عليه وآله، فهنَّ أهل بيته! أو أنَّ الآية شاملة للخمسة إضافةً إلىٰ نساء النبيِّ صلى الله عليه وآله، وحتَّىٰ لو كانت الآية خاصَّة بالخمسة، فإنَّها لا تشمل باقي المعصومين من ذرّية الحسين عليه السلام.. وفي الردِّ علىٰ هذه الآراء نقول:

١ ـ إنَّ سياق الكلام غير متآلف، فالكلام في نساء النبيِّ صلى الله عليه وآله جاء بالجمع المؤنَّث بالنون، والآية جاءت بلفظَي: ﴿عَنْكُمُ﴾ و﴿يُطَهِّرَكُمْ﴾، وهي في الجمع العامّ المذكَّر، ولو كان نساؤه مشمولات بالآية لكان لفظ الآية: (عنكنَّ) و(يُطهِّركنَّ)، والصحيح أنَّ الآية قصدت النبيَّ وعليّاً والحسن والحسين وأُمَّهما فاطمة عليهم السلام، فجاء التذكير للتغليب.

٢ ـ اعتراف الكثير من الصحابة ونساء النبيِّ صلى الله عليه وآله بأنَّ المقصود هم أصحاب الكساء فقط، والقائل به: أبو سعيد الخُدريِّ، وأنس بن مالك، وابن عبّاس، وأُمُّ المؤمنين أُمّ سَلَمة، وعائشة.. فقد

ورد عنهم الحديث بنزول آية التطهير، وقد جمع رسول الله صلى الله عليه وآله عليّاً وفاطمة وابنيها تحت الكساء، وهذا اعترافٌ صريحٌ بلسان المخالفين _ إضافةً إلىٰ المؤالفين _ في إثبات هذا الرأي، وممَّن روىٰ حديث الكساء _ إضافةً لمن تقدَّم _: سعد بن أبي وقّاص، وأبو الدرداء، وزيد بن أرقم، وجابر بن عبد الله[1].

٣ _ طلبُ أُمِّ سَلَمة من النبيِّ صلى الله عليه وآله الدخول معهم تحت الكساء لكي تحظىٰ بالتشريف، وجوابُ النبيِّ صلى الله عليه وآله لها بالمنع وأنَّها علىٰ خير، فالأمر خاصٌّ بهؤلاء بأمرٍ إلهيٍّ لا يمكن معه التصرّف والمجاملة، وبوحيٍ من جبرئيل، وكذلك ما ذكرَته عائشة بهذا الخصوص.

٤ _ أمَّا مَنْ اعترض علىٰ أنَّ الآية لا تشمل المعصومين التسعة من أبناء الحسين عليه السلام، فهو مردودٌ بأنَّ حضور الحسين عليه السلام هو حضورٌ لهم، وهم في صلبه، فلو كانوا موجودين فعلاً لدخلوا معهم، ولكنَّ طبيعة الزمان والتكوين الإنسانيِّ وقوانين الطبيعة المُلزِمة بقانون الأُبوَّة والبنوَّة لا تسمح بتحقّق هذا الأمر.

---

(١) لقد استفاضت أصحّ كتبهم وأكثرها اعتباراً بهذا المضمون، منها: صحيح مسلم، صحيح الترمذي، صحيح النَّسائي، مُسنَد أحمد بن حنبل، مسند البزّار، مسند عبد بن حُميد، مُستدرَك الحاكم، تلخيص المستدرك للذهبي، تفسير الطبري، تفسير ابن كثير، الدرّ المنثور، وغيرها من التفاسير ومن كتب الحديث، وفيها أنَّه لـمَّا نزلت هذه الآية المباركة علىٰ رسول الله صلى الله عليه وآله، جمع أهله - أي: عليّاً وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام - وألقىٰ عليهم كساءً وقال: «اللّهمّ هؤلاء أهل بيتي»، وفي بعض الروايات: ألقىٰ الكساء علىٰ هؤلاء، فنزلت الآية المباركة، والروايات بعضها تفيد أنَّ الآية نزلت ففعل رسول الله صلى الله عليه وآله هكذا.

إضافةً إلىٰ الأحاديث والروايات الكثيرة التي دلَّت علىٰ عصمتهم وإمامتهم بالاسم والصفة، وتلبُّسهم بالولاية التكوينيَّة من قَبل ولادتهم الفعليَّة، بل بالقوَّة، فهذا الإشكال لا يُعْتَدُّ به.

وبعد هذا نُعرِّج علىٰ المناسبة التي جمعت فاطمة عليها السلام وابنها الحسن المجتبىٰ عليه السلام عندما كانت فاطمة في بيتها حين دخل عليها أبوها رسول الله صلى الله عليه وآله قائلاً: «**إنّي أجدُ في بدني ضعفاً**»، فأتت له بكساءٍ يمانيٍّ وجلَّلته به، ثمّ بعد قليلٍ يأتي الحسن عليه السلام قائلاً: «**يا أُمّاه، إنّي أشمُّ عندكِ رائحةً طيِّبة، كأنَّها رائحة جدّي رسول الله صلى الله عليه وآله**»، فتقول له فاطمة عليها السلام: «**نعم، إنَّ جدَّك تحت الكساء**»، فيُقبِل الحسن عليه السلام نحو الكساء ليستأذن النبيَّ صلى الله عليه وآله في الدخول معه، ثمّ يلحقه الحسين عليه السلام، ثمّ أبوهما أمير المؤمنين عليه السلام، ثمّ فاطمة عليها السلام، فيُجلِّلهم النبيُّ صلى الله عليه وآله بالكساء اليمانيِّ ذاك، ويُطلِق أشهر حديثٍ سمعَته آذانٌ صاغيةٌ عن الله تعالىٰ: ﴿**إِنَّما يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً** ﴿٣٣﴾﴾[1][2].. فتتلاقىٰ نظرات فاطمة والحسن عليهما السلام برؤية واحدة، وقد حكت عيناهما قولاً واحداً: نحن الآن في كنف رسول الله صلى الله عليه وآله، فما حالنا من بعده؟ فيتشابكان بأيديهما بقوَّة، فيستمدُّ الحسن عليه السلام من أُمِّه القوَّة والصبر علىٰ المحن والإحَن، فالقادم كفيلٌ بتبديد شملهم الدافئ في أحضان النبوَّة. وفي الحال نفسه ترتسم علىٰ شفاههما ابتسامة الفرح برضا الله والرضا بقضائه، وتحضن الأُمُّ ولدَها بشوقٍ

---

(١) الأحزاب: ٣٣.

(٢) راجع: حديث الكساء المعروف المشهور، المرويّ بسندٍ صحيح عن الصحابيِّ الجليل جابر بن عبد الله الأنصاري رضي الله عنه.

وشغَفٍ، وتُقبِّله في جبينه، وتنثر عليه أنفاسها الطاهرة، لينتعش الصبيُّ الإمام وهو يتلمَّس ألطاف أُمِّه الحنون، وكلاهما يَعلمان أنَّ الفراق قريبٌ وأنَّ الرحيل لا بدَّ منه، وكلُّه بعين الله عزّ وجلّ.

آية المباهلة:

﴿فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَتَ اللهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ ﴿٦١﴾﴾[1].

وفي قصَّةٍ أُخرىٰ من قصص التصدّي في جنب الله والذبِّ عن حياض دين رسول الله صلى الله عليه وآله، يطلُّ علينا التاريخ الإسلاميّ بمضمونه القرآنيّ بحادثةٍ وسببٍ من أسباب نزول النصِّ، وهي آية المباهلة، والتي أثبتَت مرَّةً أُخرىٰ اختصاص النبيِّ صلى الله عليه وآله وأهل بيته عليهم السلام بالكرامة الإلهيَّة، وأنَّ هؤلاء هم الهدف والغاية، فمَنْ تمسَّك بهم أدرك تشريع الله بكلِّ جوانبه، ومَنْ تخلَّف عنهم وقع في دائرة التيهان والضياع، فالنبيُّ صلى الله عليه وآله يُجابِه قوىٰ التكفير والتكذيب لدينه الإسلام من النصارىٰ، وهم بالطبع أصحاب كتابٍ وعلم، فبعد حوارٍ ونقاشٍ معهم وإلقاء الحُجج عليهم تنكَّروا وعاندوا، مستغلّين هشاشة إيمان المسلمين وضيق فكرهم، وتربّصَ المنافقين وتحيّنهم لأيِّ فرصةٍ للإيقاع بالنبيِّ ودِينه، فوصلوا إلىٰ آخر الحلول، وهو مباهلة النبيِّ صلى الله عليه وآله لإظهار الصدق من الكذب..

فصار الاتِّفاق علىٰ زمانٍ محدَّدٍ ومكانٍ معيَّنٍ تقع فيه المباهلة،

---

(١) آل عمران: ٦١.

والناس منشدّون متقاسمو الآراء حول قدرة النبيِّ صلى الله عليه وآله على القيام بالمباهلة.

وجاء اليوم الموعود، واجتمع الناس ليشهدوا يوماً تاريخيَّاً يضع الإسلام على المحكِّ، وقد استنفر نصارىٰ نجران كلَّ طاقاتهم العباديَّة والمعنويَّة للانتصار، ظنَّاً منهم أنَّها ستكون نهاية لهذا الدين الذي اكتسح الجزيرة العربيَّة، وفي جوٍّ من الترقّب والحماس ينتظر الناس النبيَّ بمَنْ سيباهل، فخسارة الجولة تعني وقوع العذاب علىٰ مَنْ سيُخرجهم للمباهلة معهم، وبعد فترةٍ من الزمن وباستعداد نصارىٰ نجران بقساوستهم ورهبانهم يظهر النبيُّ صلى الله عليه وآله من بعيد بأشباحٍ أربعة، والكلُّ يتساءل: مَنْ هؤلاء؟! وقد وقع في ظنِّ النصارىٰ أنَّه سيجلب أصحابه وقومه وجيشه ليباهل بهم، وعند اقترابهم واتِّضاح الصورة أكثر فأكثر يَقدم النبيُّ صلى الله عليه وآله بصحبة عليٍّ عليه السلام علىٰ يمينه وفاطمة عليها السلام خلفه مُمسِكاً بالحسن عليه السلام بيده اليمنىٰ وحاملاً الحسين عليه السلام علىٰ عاتقه، ليفاجأ النصارىٰ بمن حضر، متسائلين: مَنْ هؤلاء الذين أتىٰ بهم محمّد صلى الله عليه وآله ؟! فيأتي الجواب: إنَّهم أهل بيته وأحبُّ الخلق اليه!

يُشاهدونهم يمشون بكلِّ طمأنينة، وتعلوهم السكينة والهدوء والوقار، فافترشوا البساط، وقد استعدّوا للدعاء.. فبادر رهبان النصارىٰ _ وقد أُسقِط في أيديهم _ إلىٰ إيقاف المباهلة، فقد علموا أنَّ هؤلاء بسيماهم ونورهم لو دعوا عليهم لَجعلوا عاليها سافلها! فرفعوا راية الاستسلام مقرّين بهزيمتهم، فمَنْ يريد المباهلة لا يأتي بأحبِّ الناس إليه، إلَّا أن يكون مطمئنّاً بسلامة موقفه وصحَّة دينه.

هـذا مـا أدركـه النصـارىٰ والمسـلمون عـلىٰ حـدٍّ سـواء، فجـاء البيان الإلهيُّ عـن طريـق رسـوله جبرائيـل بآيـةٍ انضـمَّت إلىٰ مثيلاتهـا مـن الآيات التـي نزلـت في حـقِّ أهـل البيـت عليهم السلام، فـالله عزوجل يقـول في كتابـه: ﴿فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَتَ اللهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ ﴿٦١﴾﴾[1]، فالأبنـاء: الحسـن والحسـين عليهما السلام سـيِّدا شـباب أهـل الجنَّـة، والنسـاء: فاطمـة عليها السلام، والأنفس: أمـير المـؤمنين عـليّ عليه السلام، فتُحـدِّد هـذه الآيـة شخصـيّات أهـل البيـت بصـورةٍ أوضـح وعبـارةٍ أجـلىٰ، فقـد حصـلت أمـام مـرأىٰ ومسمع حشدٍ مـن النـاس ضـمَّ الصـحابة وغـيرهم، فيعضـد هـذا القـول الآيـة السـابقة بعصـمة آل البيـت عليهم السلام واختصاصـهم بـالنبيِّ صلى الله عليه وآله في آية التطهير.

وممَّـن روىٰ هـذا الخـبر: عبـد الله بـن عبّـاس، وسـعد بـن أبي وقّاص، وعـثمان بـن عفّـان، والـزبير بـن العـوّام، وطلحـة بـن عبيـد الله، وعبـد الـرحمن بـن عَـوف، وحُذَيفـة بـن اليمان، والـبراء بـن عـازب، وغيرهم كثير، ممَّا يثبت أركان هذا الخبر.

إشراقـةٌ جديـدةٌ مِـنْ إشراقـات فاطمـة وبنيهـا عـلىٰ الضـمير الإنسـانيِّ والإسـلاميِّ، تنـير حالـك الظلمـة التـي يعيشـها النـاس بعيـداً عـن تعـاليمهم السـامية التـي تـؤطِّر مفـاهيم الخـير والنبـل والعطـاء والإنسـانيَّة، فـما تـرك أهـلُ هـذا البيـت مفصـلاً مـن مفاصـل الحيـاة إلَّا

(١) آل عمران: ٦١.

نظروا له، وقنّنوا أساليبها بتشريعٍ سماويٍّ لا يقبل الخطأ ولا التخطيء، فمَنْ سار علىٰ دربهم وصل إلىٰ الغاية المنشودة، وهي رضا الله تعالىٰ.

ويروي هذا الخبرُ صورةً أُخرىٰ للإمام الحسن عليه السلام وفاطمة الزهراء عليها السلام بمشهدٍ دراماتيكي، يُشعِر القارئ بمدىٰ تقارب هذه الأُسرة وعلاقتهم الرابطة بالله، ففيها جانبان:

جانبٌ عقديّ يُظهِر فيه تصدّي أهل البيت عليهم السلام لقضيَّةٍ إسلاميَّةٍ هامَّةٍ جدّاً، وهي إنقاذ الإسلام والمسلمين بدينهم ونبيّهم، وأيضاً إنَّهم ورثة النبيِّ صلى الله عليه وآله في إكمال دينهم، فخروجهم مع رسول الله صلى الله عليه وآله فيه إشارةٌ من النبيِّ صلى الله عليه وآله بأنَّهم وُلاة الأمر من بعده علىٰ الأُمَّة، فلهم السمع والطاعة.

ومن جانبٍ آخر نلحظ الجانب الإنسانيّ الأُسريّ الذي يربط بين فاطمة عليها السلام وابنها الإمام الحسن عليه السلام، وما يُشكّلانه من علاقةٍ جميلةٍ ورائعةٍ، في أنَّهم أُسرة مترابطة متحابَّة، أُنموذجيَّة لما يجب أن تكون عليه كلّ أُسرةٍ مسلمة، وكأنَّ الإمام الحسن عليه السلام يمشي بمعيَّة أُمِّه فاطمة يتبادلان أحاديث المودَّة والعشق الإلهيِّ في نُزهةٍ في ملكوت الله، والإمام الحسن عليه السلام يُسجِّل _ وبدقَّةٍ _ هذه اللحظات المتلاشية مع الدهر، لكنَّها راسخةٌ في فكره وكيانه، فيستزيد من كلِّ لحظةٍ يقضيها مع أُمِّه فاطمة عليها السلام تعلّقاً بربِّه، فهذا الوجه الذي تُشرق منه أنوار الزهراء عليها السلام حين تعبّدها في محرابها يلفته إلىٰ جلال الله وعظمته، فلا يكاد يفارق وجهها حيناً إلَّا ويُعاوِد بعدها النظر والتمعّن.

هـذا حسَـنُكِ يـا فاطمـة يمشـي مـع جـدِّه وأبيـه في مباهلتـه، وقلبـك يخفـق في صـدرك مناديـاً: إليَّ إليَّ يـا قُـرَّة عينـي، كـي أمـلأ منـك خـافقي، وأَرقيـك بـالمعوذتين، فالحُسّـاد كُثُـر، وفـؤاد أُمِّـك عليـك في حسـرةٍ لكبـدك المسـموم وظليمتـك مـن الحاقـدين، فخطواتـك هـذه تُعجِّل بك إلىٰ مصيرك المحتوم، ولكنَّ أمر الله ماضٍ.

آية المودَّة:

﴿قُلْ لا أَسْئَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبىٰ﴾[1].

في أكثـر مـن مناسـبةٍ دأب النبـيُّ صلى الله عليه وآله في الإشـارة إلىٰ مكانـة أهـل البيـت عليهم السلام، برهانـاً عـلىٰ ولايـتهم عـلىٰ الأُمَّـة، مسـتبِقاً الأحـداث التـي سـتقع بعـده؛ لعلمـه بـالاختلاف علـيهم، فيُؤكِّـد في أحاديثـه مـراراً وتكـراراً عـلىٰ أهمّيـة اتِّبـاع آلـه الميـامين للوصـول إلىٰ سـاحل النجـاة، فتبليـغ الرسـالة شيءٌ عظـيم، ولا يخلفـه في هـذا الأمـر إلَّا شـخصٌ عظـيمٌ يُمثِّـل النبـيَّ صلى الله عليه وآله أفضـل تمثيـل، فـإن كـان الاختيـار مـن النـاس فقطعـاً سـيقع التجـاذب بينهم والمحابـاة في اختيـار الشـخص المناسـب، فلكـلٍّ رأيُـه وعقيدتـه، أمَّـا إذا كـان الاختيـار مـن الله تعـالىٰ فحينئـذٍ لا مجـال لإبـداء المشـورة والـرأي، فاختيـار الله مسـلَّمٌ بـه مـن غـير نقـاش، فقد استثمر النبيُّ أيَّ مناسبةٍ للتعريف بخليفته وإلقاء الحجَّة عليهم.

أمَّـا سـبب نـزول هـذه الآيـة الشـريفة، فهـو أنَّ المسـلمين في ذلـك الوقـت لم تتجـذَّر أُصـول الإسـلام والإيـمان في نفوسـهم إلىٰ الحـدِّ الـذي يعرفـون بـه حقيقـة رسـول الله صلى الله عليه وآله ومبلِّـغ رسـالته، متصـوِّرين أنَّ

(١) الشورىٰ: ٢٣.

تبليغه مقابل أجر، وبدافع حُسن النيَّة عرضوا علىٰ الرسول مبلغاً من المال كأجرٍ علىٰ التبليغ، مِنْ غير إدراكٍ لمعنويَّة الرسالة وتكليف النبيِّ صلى الله عليه وآله بها من الله تعالىٰ! فما كان ردُّ النبيِّ صلى الله عليه وآله عليهم إلَّا تحويل الأنظار إلىٰ أنَّ الأجر الذي يستحقّه منهم هو التسليم لولاية أمير المؤمنين وآله عليهم السلام، الذين سيكونون خلفاءه من بعده! فالأجر مرجعهم إليهم، فإمَّا أن يحافظوا علىٰ سلامة هذا الدين من التدليس والتدنيس والتحريف، أو يصبوا إلىٰ مخالفة أمر الله ورسوله.

وبعد تصديقهم لقول الله ورسوله وقع الكلام في المقصود من (القُربىٰ)، أهم قرابته وعشيرته، أم هم أهل بيته وزوجاته؟ فالتبس عليهم الأمر، فإمكانة الإشاعة والتشكيك للمنافقين كانت تعمل بأقصىٰ جهدها لتزوير الحقائق والتشبيه علىٰ الناس، فعن الطبرانيّ قال: عن ابن عبّاس: لـمَّا نزلت هذه الآية: ﴿**قُلْ لا أَسْئَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبىٰ**﴾[1]، قالوا: يا رسول الله، ومَنْ قرابتك هؤلاء الذين وجبت علينا مودَّتهم؟ قال: «**عليٌّ وفاطمة وابناهما**»[2].

فما الحجَّة لهم من بعد ذلك؟ تصريحٌ من صاحب الرسالة نفسه بمعنىٰ القربىٰ، وأنَّ مودَّتهم هي الأجر المقصود بالآية الشريفة.

وقد استنجد الإمام الحسن عليه السلام في احتجاجه علىٰ الناس في خطبته بعد استشهاد أمير المؤمنين عليه السلام بهذه الآية، قائلاً: «**أيّها الناس، مَنْ عرفني فقد عرفني، ومَنْ لم يعرفني فأنا الحسن بن محمّد** صلى الله عليه وآله**، أنا ابن البشير، أنا ابن**

---

(١) الشورىٰ: ٢٣.

(٢) المعجم الكبير/ الطبراني ٣: ٤٧.

النذير، أنا ابن الداعي إلىٰ الله عزّ وجلّ بإذنه، وأنا ابن السراج المنير، وأنا مِنْ أهل البيت الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهَّرهم تطهيراً، والذين افترض الله مودَّتهم في كتابه إذ يقول: ﴿وَمَنْ يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْناً﴾[1]، فاقتراف الحسنة مودَّتنا أهل البيت»[2].

وهو كلامٌ صريحٌ من الإمام المعصوم المجتبىٰ عليه السلام بأنَّهم هم القربىٰ الذين أوصىٰ الله ورسوله بهم، وما المودَّة في القربىٰ إلَّا حبّهم وتصديقهم واتِّباعهم واستخلافهم، وما إكمال الدِّين إلَّا بهم، وتتميم الحجَّة بولايتهم لوصول التشريع للأحكام عن طريقهم، فهم الواسطة بين الله والناس[3].

فآية القربىٰ التي جمعَت فاطمة والحسن عليهما السلام، وجعلت مودَّتهم أجر رسول الله، وهم فرحون بقرباهم من النبيِّ صلى الله عليه وآله، وأُمُّ السبطين _ بابتهاج _ تراود وجه فتاها المتلألئ بهاءً؛ فقد ورثه من جدِّه المصطفىٰ الذي اجتباه بمودَّته.. فطالِعي يا أُمَّ الحسن وجه ولديك _ اللذَين سيقضيان سُمّاً وذبحاً _ أجراً علىٰ الرسالة! فلكِ الأجر يا فاطمة بولدَيكِ، واستميحي أباكِ عذراً لقربانيكِ اللذَين شحنتِ صدريهما غَيرةً علىٰ دِينه، لعلَّ القربان لم يفِ حقَّه ولم يجزِ فضله، ولكنَّ صدرك الحرّىٰ عليهما شافعةٌ عند ربِّهم في القبول.

---

(١) الشورىٰ: ٢٣.

(٢) مقاتل الطالبيّين/ أبو الفرج الأصفهاني: ٣٢.

(٣) جاء في الزيارة الجامعة الكبيرة الشريفة المرويَّة عن الإمام الهادي عليه السلام: «مَنْ أراد الله بدأ بكم، ومَنْ وحَّده قَبِل عنكم، ومَنْ قصده توجَّه إليكم». (عيون أخبار الرضا عليه السلام/ الصدوق ٢: ٣٠٨/ ح ١؛ مَن لا يحضره الفقيه/ الصدوق ٢: ٦١٥/ ح ٣٢١٣؛ المزار/ ابن المشهدي: ٥٣٢).

استجلاء معنى الآيات:

إنَّ في الآيات الثلاث التي مرَّت شهادةً من فاطمة الزهراء عليها السلام على إمامة الحسن عليه السلام، فهي المعصومة بهذه الآيات، وشهادتها له حُجَّةٌ على الناس في ولايته وخلافته، ففي جميع هذه المواطن كانت الزهراء عليها السلام حاضرةً تسمع وترىٰ وتُقِرُّ بالنصِّ الإلهيِّ عليه، ولا مجال لردِّ شهادتها بعد التسليم بصحَّة هذه الروايات مِنْ الفريقين، فكلام فاطمة حجَّةٌ وبيِّنةٌ في إثبات الولاية لمستحقّها، وهو أحد أدلَّة ثبوت الإمامة للائمَّة المعصومين الاثني عشر، إضافةً إلىٰ النصوص الأُخرىٰ التي وردت في تسميتهم إماماً بعد آخر في صُحُفها التي توارثها الأئمَّة عليهم السلام.

فلا محيص عن الأخذ بدلالة هذه الآيات والأخبار الشارحة لها، والمعتصمة عن الكذب وعدم الصواب، وقد أظهرت حادثة المباهلة مزيج التقارب الأُسريّ والمهمَّة العقديَّة بين الأُمِّ وابنها.

فعليكِ سلام الله أيَّتها الممتحَنة، امتحنكِ الله بفلذة كبدكِ وحشاشة روحكِ، ليتجوهر مظهركِ ويتمظهر جوهركِ، فتُدلين علينا بأئمَّة الخلق من روحكِ الفيّاضة بعشق الله، فكنتِ حُجَّةً عليهم وكانوا حجج الله علينا[1]، متجرِّعةً الغُصَّة بعد الغُصَّة، مؤتزرةً بجلباب النبوَّة ومتوشِّحةً بوشاح الإمامة، فكنتِ وقفاً لدين

(١) ورد في الحديث الشريف عن الإمام العسكريّ عليه السلام قوله: «نحن حُجَج الله علىٰ الخلق، وجدَّتنا فاطمة حجَّة الله علينا». (الأسرار الفاطميَّة/ المسعودي: ٣٧ و٥٣ و٦٩ و٩٩، عن: تفسير أطيب البيان ١٣: ٢٢٦).

الله، وشهيدةً في سبيل الله، راضيةً مرضيَّةً، مطهَّرةً من الرجس، مؤثِرةً علىٰ نفسكِ وآلكِ يتيمهم ومسكينهم وأسيرهم، مستبشرةً ببيعكِ الذي بايعتِ، قد آزرتِ الرسالة وناصرتِ الإمامة، وجاهدتِ في الله حقَّ جهاده، مفارقةً الدنيا بقلبٍ وَجِل ومتنٍ مسودّ وضلعٍ مكسور، لكي تلقَي الله تعالىٰ بهذا الحال، فيكون رضاكِ بشفاعتكِ لشيعتكِ ومَنْ آمن بمظلوميَّتك، أيَّتها البكّاءة المحزونة، فقرّي عيناً عند ربِّكِ، يا حجَّة الله.

* * *

زينب الكبرى بنت عليّ عليها السلام

في أفضل بيتٍ رُفِعَ وذُكِرَ فيه اسم الله، في بيتٍ أحاطته القدسيَّة والطُّهر من الرجس، ليشعَّ بأنوار الله، تولد لبوة عليٍّ عليه السلام، لتزهر الدنيا بضياء شمسها البهيِّ.. الكلُّ يترقَّب، بنفوسٍ تهفو إلىٰ مولود العترة الطاهرة، لتعمَّ بركاتها أرجاء المدينة.

الجدُّ: خاتم الأنبياء، والأبُ: سيِّد الأوصياء، والأُمُّ: سيِّدة النساء، والأخَوان: سيِّدا شباب أهل الجنَّة.. فماذا ستكون؟ وسط هذا المناخ الرحب وُلِدَت السيِّدة زينب عليها السلام، ثالثُ مولودٍ لعليٍّ وفاطمة عليهما السلام.

ولادتها المباركة:

وُلِدَت السيِّدة زينب عليها السلام _ علىٰ أقوىٰ الروايات _ في السنة الخامسة للهجرة[1]، في اليوم الخامس من جُمادىٰ الأُولىٰ، لتكتمل الحلقة الأخيرة والعنصر الخامس للبيت العلوي، ولم تختلف طريقة ولادتها وطبيعة الأجواء عن ولادة الحسنين عليهما السلام، فبعد حمل الزهراء عليها السلام بالسيِّدة زينب عليها السلام وضعَتها بمشاعر الأُمومة أُنثىٰ، وأيّ أُنثىٰ! فلو كانت النساء مثلها لفُضِّلن علىٰ الرجال..

---

(١) زينب الكبرىٰ عليها السلام/ جعفر النقدي: ١٧.

جوهرةٌ صاغها الله تعالىٰ من نفس فاطمة عليها السلام، لتضعها بين يدَي عليٍّ عليه السلام، طالبةً منه تسميتها.. وكما جرىٰ في ولادة الحسنين عليهما السلام، أبىٰ عليٌّ عليه السلام أن يسبق رسول الله صلى الله عليه وآله في ذلك الأمر.

لـمَّا وُلِدَت زينب بنت عليِّ بن أبي طالب، أُخبِر بذلك رسول الله صلى الله عليه وآله، فجاء إلىٰ منزل فاطمة عليها السلام وقال: «**يا بنتاه، ايتيني بُنيَّتكِ المولودة**»، فلـمَّا أحضرَتها أخذها رسول الله صلى الله عليه وآله وضمَّها إلىٰ صدره الشريف، ووضع خدَّه الشريف علىٰ خدِّها، فبكىٰ بكاءً عالياً، وسال الدمع حتَّىٰ جرىٰ علىٰ كريمته الشريفة، فقالت فاطمة: «**لمَ بكاؤك؟! لا أبكىٰ الله عينك يا أبتاه!**»، فقال: «**يا بنيَّة يا فاطمة، اعلمي أنَّ هذه البنت بعدكِ وبعدي تُبتلىٰ بلايا فادحة، وترد عليها مصائب ورزايا مُفجِعة**»، فبكت فاطمة عليها السلام عند ذلك، ثمّ قالت: «**يا أبه، فما ثواب مَنْ يبكي عليها وعلىٰ مصائبها؟**»، فقال: «**يا بضعتي ويا قرَّة عيني، إنَّ مَنْ بكىٰ عليها وعلىٰ مصائبها كان ثواب بكائه كثواب مَنْ بكىٰ علىٰ أخويها**»، ثمّ اختار لها اسم زينب[1].

لا تختلف هذه الرواية في ولادة السيِّدة زينب عليها السلام عن روايات ولادة الحسنين عليهما السلام في التعزية بولادتها والبكاء عليها وعلىٰ ما تلاقي من مصائب ومحن كما سيلاقي أخواها، فالمظلوميَّة واحدة، والأسباب نفسها، والعدوّ هو العدوّ.

وتُظهِر هذه الرواية كرامة زينب عليها السلام بوضع خدِّ النبيِّ صلى الله عليه وآله علىٰ خدِّها كما فعل مع الحسنين، وتسميتها عن طريق الوحي من الله

(١) رجالٌ تركوا بصمات علىٰ فسحات التاريخ/ لطيف القزويني: ١٥٩.

تعالىٰ، فهي ليست بالشخصيَّة المعتادة، بل لها شأنٌ من الشأن، وإن كان التاريخ لم يتطرَّق إلىٰ الكثير من الحوادث والوقائع التي تربط بين السيِّدة زينب وبين رسول الله صلى الله عليه وآله، ولكنَّ طبيعة ارتباطها مع الأُسرة العلويَّة جعل كلَّ ما يُنقَل عن الحسن والحسين عليهما السلام فإنَّ زينب عليها السلام شريكة لهما فيه، فملازمتها لهما لا تخفىٰ، ولكنَّ إظهار سيرة الحسنين عليهما السلام كان لها النصيب الأوفر لما لهما من مكانة تشريعيَّة جعلت انصباب العناية وتسليط الضوء عليهما؛ ولأنَّ عفَّة السيِّدة زينب وصونها ونجابتها لا تسمح بذكر تفاصيل حياتها، فالتاريخ الذي كُتِبَ بأيدي أعداء أهل البيت عليهم السلام كان سينال من شخصيَّتها العظيمة بالتزوير في الحقائق والتحريف في الكلام، فبقي ذكر السيِّدة زينب عليها السلام مرتبطاً بذكر المعصومين؛ وأيضاً لأنَّ إظهار مناقب السيِّدة زينب بنت عليِّ بن أبي طالب عليهما السلام والإفصاح عنها يُعَدُّ بحدِّ ذاته إفصاحاً عن شخصيَّة أمير المؤمنين عليه السلام، وهذا ممَّا تربَّص له المنافقون والمتزلِّفون لسلاطين الظلم والجور الذين بذلوا كلّ ما في وسعهم لإخفاء فضائل الإمام أمير المؤمنين علي عليه السلام.

نشأتها:

ثمّ تتدرَّج هذه البنت الميمونة علىٰ أعتاب بيت النبوَّة، وتستقرُّ في أحضان صاحب الرسالة، وتستدفئ في كنفه بحنان الأُبوَّة بين الحسن والحسين عن اليمين وعن الشمال، تتأمَّل وجه جدِّها الذي سرعان ما فارقته ولـمَّا تكتفِ منه، لتشهد مرحلةً جديدةً من الصراع الذي لازم بيتها المضنك، مواظبةً علىٰ استقراء الحقائق

واستنطاق المعارف، وهي تُسائل أباها بفطنةٍ ونباهةٍ عن مكنونات خلقه وعزائم أمره، وعليٌّ عليه السلام يُلقي الكلام علىٰ لسانه كما يُلقي المطر حبّاته على الأرض لتثمر كلَّ طيِّب، فهي عالِمةٌ غير معلَّمة، فَهِمةٌ غير مفهَّمة _ كما قال الإمام زين العابدين عليه السلام _ تسأل أباها: «**يا أبتاه، أتحبّنا؟**»، قال: «**نعم يا بُنيَّة، أولادنا أكبادنا**»، فقالت: «**يا أبتاه، حبّان لا يجتمعان في قلب المؤمن: حبُّ الله وحبُّ الأولاد، وإن كان لا بدَّ لنا فالشفقة لنا والحبُّ لله خالصاً**»[1]. ثمّ يُقبِّل الوالد هذه الصبيَّة لمعرفتها وعلمها بتوحيد الله تعالىٰ.

تعكس هذه الرواية التربية النوعيَّة للسيِّدة زينب عليها السلام وتأهيلها لاستلام مهامّها العظيمة مع أخوَيها، وجسامة الأهوال التي ستلاقيها، مشاركةً الإمامين اختيارهما الصعب، لتكون وظيفتها وظيفة المُسنِد والمؤازر لحركتهما الرساليَّة، فهي قسيمة المصائب والرزايا التي حلَّت بهما، مُدرِكةً طبيعة مراحلها الانتقاليَّة من صلح إلىٰ ثورة.

ولم يقف الإمام أمير المؤمنين عليه السلام إلىٰ حدٍّ معيَّنٍ في فتح باب العلوم لها، وهي وإن لم تكن لها عصمة تكوينيَّة بحسب المصطلحات العقديَّة، إلَّا أنَّها كانت معصومةً بالعصمة الاكتسابيَّة بأعلىٰ درجاتها، فقابليَّة استيعاب علوم أبيها كانت موجودةً وبامتياز، فنشأت بليغةً فصيحةً عالمةً بعلوم القرآن، تفسيرِه وتأويله، متشابهه ومحكمه، ظاهره وباطنه، أحكامه وعقائده، وكان لها

(١) مستدرك الوسائل/ الميرزا النوري الطبرسي ١٥: ٢٥١/ باب ٧٨ حدُّ الرحم التي لا يجوز قطيعتها/ ح ١٨٠٤٠، عن: مجموعة الشهيد.

مدرسة في الكوفة لتعليم النساء في الفقه والتفسير، إضافةً إلىٰ باقي العلوم التي أغدق أمير المؤمنين عليه السلام عليها بها، فهي عالمةٌ بأسرار العلوم جميعاً، بالعلم المكتَسب واللدنّي.

أمَّا المصدر الآخَر لتنشئة زينب عليها السلام، فهي أُمُّها بضعة النبيِّ صلى الله عليه وآله، والتي كان لها الأثر البالغ في تكوين شخصيَّتها العظيمة، بل كانت زينب عليها السلام مرآةً لشخصيَّة الزهراء عليها السلام، حتَّىٰ أنَّها ورثت جميع صفاتها النفسيَّة والخُلُقيَّة، وكانت زينب لأبيها كما كانت فاطمة لأبيها رسول الله صلى الله عليه وآله، فالتداخل الكبير بين شخصيَّة السيِّدتين الطاهرتين جعل من زينب القائمة مقام أُمِّها بالنسبة لإخوتها، علىٰ ما كانوا يجدون عندها من عطفٍ وحنانٍ ورعايةٍ، وورثت من أُمِّها وصاياها وعهودها لأخويها، فتلميذة الزهراء عليها السلام أتقنت وظيفتها التي رسمتها لها معلِّمتها الأُولىٰ بحرفيَّة عليٍّ عليه السلام في مواجهة الأحداث، لترث تَرِكةً ثقيلةً حملتها زينب بقوَّةٍ وصلابةٍ.

شخصيّتها:

كانت السيِّدة زينب عليها السلام عالِمةً زاهدةً محدَّثةً لبيبةً فصيحةً، تملك شخصيَّةً قويَّةً كشخصيَّة والدها عليٍّ عليه السلام، وكانت عابدةً طاهرةً مصونةً كأُمِّها فاطمة عليها السلام.

يقول يحيىٰ المازني: كنتُ في جوار أمير المؤمنين عليه السلام في المدينة مدَّةً مديدة وبالقرب من البيت الذي تسكنه زينب ابنته، فلا والله ما رأيتُ لها شخصاً ولا سمعتُ لها صوتاً، وكانت إذا أرادت الخروج لزيارة جدِّها رسول الله صلى الله عليه وآله تخرج ليلاً والحسن عليه السلام عن يمينها

والحسين عليه السلام عن شمالها وأمير المؤمنين عليه السلام أمامَها، فإذا قربت من القبر الشريف سبقها أمير المؤمنين عليه السلام فأخمد ضوء القناديل، فسأله الحسن عليه السلام مرَّةً عن ذلك فقال: أخشىٰ أن ينظر أحدٌ إلىٰ شخص أُختك زينب عليها السلام[1].

ولا عجب، فهي بنت عليٍّ وفاطمة عليهما السلام، قمَّة العفَّة ومنتهىٰ الصَّون، برزت في المجتمع الإسلاميِّ في أنَّها شخصيَّةٌ علميَّةٌ وعباديَّةٌ. يقول الإمام عليّ بن الحسين عليه السلام: «**فتحتُ عيني ليلة الحادي عشر من المحرَّم، وإذا أنا أرىٰ عمَّتي تُصلّي نافلة الليل وهي جالسة! فقلتُ لها: يا عمَّة، أتُصلّين وأنتِ جالسة؟ قالت: نعم يا ابن أخي، والله إنَّ رجلي لا تحملني**»[2].

فكانَت جَلدةً صلبةً شجاعةً، أرعبَت طواغيت بني أُميَّة في عقر قصورهم بخطاباتها الرنّانة وخُطَبها الدامغة علىٰ رؤوس قتلة الحسين عليه السلام، وقد جرىٰ عليها ما جرىٰ من مصائب أهلها. كان للسيِّدة زينب عليها السلام أثراً فعّالاً في مسيرة القضيَّة الإسلاميَّة بتثقيف الناس علىٰ ضرورة الاستمساك بحبل الله المتين، بعليٍّ وآله الطاهرين عليهم السلام، بجَزالة رأيها وحِكمة منطقها. تميَّزت السيِّدة زينب عليها السلام بصبرها الذي شقَّت به لجج الفتن والمآرب الباطلة، واضعةً هدفها الإسلاميّ وبُغيتها في تصحيح مسار الأُمَّة نصب عينيها، وتجريد الحقيقة عن ملوّثاتها الأُمويَّة.

---

(١) زينب الكبرىٰ/ جعفر النقدي: ٤١.

(٢) زينب الكبرىٰ/ جعفر النقدي: ٥٨.

والكلام عن شخصيَّة السيِّدة زينب عليها السلام لا تُدركه بعض الأسطر والعبارات، وإنَّما ذكرنا شيئاً مقتضَباً عنها، فسيرتها الشخصيَّة لا تقلُّ شأناً عن سيرة المعصومين العظماء.

ومن الجدير بالذكر أنَّ شخصيَّة السيِّدة زينب عليها السلام قائمةٌ بذاتها، وإن اقترنت بشخصيَّة المعصومين، وإنَّما ذكرُها في سيَرهم الشريفة تعكس مدىٰ تأثيرها في المشهد العامّ وتفاعل المعصومين معها، فهي شريكةٌ لهم في كلِّ الأحداث التي واجهتهم، وكانت محورَ تحرّكاتهم ومعتمَدةَ أقوالهم وأسرارهم، مرجعَ رأيهم، ومصدرَ قوَّتهم، والناهضة بأعباء إمامتهم، والحافظة لعهودهم، والمؤنس لوحشتهم، والمدافع عنهم، ولسانهم الناطق بمظلوميَّتهم.

وتبقىٰ شخصيَّة السيِّدة زينب عليها السلام شخصيَّةً فريدةً من نوعها، بمعطياتها التي شغلت أقلام الكُتّاب والمؤلِّفين لاستيعاب جوانب حياتها الثريَّة للباحثين عن حقائق الأُمور.

زواجها من عبد الله بن جعفر:

لا بدَّ للزواج من سيِّدةٍ بحجم زينب عليها السلام أن يكون الزوج كفؤاً لها دينيَّاً وأُسريَّاً واجتماعيَّاً وعلميَّاً، وهذه الصفات توفَّرت في شخص عبد الله بن جعفر بن أبي طالب، الذي لازم عمَّه أمير المؤمنين عليه السلام في حياته وحروبه، وكان قريناً للحسنين عليهما السلام، وهو يملك من النبل والكرم والشجاعة ما يُؤهِّله لخطبة زينب عليها السلام.

وُلِدَ عبد الله بن جعفر من والدَين جليلين، فأبوه: جعفر الطيّار، وهو أغنىٰ مِنْ أن يُعرَّف، وأُمُّه: أسماء بنت عُمَيس، السيِّدة

الطاهرة الجليلة. وُلِدَ عبد الله وأخواه عون ومحمّد في الحبشة، إبان هجرة جعفر وأسماء إلىٰ الحبشة فراراً من بطش الكفّار من مكّة وبأمر رسول الله صلى الله عليه وآله، وكان لهم المكانة الرفيعة عند النبيِّ الأكرم صلى الله عليه وآله. عُرِفَ عبد الله بشمائله الهاشميَّة من الجود والشجاعة والحلم، وكان من أشدِّ المناصرين لمبدأ الولاية لأهل البيت عليهم السلام بلسانه وسيفه.

وكان ثمرة هذا الاقتران المبارك هما محمّد وعَون، اللذان استُشهِدا بين يدَي خالهما الإمام الحسين عليه السلام، وهو أقلّ ما يمكن أن يُقدِّمه عبد الله للإمام الحسين عليه السلام، بسبب عدم خروجه معه إلىٰ كربلاء بسبب مرضه، قائلاً: إنْ لم تنصره يداي فقد نصره ولداي[1]. قُتلا بمرأىٰ ومسمع أُمّهما زينب عليها السلام جبل الصبر الذي لا يزول.

عاشت السيِّدة زينب في بيت عبد الله زاهدةً عابدةً، بالرغم من ثراء عبد الله إلَّا أنَّها عاشت حياة التقشّف والزهد، وكانت ملجأً للمحتاجين والفقراء، تقضي حوائجهم وتسدُّ عوزهم، فكانت المرفأ الهادئ والدافئ لهم علىٰ سيرة أبيها أمير المؤمنين عليه السلام، وكانت أُنموذج المرأة الصالحة والمطيعة والراعية لبيت زوجها، مع علم عبد

(١) لـمَّا بلغ عبد الله بن جعفر قتل ابنَيه مع الحسين عليه السلام، دخل عليه بعض مواليه فقال: هذا ما لقينا من الحسين! فحذَفه بنعله وقال: يا ابن اللخناء، أللحسين تقول هذا؟! والله لو شهدتُه ما فارقتُه حتَّىٰ قُتِلْتُ معه، والله لمـَّا يُسلّيني عنهما أنَّهما أُصيبا معه، وهو أخَي وابن عمّي. (جواهر المطالب في مناقَب الإمام عليّ عليه السلام/ محمّد بن أحمد الدمشقي الباعوني الشافعي ٢: ٢٩٦).

الله بروحيَّة زينب وسموّ نفسها ومعرفتها وبعظم شأنها، فكان لها الزوج الحميم والوليّ الأمين.

الأخت وأخوها:

كانت العلاقة التي تربط السيِّدة زينب عليها السلام مع أخوَيها الحسنين عليهما السلام علاقةً استثنائيَّةً، هي فوق رابطة الأُخوَّة المحضة، تتعامل معهما بناءً علىٰ كونهما إمامين معصومين مفترضي الطاعة، فنظرة زينب لهما ليست كالآخَرين، هي الأُخت وهي الموالية، وبالمقابل فإنَّ الإمامين تعاملا معها بمنتهىٰ الاحترام والقدسيَّة؛ إجلالاً لشأنها وتعظيماً لقدرها، بعد اطِّلاعهم علىٰ ما ستلاقيه معهما وبعدهما.

لم تزل زينب عليها السلام إلىٰ جنب أخيها الحسن عليه السلام، تراقبه وتتابعه بشوقٍ ولهفةٍ، وهي تشاهد ملامحه المحمّديَّة وشمائله العلويَّة، تنظر إليه نظرة الأُخت الصغيرة التي ترىٰ في أخيها الأكبر قدوتها وشريكها في فرحها وحزنها، يحنو عليها ويلاطفها، يجوبان أطراف البيت باللعب والضحك، فكان لها الأخ والصديق، وقد ملأ كيانها بالمحبَّة والعناية، فإن غاب أبوها قام الحسن مقامه، تشاطره كلَّ لحظات حياته بحلوها ومُرِّها، يجوعان ويشبعان سويَّة، فيغمرها بوافر رعايته الأخويَّة.

ولم تكن زينب عليها السلام بمنأىً عن أحاديث رسول الله صلى الله عليه وآله، بكثرة الابتلاء والخصوم الذين أضمروا لجدِّهما عداوته لينتقموا من ذرّيته شرّ انتقام. وبما أنَّ زينب وريثة أُمّها، فقد كانت السيِّدة

الزهـراء عليها السلام دائمـة الحـديث والوصـيَّة لابنتهـا الصـبورة أن تـؤدّي أمانتها لأخويها لحظات فراقهم الأخيرة، فالبنت سرُّ أُمِّها.

واصـلت زينـب عليها السلام ملازمتهـا للإمـام الحسـن عليه السلام حتَّـىٰ بعـد زواجهـا، فهـو أمـرٌ إلهـيٌّ وتواصـلٌ ربّـانيٌّ لم ينطلـق مـن منطلـق العاطفـة أو الانـتماء الأُسريِّ فحسـب، بـل تكليـفٌ أوجبـه الله عليهـا، فبعـد تـولّي الإمـام الحسـن عليه السلام زِمـام الأُمـور لخلافـة المسـلمين، وتأليـب معاويـة عليه وخروجه عن البيعة.

بـادر الإمـام الحسـن عليه السلام لجمـع العُـدَّة والعديـد لحربـه، مسـتكمِلاً مـا بـدأه عـليٌّ عليه السلام، ولكـنَّ كثـرة الفـتن وتلاعـب الهـوىٰ بنفـوس أنصـاره وقياداتـه العسـكريَّة أدّىٰ إلىٰ انهيـار معسـكر الإمـام الحسـن عليه السلام، وأصـبح الوضـع العـامّ يُنـذِر بفتنـةٍ كـبرىٰ تـأتي عـلىٰ الإسـلام والمسـلمين، مـع وجـود خطـرٍ مُـداهمٍ مـن قِبَـل الـروم وأطماعهم في الاستحواذ علىٰ البلاد الإسلاميَّة..

عـدَّة ظـروفٍ اجتمعـت حـول الإمـام الحسـن عليه السلام آلـت إلىٰ إيجـاد مخـرجٍ يحفـظ دمـاء المسـلمين، وخصوصـاً شـيعة عـليٍّ بـن أبي طالـب عليه السلام، فالمـدُّ الأُمـويّ بالمـال والإشـاعة الكاذبـة أخـذ مأخـذه في شـحن أجـواء المجتمـع الإسـلاميّ بالفسـاد والخـوف، وقـد استشـعر الإمـام عليه السلام خطورة الموقـف وحـاول إيجـاد السُّـبُل لسـحب البسـاط مـن تحـت أقدام معاوية، الـذي ظـنَّ أنَّ معاهـدة الصـلح التـي عرضـها عـلىٰ الإمـام الحسن عليه السلام وما تضـمَّنته مـن بنـودٍ وضـعها الإمـام بنفسـه كفيلـة بإنهـاء الوجـود العلـوي، غـافلاً عـن أنَّ أهـل البيـت عليهم السلام بتسـديدهم الربّـانيّ

علىٰ علمٍ ودرايةٍ بكلِّ ما يقومون به، لتتمَّ معاهدة الصلح ويخرج المسلمون من عُنق الزجاجة بفضل حِكمة الإمام الحسن عليه السلام وقيادته، ليواجه ردّ فعل جاهلٍ ومتعنِّت، يُنبئ عن هشاشة المواقف مِنْ قِبَل أنصار الإمام الحسن عليه السلام، غير مدركين كُنه وحقيقة الإمام المعصوم المنصَّب من قِبَل الله تعالىٰ، والتسليم له باعتباره وليّ الأمر وواجب الطاعة.

لكنَّ حلومهم حلوم الأطفال وعقول ربّات الحِجال، لم تُنصِف الإمامَ ولم ترعَ حقَّه.. وفي كلِّ ذلك كان للسيِّدة زينب عليها السلام الأثر الميدانيّ والتعبويّ للدفاع عن موقف الإمام الحسن عليه السلام، مع علمها المسبق بما ستؤول إليه الأُمور، محاوِلةً توعية الناس لحقيقة الصلح ومعناه، مبيِّنةً بنوده وما تتضمَّنه من فضح السياسة الأُمويَّة، متولّيةً الجانب الإعلاميّ لردِّ الشبهات التي ألقاها أعراف الفتن للتشويش علىٰ الناس في حقائق الأُمور.

لكنَّ الحوراء عليها السلام عملت ضدَّ هذا التيّار الهمجيّ بتركيزِ أُسس الإسلام الصحيح الذي يُمثِّله الإمام الحسن عليه السلام سبط النبيِّ صلى الله عليه وآله ووارث عليٍّ عليه السلام، ولكنَّ خفاء أثرها في التاريخ بسبب ارتباطها بالإمام الحسن عليه السلام وعدم تسليط الضوء عليها مع وجوده؛ فكلُّ ما كان يفعله الإمام كانت زينب بمعيَّته ومِنْ أسبابه وأحد أيدي الإمام التي كان يتحرَّك بها، فهي الشريكة الأساسيَّة مع أخيها الحسن عليه السلام في ترطيب الأجواء التي سادت عمليَّة الصلح.

وبما أنَّ المرأة نصف المجتمع الإنساني، فقد تولَّت زينب عليها السلام

الجانب النسويّ في نهضتها الحسنيَّة، بل حتَّىٰ علىٰ مستوىٰ الرجال، فزينب بمكانها من رسول الله صلى الله عليه وآله وعليٍّ وفاطمة عليهما السلام احتلَّت مساحةً واسعةً في نفوس المسلمين، مع شهادتهم لها بالعلم وحُسن التدبير في شؤونهم الدينيَّة والاجتماعيَّة.

إنَّ السيِّدة زينب عليها السلام تُعَدُّ ركيزةً ودعامةً إسلاميَّةً، لها ثِقلها في مباني الثقافة الإسلاميَّة، مع كونها محدِّثةً عن جدِّها رسول الله صلى الله عليه وآله وأمير المؤمنين عليه السلام وأُمِّها فاطمة عليها السلام وراويةً لأخبارهم.

إلىٰ أن يصل الإمام الحسن عليه السلام إلىٰ الأجل المحتوم بوقيعة الغدر المشؤوم، فيُسقىٰ السمَّ الزُّعاف، بأيدي المَرَدةِ الأجلاف، فينالون مآربهم ويزدادون في غيِّهم، لِتُصاب زينب عليها السلام _ بعد مصاب أبيها وأُمِّها _ بأخيها الحسن عليه السلام وشقيقها الذي لازمَته في صِغره ونصرَته في محنته، مؤدّيةً الأمانة عن أُمِّها، حاضرةً عند توديعها لأخيها، فتدخل عليه في ساعاته الأخيرة صائحةً: «**وا أخاه، وا حسناه، وا سنداه، وا لهفاه، وا قِلَّة ناصراه! يا أخي، مَنْ ألوذ به بعدك؟ وحزني عليك لا ينقطع طول عمري**». وبكت علىٰ أخيها وهي تلثم خدَّيه وتتمرَّغ عليه وتبكي عليه طويلاً[1]، فتفجع الملأ الأعلىٰ، وتنوح مع نوحها ملائكةُ السماء.

ها هو حَسَنكِ _ يا زينب _ قد لاقىٰ المنون بمُهجةٍ داميةٍ وكبدٍ مقطَّع، وهو يدير عينيه بين أخيه الحسين عليه السلام وعينيكِ، ودموعه تُغرِق وجنتيه؛ لما ستلاقيان من هول كربلاء!

---

(١) معالي السبطين/ المازندرانيّ ١: ٥٩/ المجلس التاسع.

وبهذا تُكمِل السيِّدة زينب عليها السلام المرحلة الأُولىٰ من قيامها المقدَّس في ظلِّ الإمام الحسن عليه السلام، منتظرةً إكمالها بصحبة الإمام الحسين عليه السلام؛ فالصلح الحسنيّ والنهضة الحسينيَّة هما فرعان لمحور الرسالة الإسلاميَّة المحمّديَّة، تُكمِل إحداهما الأُخرىٰ باختلاف الظروف والمناسبات، إلَّا أنَّهما وجهان لعملةٍ واحدةٍ، ووظيفة زينب عليها السلام هي كونها حلقة الوصل بينهما، وتحوّل زينب من مرحلة الإعلام الساكن إلىٰ الإعلام المتحرِّك بما تقتضيه الحالة، وطبيعة المورد لا يُخصِّص الوارد.

وحركيَّة زينب تختلف باختلاف مواردها؛ فهي تستجمع في داخلها كلَّ مكامن القوَّة الحيدريَّة في إسناد الحسن عليه السلام ومساندة الحسين عليه السلام في جولات البطولة والفداء والصبر.

إكمال المسيرة الحسينيّة:

ربَّما كانت أواصر الترابط بين الحسين عليه السلام وأُخته الحوراء زينب تنحىٰ منحىٰ آخَر، لكون المسافة الزمنيَّة بين عمريهما الشريفين أقلّ؛ ولأنَّ الموروث الإخباريّ الذي ربط زينب عليها السلام بالحسين عليه السلام أقوىٰ؛ فالحسين عليه السلام في نهضته ترجم كلَّ البراهين والأدلَّة الإلهيَّة التي بُعِثَ بها النبيُّ صلى الله عليه وآله وقاتل عليها عليٌّ عليه السلام واستُشهِد من أجلها المجتبىٰ عليه السلام، لتؤطِّر هذه النهضة جهودَهم بفتح آفاق الإسلام إلىٰ أبعد حدوده.

ولكلِّ قيامٍ جانبان: عمليٌّ وتبليغيٌّ. قام الإمام الحسين عليه السلام بالجانب الأوَّل بإعلان وثيقة الإسلام والإنسان، برفض الباطل

وإسقاط محاور الشرِّ التي دارت رحاها لطحن القيَم العُليا للإسلام ومآثر الأولياء، لكي تسطع شمس الحقيقة وتُحرق بأشعَّتها بؤر الفساد ومكامن الشيطان.

ولتبدأ السيِّدة زينب عليها السلام مسيرتها الجهاديَّة والبطوليَّة بعهدٍ معهودٍ ووعدٍ موعود، مُسفِرةً عن وجه الحقيقة، وقد تصاغر أمامها ملوك الضلال، تجري في عروقها دماءُ عليٍّ عليه السلام، وهي تهزُّ بخُطَبها _ التي توأمتْ خُطَب أبيها _ قصرَ الإمارة، مستثمرةً هذا التجحفل للكوفيّين للإعلان عن المبادئ الأُولىٰ للنهضة الحسينيَّة، غير آبهةٍ بسلطانهم ولا خائفة بطشهم، بل إنَّها كانت مصدراً لرعبهم، وهي تعيش فاجعة فقد الإخوة والأبناء وإمامِ زمانها الحسين عليه السلام بقلبٍ كالحديد، عصفت ببيانها عبارات الحقد والتشفّي منهم، وما كان ردُّهم سوىٰ التقريع برأس المولىٰ أبي عبد الله عليه السلام، فما زادها ذلك إلَّا حماساً وحُجَّةً نسفت بها إسلامهم المزعوم، متحوِّلةً من الدفاع إلىٰ الهجوم، لتقلب الرأي العامّ علىٰ ابن زياد بحنكتها وسياستها! وكذا تقوم زينب عليها السلام مقام المدافع والمحامي عن الإمام المعصوم بعد الحسين عليه السلام، والذي شاءت إرادة الله بقاءه لحفظ الإمامة فيه، وهو عليُّ بن الحسين عليه السلام، فيهمُّ ابنُ زياد بقتله لاستئصال شأفة آل البيت، ولكن حال بينه وبين قتل الإمام عليه السلام تقادير الله، ووقوف زينب حائلاً دون ذلك بصمودٍ وتحدٍّ.

ثمّ تبدأ رحلة الشام الطويلة بعقباتها الكؤود وخطواتها المغبرة

بـتراب القهـر والهـوان، لكـنَّ عزيمـة زينـب المسـتمدَّة مـن جـدِّها ووالـدَيها وأخوَيهـا أفشـلت كـلَّ مخطَّطـات كسْـرِها وإذلالهـا، فتمـدُّ عنقهـا بشـمم وإبـاء لترتقـي إلىٰ رأس المـولىٰ أبي عبـد الله عليه السلام، فتبصـر عينيـه، تراقـب أيتامـه بـين يـدَي زينـب، وقـد سـجَّلت السـيِّدة زينـب في كـلِّ مدينـةٍ تمـرُّ بهـا في سـبيها موقفـاً بطوليَّـاً عجـز جـلاوزة الخليفـة الأُمـويّ عـن ردعهـا، فثبَّتـت في كـلِّ ركـنٍ مـن الأرض شاخصـاً للقيـام الحسيني.

حتَّـىٰ وصـلت إلىٰ الشـام المشـؤوم، وقـد جرَّتهـا المقـادير والـدواهي للوقـوف بـين يـدَي أراذل خلقـه المتحكّمـين بمصـائر الأُمَّـة بالحديـد والنـار، فتُضـفي عـلىٰ مسـرح التشـفّي بهـم معـالم النهضـة وأهـدافها، فتُبلـغ بهـا بأصـالة الكـلام وتمـام الحجَّـة البالغـة، وتجعـل مـن يزيـد خشـبةً مسـندةً بفضـح برنامجـه التكفـيريّ، ودقّ المسـمار الأخـير في نعش سـلطان بنـي أُميَّـة، مُخرِجـةً النـاس عـن صـمتها، ومُحـرِّرةً نفوسـهم مـن قيـود العبوديَّـة، ولترسـم معـالم وملامـح ثـورةٍ أزليَّـةٍ أصـبحت مصـدراً لجميـع أفكـار التحـرّر في العـالم، ومنهجـاً تعليميَّـاً وتربويَّـاً للإنسـانيَّة بـرؤىٰ هـذه الثـورة الدينيَّـة، فتُنهـي السـيِّدة زينـب مرحلـة السـبي، وتتجـاوز آلامهـا ومصـائبها التـي أخـذت مـن زينـب مأخـذاً عظـيماً، محوِّلـةً البوصـلة في مسـيرتها التعبويَّـة إلىٰ مدينـة جـدِّها رسـول الله صلى الله عليه وآله، مؤسِّسـةً مدرسـةً جديـدةً للـوعي الإسـلاميِّ، مُنطلِقـةً مـن دروس الطفِّ التي ظلَّ يلهج بها الدهر علىٰ طول مدياته.

واللافِـت للنظـر أنَّ حركـة السـيِّدة زينـب الثوريَّـة كانـت بحضـور

الإمام المعصوم عليّ بن الحسين عليه السلام، الذي كانت له الولاية عليها، لكنَّه كان يعلم بالدور الزينبيِّ في هذه المرحلة، ففوَّضَ إليها إدارة هذه الثورة، مُقِرَّاً لها بكلِّ ما تفعل، قائلاً لها: «**يا عمَّة... أنتِ بحمد الله عالمةٌ غير معلَّمة، فَهِمةٌ غير مفهَّمة**»[1]، فيُبرِز شخصيَّةَ عمَّته زينب العمليَّة والسياسيَّة والجهاديَّة، مضيفاً: «**فتحتُ عيني ليلة الحادي عشر من المحرَّم، وإذا أنا أرىٰ عمَّتي تُصلّي نافلة الليل وهي جالسة! فقلتُ لها: يا عمَّة، أتُصلّين وأنتِ جالسة؟ قالت: نعم يا ابن أخي، والله إنَّ رجلي لا تحملني**»[2]، مُبيِّناً جانباً آخر، وهو الجانب العباديّ لها، مُشيراً إلىٰ أهمّية وضعها المعنويّ في الرسالة الإسلاميَّة الذي لا يقلُّ أهمَّيةً عن أثر باقي المعصومين.. وقد كانت زينب في المدينة تؤلِّب الناس علىٰ القيام علىٰ الأخذ بثأر الحسين عليه السلام[3].

إذن، فتسيير الأُمور بهذه الطريقة يحتاج إلىٰ كفاءةٍ عاليةٍ لا تتوفَّر إلَّا عند السيِّدة زينب عليها السلام، مع وجود محاولات استغلال دم الإمام الحسين عليه السلام لمآرب شخصيَّةٍ وطموحات غير مشروعة، مثل ابن الزبير وعمرو بن سعيد.

وفاتها:

بعد إكمال مشروعها الإلهيّ وتقديمها التضحيات العِظام ومكابدتها شتّىٰ أنواع الظلم والتضييق، وبسبب معارضتها السياسةَ

(١) الاحتجاج/ الطبرسي ٢: ٣١.
(٢) زينب الكبرىٰ/ جعفر النقدي: ٥٨.
(٣) قاموس الرجال/ التُّستري ١١: ٤٠.

الأُمويَّة وتأليب المجتمع الإسلاميّ عليهم والمطالبة بالأخذ بثأر الحسين عليه السلام، لا الثأر العشائري، بل الثأر للحقِّ والعدل ضدّ الظلم والجَور، فما قيام الحسين عليه السلام لطلب مُلكٍ أو خلافة، بل لإرجاع الناس إلىٰ الإسلام المحمّديّ الأصيل، وهذا ما كانت تسعىٰ إليه زينب عليها السلام في حركتها التبليغيَّة التي أثارت ثائرة حاكم المدينة عمرو بن سعيد، فكتب إلىٰ يزيد بخطر وجودها في المدينة، داعياً إيّاه إلىٰ استدعائها إلىٰ الشام، ولكنَّ يزيد عليه اللعنة كان يتخبَّط في مساعيه إلىٰ تثبيت مُلكه العقيم بإباحته المدينة وضرب الكعبة المقدَّسة بالمنجنيق.

أمَّا سبب سفر السيِّدة زينب عليها السلام إلىٰ دمشق مع زوجها عبد الله بن جعفر فمُختلَفٌ فيه؛ فإمَّا أن يكون بسبب مرض عبد الله بن جعفر زوجها وسفره إلىٰ الشام، لما كان يملكه من ضياعٍ وبساتين هناك، فيذهب لأجل النقاهة من مرضه؛ أو لأنَّ تضييق الخِناق السياسيّ عليهم جعلهم يلتجؤون للسفر إلىٰ الشام لفكِّ الحصار عليهم.

وبالنتيجة فإنَّ سفر السيِّدة زينب عليها السلام قد وقع إلىٰ الشام علىٰ كراهةٍ منها؛ للذكريات الحزينة التي تحملها من سبيها والتنكيل بها، ولكنَّ المقادير الإلهيَّة شاءت أن تكون الشام التي هي مَعقِل الأُمويّين مكانَ وفاتها ودفنها عام (٦٢هـ)، لتكون شاخِصاً متحدّياً لقوىٰ الإرهاب الأُموي، وشاهداً لمظلوميَّة أهل البيت عليهم السلام، يقضُّ مضاجعهم ويدكُّ حصونهم، ولتكون زينب عليها السلام رمزاً ثوريَّاً لأحرار العالم في كلِّ زمانٍ وفي كلِّ مكانٍ.

وقد اختلفت الروايات والآراء في مكان دفن السيِّدة زينب عليها السلام بين أن يكون في الشام أو في مصر، بسبب وقوع التلابس بينها وبين شخصيّاتٍ أُخرىٰ بنفس الاسم: زينب الصغرىٰ بنت أمير المؤمنين، وزينب بنت عليّ أُخت الحسين صاحب وقعة (فخّ).. ولكن اشتهر بين العلماء أنَّ قبرها في الشام.

وكذلك وقع الخلاف في سنة ميلادها ووفاتها، هل كانت ولادتها في السنة الخامسة للهجرة أو السنة السادسة للهجرة؟ والصحيح أنَّها في السنة الخامسة بحساب مواليد الحسنين عليهما السلام وشهادة الزهراء عليها السلام، وكذلك وقع الاختلاف في سنة وفاتها بين السنة (٦٢هـ) والسنة (٦٥هـ)، والأوفق هو السنة (٦٢هـ)، وهو ما اشتهر عند أرباب التاريخ والسيَر.

ولكنَّ السيِّدة زينب بنت أمير المؤمنين وفاطمة الزهراء عليهما السلام وحفيدة رسول الله صلى الله عليه وآله تبقىٰ _ في عقيدتنا _ الجبلَ الأشمّ والصرح العالي، وقمَّةً من قمم الإنسانيَّة التي علَّمتنا معاني الإخلاص والوفاء والصبر والتحدّي والشجاعة والانتصار لمبادئ الحريَّة والعدالة الإنسانيَّة، باعثةً في أنفُسنا الإباء ونصرة الدين والتضحية بالغالي والنفيس لإعلاء كلمة الله الحقِّ، مُناجِزةً الكفر والضلال والانحراف بشفّافية روحها وقوَّة إرادتها.

فعليكِ سلام الله أيَّتها الطاهرة، يا ثاني سيِّداتِ النساء بعد أُمِّكِ الزهراء عليها السلام، يا مظهر عليٍّ أمير المؤمنين عليه السلام، وعضد الحسن المجتبىٰ عليه السلام في مصائبه ومحنه، وسنده في الملمّات والمهمّات، وصانعة النصر لصلحه الذي حقن به دماء شيعته وحفظ به بيضة الإسلام،

فكنتِ الشريك المخلص والمستشار الأمين علىٰ مصلحة المسلمين، رتقتِ فتقاً وقوَّمتِ مائلاً، فكان مقدَّمةً للنهضة الحسينيَّة التي أكملت بها حُجَّة الحسنين عليهما السلام، فكنتِ رونق الإمامة وكتابها المنمَّق.

* * *

هند بنت أبي أميّة
(أمّ سَلَمة)

لم تَجُدْ مدَّة نزول الرسالة المحمّديَّة بكثيرٍ من الشخصيّات التي آمنَت إيماناً كاملاً وتسليماً تامَّاً بصاحب الرسالة، منتقلةً من عالم الجهل والخرافة إلىٰ عالم العلم والنور، وبشكلٍ دفعيٍّ لا تدريجيٍّ، لتسبق أقرانها ممَّن دخلوا الإسلام، لتقطع أشواطاً كبيرةً وبصورةٍ متسارعةٍ، بغية الحصول علىٰ أكبر قدر من المعرفة التوحيديَّة والسُّنَّة النبويَّة، لتظفر بالأصل الثالث بكلِّ يقينٍ واطمئنانٍ، بل لتكون حلقة وصل في سلسلتها وموضع ثقةٍ للمعصوم، تأخذ منهم وتُبلِّغ عنهم، فتكون حُجَّةً دامغةً ودليلاً تامَّاً..

ومِنْ هذه الشخصيّات الفريدة هي السيِّدة هند بنت أبي أُميَّة المخزوميَّة، والتي عُرِفَت بكنيتها: (أُمّ سَلَمة).

نسبها:

هي بنت أبي أُميَّة، وأبوها: حُذَيفة بن المُغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم، وأُمُّها: عاتكة بنت عامر بن ربيعة أحد بني غنم بن مالك بن كِنانة[1]، فهي من بيتٍ عربيٍّ عريق ذي عِزَّة ومَنَعة، له مكانته الاجتماعية وصيته القبليّ.

---

(١) أنساب الأشراف/ البلاذريّ ١: ٤٢٩.

تزوَّجها أبو سَلَمة، واسمه: عبد الله بن عبد الأسد بن هلال، وكان من خيار الصحابة ومن المسلمين الأوائل، هاجر وزوجته أُمّ سَلَمة إلىٰ أرض الحبشة في الهجرتين جميعاً، فولدت له في الهجرة زينب وسَلَمة وعمر ودرَّة[1]، وكان أبو سَلَمة ابنَ عمَّة رسول الله صلى الله عليه وآله ورضيعه، وأُمُّه برة بنت عبد المطَّلب، شهد بدراً وأُحُداً، وأُصيب فيها بجراحاتٍ فمات، فكبَّر عليه رسول الله صلى الله عليه وآله تسع تكبيرات[2]، إظهاراً لحقِّه وتعريفاً بشأنه.

زواجها من رسول الله صلى الله عليه وآله:

بعد رحيل أبي سَلَمة، وتكريماً لها وإجلالاً لقدرها، تزوَّجها النبيُّ صلى الله عليه وآله، وهي ثالث زوجاته بعد السيِّدة خديجة وزينب بنت جحش، حفظاً لصونها ومعرفةً بقدرها، وهي من زوجات النبيِّ صلى الله عليه وآله المؤمنات المخلِصات، اللواتي وفَين له إلىٰ آخر حياتها، مؤمنةً بأوصيائه، بل كانت من خواصّهم.

ومِنْ أدبها وجمال روحها أنَّها قالت لرسول الله صلى الله عليه وآله عندما خطبها: إنَّ فيَّ خِلالٌ ثلاث: أمَّا أنا فكبيرة السنِّ، وأنا امرأةٌ مُعيل، وأنا امرأةٌ شديدة الغَيرة. فقال لها النبيُّ صلى الله عليه وآله: «**أنا أكبرُ منكِ، وأمَّا العيال فإلىٰ الله، وأمَّا الغَيرة فأدعو الله فيُذهِبها عنكِ**». فتزوَّجَها، فلمَّا دخل عليها قال: «**إن شئتِ سبعتُ لكِ، وإن سبعتُ لكِ سبعت لنسائي**»، فرضيَت بالثلاث[3].

---

(١) المنتخَب من ذيل المذيَّل من تاريخ الصحابة والتابعين/ الطبريّ: ٩٥.

(٢) تاريخ الطبريّ ٢: ٤١٤.

(٣) الإصابة/ ابن حجر ٨: ٣٤٣.

وكانت مُكرَّمةً عند النبيِّ ﷺ عزيزة، لعلمه بمكنونها وسلامة دينها، ولم تُخيِّب أُمُّ سَلَمة ظنَّ النبيِّ ﷺ فيها، فكانت أُنموذج الزوجة الصالحة والمرأة الفاضلة، وكانت كالمرآة تعكس كلَّ ما يُحِبُّ ويرضىٰ، مؤمِّناً لها علىٰ عقيدتها وسلوكها المحمّديّ الناصح، وكان زواجه منها سنة أربعة للهجرة.

روايتها للحديث وتوثيقها:

وبحكم ملازمتها لرسول الله ﷺ زمناً طويلاً، ولقربها للأحداث، أصبحَت من راويات الحديث، فقد نُقِلَ عنها ثلاثمئةٍ وثمان وسبعون[1] حديثاً ومِنْ كلا الفريقين، وهي تُعَدُّ منقبةً لها تميَّزت بها عن سائر زوجات النبيِّ ﷺ، وفضيلةً لها.

ومِنْ أهمِّ الأحاديث التي روتها أُمُّ سَلَمة حديث: «**مَنْ كنتُ مولاه فعليٌّ مولاه**»، وحديث الثقلين، وحديث آية التطهير.

فهي ثقةٌ في الحديث، وثَّقها البرقي في (رجاله) والطوسي[2] وابن سعد في (طبقاته)[3]، روىٰ عنها كثير من المحدِّثين، منهم: ابن عبّاس، وابنها عمر، وزينب، ونافع مولاها.

أُمّ سَلَمة تشهد الوصيّة لأمير المؤمنين عليه السلام:

كان بيت أُمِّ سَلَمة المبارك مأوىٰ لرسول الله ﷺ؛ لأنَّ أُمَّ

(١) الفصول المهمَّة في معرفة الأئمَّة/ ابن الصبّاغ: ٤٢.
(٢) معجم رجال الحديث/ الخوئي ٢٤: ٢٠٣.
(٣) الطبقات الكبرىٰ/ ابن سعد ٨: ٨٦.

سَلَمة كانت أرفق نسائه به وألطفهنَّ إليه وأحبَّهنَّ منه، ولكن لعدالة رسول الله صلى الله عليه وآله جعل لها يوماً من تسع. وفي أحد أيّامها شهدَت أمراً عظيماً سيضع الأُمور في مواضعها التي أرادها الله تعالىٰ، وهي قضيَّة الخلافة الإلهيَّة التي بها يتمُّ الدين..

ففي روايةٍ عن أُمِّ سَلَمة تحاول فيها إرشاد مولىٰ لها أشرف علىٰ رعايتها وتربيتها، وكان لها بمثابة والدها، كان لا يُصلّي صلاةً إلَّا ويسبُّ عليَّاً عليه السلام ويشتمه، فقالت له: سأُحدِّثك بسرٍّ رسول الله صلى الله عليه وآله، فاجلسْ حتَّىٰ أُحدِّثك عن عليٍّ عليه السلام وما رأيتُه: قد أقبل رسول الله صلى الله عليه وآله، وكان يومي، فدخل النبيُّ صلى الله عليه وآله وهو مخلِّلٌ أصابعه في أصابع عليٍّ عليه السلام، واضعاً يده عليه، فقال: «**يا أُمَّ سَلَمة، أُخْرُجي من البيت وأخليه لنا!**»، فخرجت، وأقبلا يتناجيان، وأسمعُ الكلام ولا أدري ما يقولان، حتَّىٰ إذا أنا قلت: قد انتصف النهار! أقبلت، فقلت: السلام عليكم، أَلِج؟ قال النبيُّ صلى الله عليه وآله: «**فلا تلجي**»، فرجعتُ فجلستُ مكاني، حتَّىٰ إذا أنا قلت: قد زالت الشمس، الآن يخرج إلىٰ الصلاة، فيذهب يومي! ولم أرَ قطّ أطول منه، أقبلتُ أمشي حتَّىٰ وقفتُ علىٰ الباب، فقلت: السلام عليكم، أَلِج؟ فقال النبيُّ صلى الله عليه وآله: «**نعم، فلجي**»، فدخلت، وعليٌّ واضعٌ يده علىٰ ركبتَي رسول الله صلى الله عليه وآله، قد أدنىٰ فاه من أُذُن النبيِّ صلى الله عليه وآله، وفم النبيِّ صلى الله عليه وآله علىٰ أُذُن عليٍّ، يتسارّان، وعليٌّ يقول: «**أفأمضي وأفعل؟**»، والنبيُّ صلى الله عليه وآله يقول: «**نعم**». فدخلتُ وعليٌّ مُعرِضٌ وجهه حتَّىٰ دخلتُ، وخرج، فأخذني النبيُّ صلى الله عليه وآله في حجره فالتزمني، فأصاب منّي ما

يصيب الرجل من أهله من اللطف والاعتذار، ثمّ قال لي: «**يا أُمَّ سَلَمة، لا تلوميني؛ فإنَّ جبرائيل أتاني من الله تعالىٰ بأمرٍ أن أُوصي به عليَّاً من بعدي، وكنتُ بين جبرائيل وعليّ، وجبرئيل عن يميني وعليٌّ عن شمالي، فأمرني جبرئيل أن آمر عليَّاً بما هو كائنٌ بعدي إلىٰ يوم القيامة، فاعذريني ولا تلوميني. إنَّ الله اختار مِنْ كلِّ أُمَّةٍ نبيَّاً، واختار لكلِّ نبيٍّ وصيَّاً، فأنا نبيُّ هذه الأُمَّة، وعليٌّ وصيّي في عترتي وأهل بيتي وأُمَّتي مِنْ بعدي**»[1].

بقيَت هذه الكلمات ترنُّ في ذاكرة أُمِّ سَلَمة، مُدركةً أهمّية الموقف، لتبني بنيانها الصلب علىٰ أساس الولاية العلويَّة، والذي كان لها الشرف بأن يحتضن بيتها النبويّ تنصيب الخليفة الذي استبقَت يد الأحداث الجائرة رفعها عنه، ولكنَّ أُمَّ سَلَمة ما أن سمعت بولاية عليٍّ عليه السلام من فم النبيِّ صلى الله عليه وآله حتَّىٰ شدَّت حيازيمها للدفاع عن المبدأ الإلهيّ والإرث النبوي، لئلَّا يندثر الإسلام بدفع أهله عنه، مُبادِرةً إلىٰ التصميم بفرض ما يوجبه الله والعقل لتعدل كفَّة الميزان، فاستطردت بذكر كلّ ما سمعَت من النبيِّ صلى الله عليه وآله في حقِّ أمير المؤمنين عليه السلام.

عن أُمِّ سَلَمة قالت: كان عليٌّ علىٰ الحقِّ، مَنْ اتَّبعه اتَّبع الحقَّ، ومَنْ تركه ترك الحقَّ، عهدٌ معهودٌ قبل يومه هذا[2].

---

(١) مناقب عليّ بن أبي طالب وما نزل من القرآن في عليٍّ عليه السلام/ أحمد بن موسىٰ بن مردَوَيه الأصفهاني: ١٠٥.

(٢) مجمع الزوائد/ الهيثمي ٩: ١٣٤.

وعن ابن مردَوَيه، عن أبي ذرّ الغِفاري، عن أُمِّ سَلَمة قالت: سمعتُ رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: «**إنَّ عليّاً مع الحقِّ والحقُّ مع عليٍّ، لن يزولا حتَّىٰ يَرِدا عليَّ الحوض**»[١].

ولم تكتفِ أُمُّ سَلَمة بنصرتها أمير المؤمنين عليه السلام بلسانها، بل قدَّمت ولديها محمّداً وسَلَمة ليقاتلا بين يديه، قائلة: هما عليك صدقة، فلو يصلح لي الخروج لَخرجتُ معك[٢].

وقفَت بوجه رياح الفتن، متصدّيةً لعتوّها، تلملم أطرافها وترتق فتقها، مضمِّدةً جرح الإسلام الذي أُصيب من يوم السقيفة، مذكِّرةً ومُحذِّرةً عائشة يوم دعتها إلىٰ الخروج للبصرة في حرب الجمل، حتَّىٰ اضطرَّتها للعدول عن الخروج لولا رأس النفاق ابن الزبير الذي قلبها عن رأيها[٣]..

فهذه أُمُّ سَلَمة زوج النبيِّ صلى الله عليه وآله وأُمُّ المؤمنين، تُثبِت ولاية عليٍّ عليه السلام وبنيه بالقول والفعل والموقف، لم ترضخ تحت أيّ ضغوطٍ من جبابرة عصرها لتغيير مسارها العقديّ، مُجنِّدةً كلَّ طاقتها الفكريَّة والفعليَّة لحفظ حقّ فاطمة وأبنائها، مُجليةً الغُبرة عن وجه الحسنَين عليهما السلام، اللذَين طالما رأت رسولَ الله صلى الله عليه وآله يحتضنهما ويضمّهما إلىٰ صدره الدافئ، فتشعر ببرد الإيمان بهما، تستصغر شأن الدنيا التي

---

(١) مناقب عليّ بن أبي طالب وما نزل من القرآن في عليٍّ عليه السلام/ أحمد بن موسىٰ بن مردَوَيه الأصفهاني: ١١٦.

(٢) شرح الأخبار/ القاضي النعمان المغربي ٢: ١٩.

(٣) أعيان الشيعة/ السيِّد محسن الأمين ١: ١٣٣.

ربضت لتدكّ حصون عليائها دون جدوىٰ، فتصبح الأمين علىٰ كتبهم ومواريثهم بصلاحيةٍ مِنْ زوجها الحبيب جدّهما الذي ارتضىٰ لهما راعيةً جليلةً طاهرةً بطهر النبوَّة والولاية.

فاسلمي _ يا أُمَّ سَلَمة _ وأنتِ تزخرين بما حولكِ من أنفُسٍ زكيَّة، جلَّلَتكِ جلابيبَ العزِّ والفخار!

عن الإمام أبي عبد الله الصادق عليه السلام أنَّه قال: «**إنَّ الكتب كانت عند عليٍّ عليه السلام، فلمَّا سار إلىٰ العراق استودع الكتبَ أُمَّ سَلَمة، فلمَّا مضىٰ عليٌّ عليه السلام كانت عند الحسن عليه السلام، فلمَّا مضىٰ الحسن عليه السلام كانت عند الحسين عليه السلام ...**»[1].

وعن حِمران، عن أبي جعفرٍ الباقر عليه السلام، قال: سألتُه عمَّا يتحدَّث الناس أنَّه دُفِعَت إلىٰ أُمِّ سَلَمة صحيفةٌ مختومةٌ، فقال: «**إنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله لمَّا قُبِضَ ورث عليٌّ عليه السلام علمَه وسلاحه وما هناك، ثمّ صار إلىٰ الحسن، ثمّ صار إلىٰ الحسين عليه السلام، فلمَّا خشينا أن نُغشىٰ استودعها أُمّ سَلَمة، ثمّ قبضها بعد ذلك عليّ بن الحسين عليه السلام**»[2].

لقد صدقتِ ما عاهدتِ الله عليه أيَّتها الأمينة، فأنتِ الحافظة لسرِّهم والعازمة علىٰ أمرهم بحكمةٍ ودرايةٍ، فأصبحتِ منزل عليٍّ

---

(١) بصائر الدرجات/ الصفّار: ١٨٢/ الباب ١ في الأئمَّة عليهم السلام وأنَّه صارت إليهم كتب رسول الله وأمير المؤمنين صلوات الله عليهما / ح ١، عنه: بحار الأنوار/ المجلسيّ ٢٦: ٥٠/ الباب ١ جهات علومهم عليهم السلام وما عندهم من الكتب/ ح ٩٧.

(٢) الكافي/ الكليني ١: ٢٣٥/ باب ما عند الأئمَّة من سلاح رسول الله صلى الله عليه وآله ومتاعه/ ح ٧، عنه: الوافي/ الفيض الكاشاني ٣: ٥٧٣/ الباب ٧٩ ما عندهم من سلاح رسول الله صلى الله عليه وآله ومتاعه / ح ١١٢٩.

والحسن والحسين عليهما السلام، ضامرةً بركان الغضب في صدركِ العميق بعُمق إيمانكِ علىٰ الذين خالفوا ولاتهم وآلفوا هواهم..

بل إنَّ أُمَّ سَلَمة كانت ملاذاً لشيعة عليٍّ عليه السلام، فهذا عمّار بن ياسر بعد ضربه وإدمائه من قِبَل عثمان يلتجئ إلىٰ بيت أُمّ سَلَمة، لعلمه بمنزلتها وكرامتها، وأنَّها من المتفّقهات بالدين والحديث، وكذا جابر الأنصاريّ الذي هُدِّد بالقتل إنْ لم يبايع معاوية، فجاء بيت أُمّ سَلَمة يستفتيها قائلاً: إنّي أخاف أن أُقتَل، وهذه بيعة ضلال! فقالت له أُمُّ سَلَمة: إذن بايِع؛ فإنَّ التقيَّة حملَت أصحاب الكهف علىٰ أن كانوا يلبسون الصلبان ويحضرون للأعياد مع قومهم[1].

نستوحي من مضمون هذا الخبر أنَّ أُمَّ سَلَمة كانت لها درايةٌ وعلمٌ بالفقه ومسالكه، واستخدام التقيَّة التي هي من أهمِّ مناهج الإماميَّة في مواجهة التطرّف الأعمىٰ من قِبَل الآخَر، فهي محدِّثةٌ فقيهةٌ عالمةٌ صالحةٌ مواليةٌ، ثقةُ النبيِّ وآله، من أتباع نهج الصواب ومذهب الألباب، سكَنُ الرسول ومسكن فاطمة البتول، أمينة المعصومين وملجأ شيعتهم المظلومين.

آية التطهير وحديث الكساء:

لعلَّ من أهمِّ الأحداث التي عاشتها السيِّدة أُمّ سَلَمة في حياتها مع النبيِّ صلى الله عليه وآله وأهل بيته عليهم السلام، هو نزول آية التطهير في بيتها، الذي روت فيه حديث الكساء عن النبيِّ صلى الله عليه وآله، والذي

(١) تاريخ اليعقوبي/ اليعقوبي ٢: ١٩٨.

استَشهد به الإمامُ الحسن المجتبىٰ عليه السلام في خطبته في وثيقة الصلح مع معاوية، نقلاً عن الإمام الصادق عليه السلام، عن أبيه الإمام الباقر عليه السلام، عن أبيه الإمام عليّ بن الحسين عليه السلام، إذ قال الإمام الحسن عليه السلام في خطبةٍ طويلةٍ بيَّن فيها وذكَّر الناس مكانة أهل البيت عليهم السلام ومنزلتهم بسرد الآيات والأحاديث التي نزلَت فيهم، ومنها آية التطهير التي نزلت في بيت أُمِّ سَلَمة، وهو البيت الذي كان رسول الله صلى الله عليه وآله يأمن جانبه، يختصُّ وجوده في يوم أُمِّ سَلَمة بالتبليغ عن الله تعالىٰ.

وهو شهادةٌ لها من النبيِّ صلى الله عليه وآله بحفظها لسرِّهم وحفاظها عليه، حيث يقول الإمام الحسن عليه السلام: «**وقد قال الله تعالىٰ: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾**[1]، **فلمَّا نزلَت آية التطهير جمعَنا رسولُ الله صلى الله عليه وآله أنا وأخي وأُمّي وأبي، فجلَّلَنا ونفسَه في كساءٍ لأُمِّ سَلَمة خيبري، وذلك في حُجرتها وفي يومها، فقال: اللّهمّ هؤلاء أهلُ بيتي، وهؤلاء أهلي وعترتي، فأذهِبْ عنهم الرجس وطهِّرهم تطهيراً. فقالت أُمُّ سَلَمة: أدخل معهم يا رسول الله؟ فقال لها صلى الله عليه وآله: يرحمُكِ الله، أنتِ علىٰ خيرٍ وإلىٰ خير، وما أرضاني عنكِ، ولكنَّها خاصَّةٌ لي ولهم**»[2].

إنَّ ذِكر الإمام الحسن عليه السلام لآية التطهير ونزولها في بيت أُمِّ سَلَمة واجتماعهم عندها، يقطع بعظم علاقته وأخيه وأُمِّه وأبيه بهذه

---

(١) الأحزاب: ٣٣.

(٢) الأمالي/ الطوسي: ٥٦٥/ المجلس ٢١.

المرأة الطاهرة وتزكيتهم لها، وقد قضىٰ عندها الحسنان عليهما السلام أيّاماً كثيرةً يقضيان أوقاتاً طويلةً في بيتها الصغير، لينشآ علىٰ حبِّها ومودَّتها، وتكون شاهدةً علىٰ جرائم القوم بحقِّهما.

هذا الحسن _ يا أُمَّ سَلَمة _ يقف موقف الحزين المُبتلىٰ، قد استنجد بكسائك اليمانيِّ، ليُنبِّه الناس من غفلتهم بلا أُذُنٍ صاغية، فأين أنتِ عنه؟ هذا طفلكِ الذي طاف أركان بيتكِ مع أخيه الحسين، قد تولَّته أشباه الرجال، يسومونه القهر والتنكيل، ليرمقك من بعيدٍ بنظرة الألم، باعثاً برسالته إلىٰ جدِّه الرسول صلى الله عليه وآله بيدكِ الأمينة التي فارقها طويلاً بفراق رسول الله صلى الله عليه وآله، لتفيض عليه بحنانكِ المعهود.

إنَّ حديث الكساء الذي ترويه أُمُّ سَلَمة عن النبيِّ صلى الله عليه وآله فيه من دلائل الإمامة ما لا يقبل الشكَّ ولا يغاير اليقين، ويدلُّ علىٰ قرب المسافة بين أُمِّ سَلَمة وآل النبيِّ، وما طلبها من النبيِّ صلى الله عليه وآله بدخولها معهم إلَّا إثباتٌ بأنَّ أصحاب الكساء لا يشمل غير الخمسة: فاطمة وأبيها وبعلها وبنيها وأمَّا أزواجه _ والتي هي منهم _ فلا تشملهنَّ الآية، فهي حركةٌ ذكيَّةٌ وفطنةٌ منها لنفي الشبهة التي حاول بعض المفسِّرين وساسة الدين إلصاقها بهذه الآية مِنْ أنَّ الأهل تشمل الأزواج، فطلب أُمِّ سَلَمة ورفض النبيِّ لَهو دليلٌ قاطعٌ وصريحٌ بأنَّ الآية خاصَّة بهم، مع مكانة أُمِّ سَلَمة منهم وقربها إليهم، إلَّا أنَّه أمرٌ إلهيٌّ ليس لأحدٍ دخلٌ فيه، وطمأنةُ النبيِّ صلى الله عليه وآله لأُمِّ سَلَمة بأنَّها علىٰ خيرٍ وإلىٰ خير هو شارةٌ لها بسلامة دينها في الدنيا ومآلها إلىٰ الجنَّة وجوارهم في الآخرة.

ما أروع ما جنيتِ، وما ألطف ما لقيتِ، كنتِ قاب قوسين أو أدنىٰ مِنْ محور الملكوت، مزهوَّةً ببيعكِ الذي بايعتِ، زوج النبيِّ ﷺ وفدائيَّة الوصيِّ ﷺ وأنيسة الزهراء عليها السلام وأمينة الحسنين عليهما السلام، جمعتِ السؤدد والبهاء بين كفَّيكِ، وأنتِ تحضنين الريحانتين تشمّينهما، فتمتلئ روحكِ ريحاناً وبهجةً بغبطةٍ ونشوةٍ.. وفي الوقت ذاته تحفر دموعُ أُمِّ سَلَمة آماقها لِما سيلقيان من مصائب!

تقول أُمُّ سَلَمة: دخل رسول الله ﷺ ذات يوم ودخل في أثره الحسن والحسين عليهما السلام وجلسا إلىٰ جانبَيه، فأخذ الحسن علىٰ ركبته اليمنىٰ والحسين علىٰ ركبته اليسرىٰ، وجعل يُقبِّل هذا تارةً وهذا أُخرىٰ، وإذا بجبرئيل قد نزل وقال: يا رسول الله، إنَّك لَتحبّ الحسن والحسين! فقال: «**وكيف لا أُحِبُّهما وهما ريحانتاي من الدنيا وقُرَّتا عيني؟!**»، فقال جبرائيل: يا نبيَّ الله، إنَّ الله قد حكم عليهما بأمرٍ فاصبِرْ له. فقال: «**وما هو يا أخي؟**»، فقال: قد حكم علىٰ هذا الحسن أن يموت مسموماً، وعلىٰ هذا الحسين أن يموت مذبوحاً[1]؛ ليُفرىٰ كبدُ أُمِّ سَلَمة بسُمٍّ كبد الحسن عليه السلام، ولتذوبَ لوعةً وأسىً علىٰ سبط الرسول ﷺ، يتقلَّب في فراشه من ألم الغدر والخيانة، وأُمُّ سَلَمة تُقلِّب ناظرها لتُشبع عينيها وقلبَها المفجوع به مِنْ وجهه الذي اعتادت النظر إليه والتبرّك به، ليقضي الإمامُ الحسن عليه السلام بين يديها، فتتصدَّع لفقده بعد فقد أحبَّتها: جدّه وأبيه وأُمّه..

---

(١) بحار الأنوار/ المجلسي ٤٤: ٢٤١/ الباب ٣٠ إخبار الله تعالىٰ أنبياءه ونبيَّه ﷺ بشهادته/ ح ٣٥.

وتتأمَّل وجه الحسين عليه السلام، منتظرةً رزيَّته، فالوعد الأوَّل قد أُنجِز، وبقيَ النحر المذبوح، وفي قارورتها تربته التي ستتحوَّل دماً عبيطاً بسفك دمه الطاهر، فتسير الأيّام مستبقة الزمن، فيُقرِّر الحسين عليه السلام الخروج إلىٰ العراق، وتحاول أُمُّ سَلَمة منعه، لكن دون جدوىٰ، فحُكم الله لا يُغيَّر، لتنزوي أُمُّ سَلَمة في زاوية بيتها، تُسامِر قارورتها وتُناجي حبيبها النبيّ صلى الله عليه وآله بأنَّ الحسين قد حان أجلُه، وزينب عليها السلام قد استعدَّت لمسيرتها جاهشةً بالبكاء، فيرجع صدىٰ صوتها من جدران دارها الميمون بأنَّ لقاءك بالأحبَّة قريب، وأمانتك من مواريث الأئمَّة والإمامة في حصنكِ المنيع، بانتظار إيصالها إلىٰ الإمام المفترَض الطاعة، فتكونين قد أوصلتِ الأمانة إلىٰ أهلها، وأشرتِ _ يا أُمَّ المؤمنين _ إلىٰ إمام زمانكِ بالدليل والبرهان، ولتندبي بصوتكِ المبحوح حزناً مواسيةً فاطمة عليها السلام!

وكان رسول الله صلى الله عليه وآله قد أعطىٰ أُمَّ سَلَمة قارورةً فيها تربة من كربلاء، وقال لها: «**يا أُمَّ سَلَمة، خُذي هذه التربة إليكِ، وتعاهديها بعد وفاتي، فإذا رأيتِها قد تغيَّرت واحمرَّت وصارت دماً عبيطاً فاعلمي أنَّ ولدي الحسين عليه السلام قد قُتِلَ بطفِّ كربلاء**»[1]. فلمَّا رأت أُمُّ سَلَمة يوم مقتل الحسين عليه السلام _ وكانت هي في المدينة _ أنَّ القارورة امتلأت دماً، بكت بكاءً شديداً، وأخذت من هذا الدم ولطَّخت به وجهها.

---

(١) مدينة المعاجز/ السيِّد هاشم البحراني ٣: ٤٣٩/ الباب ٣ في معاجز الإمام أبي عبد الله الحسين بن عليّ بن أبي طالب الشهيد عليه السلام/ ح ٩٥٦.

وكان عدم خروجها مع الحسين عليه السلام إلىٰ كربلاء وبقاؤها في المدينة لحفاظها علىٰ كتب الإمامة وتسليمها إلىٰ عليِّ بن الحسين عليه السلام، حيث قال لها الحسين عليه السلام: «**إذا أتاكِ أكبر وُلدي فادفعي إليه ما دفعتُ إليكِ**». فلمَّا قُتِلَ الحسين عليه السلام أتىٰ عليُّ بن الحسين أُمَّ سَلَمة فدفعَت إليه كلَّ شيءٍ أعطاها الحسين عليه السلام[1].

وفاتها:

ولم تعش أُمُّ سَلَمة كثيراً بعد مقتل الحسين عليه السلام، فقد كان سبباً في حزنها الشديد عليه، فبعد الحسن والحسين أصبحت أُمُّ سَلَمة في بيتها باكيةً نادبةً علىٰ مصائبهم ومحنهم، بعد حياةٍ قضتها في خدمتهم والصدِّ عنهم، وهي زوج النبيِّ والحُجَّة علىٰ قومها، مُلزِمةً إيّاهم بما ألزموا به أنفسهم.

تُوفّيَت السيِّدة أُمُّ سَلَمة سنة (٦١هـ)، ولها من العمر أربعة وثمانون عاماً، قضتها في خدمة قضيَّتها بكلِّ حرصٍ وأمانة.

* * *

(١) بحار الأنوار/ المجلسي ٤٦: ١٨/ باب ٢ النصوص علىٰ الخصوص علىٰ إمامته والوصيَّة إليه وأنَّه دُفِعَ إليه الكتب والسلاح/ ح ٣، عن: الغَيبة/ الطوسي: ١٩٥/ ح ١٥٩.

أسماء بنت عُمَيس

وهي السيِّدة أسماء بنت عُمَيس بن مغنم بن تَيم بن مالك بن قحافة بن تمام بن ربيعة بن خثعم بن أنمار بن معد بن عدنان[1]، مِنْ أعرق بيوت العرب وأرسخها أصالةً ورفعةً.

أُمُّها: خَولة بنت عوف بن زُهَير بن الحارث بن حماطة بن جرش، وهي من سيِّدات بيت النبوَّة.

سيرة السيّدة أسماء:

اقترنت أسماء بنت عُمَيس في أوَّل زيجةٍ لها بجعفر بن أبي طالب، من سادات بني هاشم، وبعد استشهاده في واقعة مؤتة تزوَّجها أبو بكر، وبعد مماته تزوَّجها أمير المؤمنين عليه السلام.

أنجبَت من جعفر: عبد الله ومحمّداً وعَوناً، وأنجبت من أبي بكر: محمَّداً ربيب الإمامة، وأنجبت من أمير المؤمنين: يحيىٰ وعَوناً.

ويشهد أُنموذج زيجاتها أنَّها مِنْ سيِّدات النساء، وما اختيار جعفر وعليٍّ ابني أبي طالب لها إلَّا برهان علىٰ مكانتها الدينيَّة والاجتماعية الرفيعة، عاكسةً نجابتها وصونها علىٰ إنشاء وتربية أولادٍ أفذاذ، كان لهم مواقفهم التاريخيَّة في الولاء وحفظ بيضة

(١) أُسد الغابة/ ابن الأثير ٥: ٣٩٥.

الإسلام، فمحمّد بن أبي بكر تُوفّي أبوه وهو ابن ثلاث سنين، لينتقل إلىٰ حِجر عليِّ بن أبي طالب عليه السلام، فيزقّه العلم والمعرفة والولاء زقّاً، فكان له مكانة كبيرة في قلب الإمام، أمّا أبناء جعفر (عبد الله وعَون ومحمّد) فهم خيرة مَنْ نصر الحسين عليه السلام في كربلاء، ويحيىٰ وعَون اللذان خرجا من صُلب أمير المؤمنين عليه السلام وتربّيا في حِجر أسماء هما ابنَا الإمامة والولاء.

توثيقها:

في (رجال الطوسي)، ممَّن روىٰ عن أمير المؤمنين عليه السلام، وهي من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله، فهي ثقة، روت عن النبيِّ صلى الله عليه وآله وأمير المؤمنين عليه السلام وفاطمة الزهراء عليها السلام، فهي من رواة القرن الأوَّل الهجري، أُسند إليها كثير من الروايات التي وقعت في طريقها، وروىٰ عنها الإمام عليّ بن الحسين عليه السلام والإمام الباقر عليه السلام والإمام الرضا عليه السلام، فوثاقتها أبين من أن يُناقَش فيها.

مكانتها:

أسلمَت أسماء قبل دخول النبيِّ صلى الله عليه وآله دار الأرقم، فهي من أوائل المسلمات الداخلات للإسلام.

هاجرت إلىٰ الحبشة مع زوجها جعفر بن أبي طالب، حتَّىٰ أنَّ عمر عندما دخل عليها قال لحفصة: مَنْ هذه؟ فقالت: هذه أسماء بنت عُمَيس. فقال: يا حبشيَّة، سبقناكم بالهجرة، فنحن أحقُّ برسول الله صلى الله عليه وآله منكم! فغضبَت أسماء وشكت إلىٰ رسول الله صلى الله عليه وآله قول عمر فيها، فقال لها رسول

الله ﷺ: «ليس بأحقّ بي منكم، وله ولأصحابه هجرةٌ واحدة، ولكم أنتم أهل السفينة هجرتان»[١]. أي: إلىٰ الحبشة، ومن الحبشة إلىٰ المدينة.

فلها سابقة الإسلام والهجرة والصحبة لرسول الله ﷺ، وشاركت في حروب رسول الله ﷺ وغزواته، وكانت تُحرِز السقاء وتُداوي الجرحىٰ وتكحل العين[٢].

لها حظٌّ من الصحبة والقربة للنبيِّ وآله، صحبت النبيَّ ﷺ، وكانت زوجةً لأمير المؤمنين عليه السلام، وكانت أُمّاً حنوناً للزهراء عليها السلام، علىٰ يدَيها وُلِدَ السبط المجتبىٰ عليه السلام، موضع ثقةٍ لأهل البيت عليهم السلام وملجأٌ لهموهم، قيل: إنَّها حضرت زواج فاطمة عليها السلام، فكانت بمثابة الراعي لها يوم زفافها.

وممَّا يدلُّ علىٰ مكانة هذه المرأة الزكيَّة مدحُها من قِبَل النبيِّ ﷺ والأئمَّة عليهم السلام، حيث ذكرها رسول الله ﷺ بقوله: «**الأخوات المؤمنات** ... _ وعدَّ منهنَّ _: **أسماء بنت عُمَيس**»[٣].

وعن الإمام الباقر عليه السلام قال: «**رحم الله الأخوات من أهل الجنَّة**»، فسمّاهنّ: «**أسماء بنت عُمَيس الخثعميَّة، وكانت تحت جعفر بن أبي طالب عليه السلام**»[٤].

وعن الإمام الصادق عليه السلام: «**كانت نجابة محمّد بن أبي بكر مِنْ قِبَل أُمِّه**»[٥].

---

(١) تاريخ الإسلام/ الذهبي ٢: ٤٣١.
(٢) مُستدركات علم رجال الحديث/ النمازي ٨: ٥٤٧.
(٣) الآحاد والمثاني ٥: ٤٥٦.
(٤) الخصال/ الصدوق: ٣٦٣/ باب السبعة/ ح ٥٥.
(٥) قاموس الرجال/ التُّستَري ١٢: ١٨٤.

إضافةً إلىٰ زواجها من الإمام عليٍّ بن أبي طالب عليه السلام، فهو بحدِّ ذاته كرامة لها ومعرفة بحقِّها، ووصيَّة سيِّدة نساء العالمين فاطمة عليها السلام لها بأن تصنع لها نعشاً عندما أشارت عليها أسماء بما رأته في الحبشة عند هجرتها من صناعة النعش عندهم، فكان أوَّلَ نعشٍ يُصنَع في الإسلام.

لقد اجتازت أسماء وبنجاحٍ باهرٍ كلَّ الاختبارات التي مرَّت بها، بدْءاً من هجرتها إلىٰ الحبشة ورجوعها إلىٰ المدينة، لتبدأ مرحلةً ثانيةً من العمل الإسلاميِّ بالمشاركة في الحروب والغزوات ومؤازرة المسلمين، والشدِّ مِنْ أُزِر زوجيها جعفر وعليّ عليهما السلام، والوقوف مع البيت النبويِّ بكلِّ إخلاصٍ وصبرٍ ومروءة، حتَّىٰ نالت الكرامات منهم والمدح والثناء لمواقفها الحيَّة علىٰ مرِّ التاريخ، متقلِّدةً قلادة الفخر بكرامةٍ من رسول الله صلى الله عليه وآله عندما كانوا في طريق الحجِّ وكانت حاملاً بمحمّد بن أبي بكر، وقد ولدت في الحليفة أو البيداء _ علىٰ اختلاف الروايات _، فأمرها رسول الله صلى الله عليه وآله أن تستثفر بثوب[1] وتغتسل وهي نفساء وتُحرِم[2]. فكانت

(١) في حديث الحائض: «فإن رأت دماً ثبيباً اغتسلت واحتشت واستثفرت في كلِّ وقت صلاة»، والاستثفار: المراد به أن تأخذ خرقةً طويلةً عريضةً تشدُّ أحد طرفيها من قُدّام وتُخرجَها من بين فخذيها وتشدُّ طرفها الآخَر مِن وراء، بعد أن تحتشيَ بشيءٍ من القطن ليمتنع به من سيلان الدم. (مجمع البحرين/ الطريحي ٣: ٢٣٦/ مادَّة ثَفَر).

(٢) مَنْ لا يحضره الفقيه/ الصدوق ٢: ٣٨٠/ باب إحرام الحائض والمستحاضة/ ح ٢٧٥٥، رواه معاويةُ بن عمّار، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «إنَّ أسماء بنت عُمَيس نفَسَت بمحمّد بن أبي بكر بالبَيداء لأربعٍ بقين من ذي القعدة في حجَّة الوداع، فأمرها رسول الله صلى الله عليه وآله فاغتسلَت واحتشت وأحرمَت ولبَّت مع النبيِّ صلى الله عليه وآله وأصحابه، فلمَّا قدموا مكّة لم تطهُر حتَّىٰ نفروا مِنْ منىٰ، ⇦

ولادتها بركةً للنساء، وهو حكم شرعٍ للنساء، إذ كانت نفساء أو علىٰ استحاضة نالت شرف هذا الحكم الخاصّ من النبيِّ ﷺ، لكرامتها علىٰ الله ورسوله.

وهي أُمُّ عبد الله بن جعفر، أوَّل من وُلِدَ في دار الهجرة، مكوِّنةً مع زوجها وابنها خليَّةً مسلمةً دؤوبة في نشر الإسلام والدفاع عنه، ثمّ تفدي ولدها محمّداً في سبيل الإسلام وإمامِها عليّ عليه السلام، فلمَّا ورد لها خبر شهادته كظمت غيظها واستترت في مسجدها، حتَّىٰ شخبت ثدياها دماً[1]؛ لحبِّها له، لكنَّ الإسلام كان أعزُّ عليها من وَلدها! امتحاناتٌ عدَّة خاضتها سيِّدتنا الجليلة، وتُثبِتُ في كلِّ مرَّةٍ أنَّها أهلٌ لتكون بنت الإسلام البارَّة به.

مع عليّ وبنيه عليهم السلام:

عاشت أسماء في بيت عليٍّ عليه السلام سيِّدةً فاضلةً مكرَّمةً، مؤدّيةً حقَّ الزوجيَّة من غير تفريطٍ ولا كللٍ ولا ملل، وهي عارفةٌ مستيقنةٌ مكانة البيت الذي هي فيه، فعليٌّ عليه السلام زوجها وإمامها وخليفة رسولها، طاويةً جناح الرحمة علىٰ سبطَي الرسول ﷺ وريحانتَيه، تحنو عليهما حنوّ الأُمِّ الرؤوم كما كانت لأُمِّهم فاطمة عليها السلام، متعلِّقةً روحاً وكياناً بأهل البيت عليهم السلام الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهَّرهم تطهيراً، تشمُّ عبق النبوَّة والإمامة،

⇦ وقد شهدت المواقف كلّها: عرفات وجمعاً ورمت الجمار، ولكن لم تطُفْ بالبيت ولم تسعَ بين الصفا والمروة، فلمَّا نفروا مِنْ منىٰ أمرها رسول الله ﷺ فاغتسلَت وطافت بالبيت وبالصفا والمروة، وكان جلوسها في أربعٍ بقين من ذي القعدة وعشرٍ من ذي الحجَّة وثلاثة أيّام التشريق».

(١) تهذيب التهذيب/ ابن حَجر ١٢: ٣٥٠/ الرقم ٨٨٨٥.

وروحها مرفرفة بعالم الملكوت فأضفىٰ عليها مسحة القدس الإلهي، تلملم جراح عليٍّ عليه السلام بنظراتها المملوءة عشقاً علويّاً، تغبط نفسها فيما هي فيه، تدور في أفلاك الحسنين عليهما السلام، وتحضن زينب عليها السلام بقلب فاطمة عليها السلام المحزون لتهدر عليها حبّاً وعطاءً.

وها هي تستقبل بين يديها مولود عليٍّ وفاطمة عليهما السلام الأوّل، وقرّة عين الرسول صلى الله عليه وآله، الإمام الحسن عليه السلام..

ففي الخبر عن الإمام عليّ بن الحسين عليه السلام، عن أسماء بنت عُمَيس قالت: قَبلتُ[1] جدَّتك فاطمة عليها السلام بالحسن والحسين عليهما السلام، فلمَّا وُلِدَ الحسن عليه السلام جاء النبيُّ صلى الله عليه وآله فقال: «**يا أسماء، هاتي ابني!**»، فدفعتُه إليه في خرقةٍ صفراء، فرمىٰ بها النبيُّ صلى الله عليه وآله وقال: «**يا أسماء، ألم أعهد إليكم أن لا تلفّوا المولود في خرقةٍ صفراء؟**»، فلففتُه في خرقةٍ بيضاء ودفعتُه إليه، فأذَّن في أُذُنه اليمنىٰ وأقام في اليسرىٰ.

ثمّ قال لعليٍّ عليه السلام: «**بأيِّ شيءٍ سمَّيتَ ابني؟**»، قال: «**ما كنتُ أسبقك باسمه يا رسول الله، [كنتُ أُحِبُّ أن أُسمّيه حرباً]**[2]»، فقال النبيُّ صلى الله عليه وآله: «**ولا أسبقُ أنا باسمه ربّي**».

---

(١) القابلة: التي تُقبِّل الولد عند الولادة. (العَين/ الفراهيدي ٥: ١٦٨/ مادَّة قَبَل)، وقَبِلَت القابلةُ الولد: تلقَّته عند خروجه قِبالةً - بالكسر -، والجمع: قوابل، وامرأة قابلة وقبيل أيضاً. (المصباح المنير/ الفيّومي ٢: ٤٨٨)، وقال ابن منظور: قَبِلَت القابِلَةُ الولدَ قِبالاً: أخذَته من الوالدة، وهي قابِلَة المرأَة وقَبُولها وقَبِيلها. (لسان العرب ١١: ٥٣٧/ مادَّة قَبَل).

(٢) العبارة غير موجودة في رواية الطوسي (الأمالي: ٣٦٧/ المجلس الثالث عشر/ ح ٧٨١، عنه: بحار الأنوار ٤٤: ٢٥٠/ باب ٣١ ما أخبر به الرسول وأمير المؤمنين والحسين صلوات الله عليهم بشهادته صلوات الله عليه). ولا يخفىٰ كراهة التسمية بـ (حرب)، حتَّىٰ عُدَّ من شرِّ الأسماء. (أُنظُر: وسائل الشيعة ٢١: ٣٩٨/ الباب ٢٨).

ثـمّ هـبط جبرئيـل عليه السلام فقـال: «**يـا محمّـد، العـليُّ الأعـلىٰ يُقرئـك السلام ويقـول: عـليٌّ منـك بمنزلـة هـارون مـن موسىٰ، ولا نبـيَّ بعـدك! سَـمِّ ابنـك هـذا باسـم ابـن هـارون**». قـال النبـيُّ صلى الله عليه وآله: «**ومـا اسـم ابـن هـارون؟**»، قـال: «**شُـبَّر**»، قـال النبـيُّ صلى الله عليه وآله: «**لسـاني عـربيّ!**»، قـال جبرئيل عليه السلام: «**سَمِّه: حَسَن**».

قالت أسماء: فسـمّاه الحسـن، فلـمَّا كـان يـوم سـابعه عـقَّ النبـيُّ صلى الله عليه وآله عنـه بكبشـين أملحـين، وأعطـىٰ القابلـة فخـذاً ودينـاراً، وحلـق رأسـه وتصـدَّق بـوزن الشـعر ورقـاً، وطـلىٰ رأسـه بـالخَلوق[1]، ثـمّ قـال: «**يـا أسماء، الدم فعل الجاهليَّة!**»[2].

هـذه الروايـة التـي يرويهـا الإمـام زيـن العابـدين عليه السلام عـن أسـماء بنت عُمَيس مُفعَمةٌ بمداليل كثيرة:

منهـا: أنَّ الإمـام المعصـوم ينقـل عـن أسـماء بنـت عُمَـيس، وهـو توثيـقٌ صريـحٌ للسـيِّدة أسـماء مـن قِبَـل الإمـام عـليّ بـن الحسـين عليه السلام، ومـدحٌ واضـحٌ لا يقبـل التشـكيك أو التأمّـل، فهـي مـن الثقـات في نقـل حديث أهل البيت عليهم السلام.

وأيضـاً إنَّ أسـماء كانـت قابِلـة الزهـراء عليها السلام سـيِّدة نسـاء العـالمين، وهـذا يقتضـي أنَّ مَـنْ تُقبِّـل سـيِّدة نسـاء العـالمين _ لِمـا لفاطمـة مـن

(١) الخَلـوق: مـن الطيـب. (العَـين/ الفراهيـدي ٤: ١٥٢/ مـادَّة خَلَـق)، وعـلىٰ مـا قيـل: طِيـبٌ مركَّبٌ يُتَّخَـذ مـن الزعفـران وغـيره مـن أنـواع الطيـب، والغالـب عليـه الصـفرة أو الحمـرة. (مجمع البحرين/ الطريحي ٥: ١٥٧/ مادَّة خَلَق).

(٢) بحـار الأنـوار/ المجلسـي ٤٣: ٢٣٧/ البـاب ١١/ ح ٤، عـن: عيـون أخبـار الرضـا عليه السلام ٢: ٢٨/ الباب ٣١ فيما جاء عن الرضا عليه السلام من الأخبار المجموعة/ ح ٥.

صَـونٍ وعفَّـة _ لا يطَّلـع عليهـا أيّ أحـد، فاختيـار السـيِّدة أسـماء لثقـة فاطمـة عليها السلام بهـا وعلمهـا بطُهـر أسـماء ونقائهـا وصـفائها، وأنَّهـا عـلىٰ مرتبةٍ عاليةٍ من القُرب الإلهيّ والقرب لأهل البيت عليهم السلام.

وفضـيلة أُخـرىٰ لا تـدانيها فضـيلة، أنَّ أوَّل يـدَين اسـتقبلَتا الإمـام الحسـن المجتبـىٰ عليه السلام في عـالم الـدنيا هـي يـدَا تلـك السـيِّدة الفاضـلة، التـي تشـرَّفَت بحمـل الإمـام المجتبـىٰ عـلىٰ راحتَيهـا، تلحـظ أنـوار الإمامـة تـتلألأُ في محيّـا أبي محمّـد عليه السلام، فكانـت يـداها الشـريفتان مهـداً للإمـام الحسـن عليه السلام، حاملـةً إيّـاه إلىٰ جـدِّه بكـلِّ زَهْـوٍ وفخـر، تعـرض نفسـها عـلىٰ أنَّهـا مـن أهـل هـذا البيـت الطـاهر، مملـوءةً بـزخم القُـدس والروحانيَّـة، فيـا لَتلـك اللحظـات التـي عاشـتها أسـماء، وقـد انفصلت عن عالم الدنيا؛ لتطوف في ملكوت الرحمة والرحمانيَّة..

أقـول: أخبِريني أيَّتهـا النجيبـة كيـف صرتِ وأنـتِ أوَّل مَـنْ وقعـت عينـاه عـلىٰ سـبط النبـوَّة؟ ألم ترتجـف يـداكِ لعظمـة الموقـف؟ ألم يتوقَّف قلبُـكِ عـن الخفقـان؛ إجـلالاً وإكبـاراً للإمـام السـبط؟ ألم تغبطـي نفْسـكِ وأنـتِ تسـتقبلين سـيِّدَ شـباب أهـل الجنَّـة بأناملـكِ الكريمـة؟! فيـا أيَّتهـا العظيمـة، قـد نلـتِ شرفـاً إلهيَّـاً خصَّـكِ الله بـه دون غـيرك؛ لعلمه بمكنون نفسك المتعلِّقة بهوىٰ الإمامة!

ثـمّ إنَّ رسـول الله صلى الله عليه وآله يُعلِّمنـا درسـاً فقهيَّـاً آخَـر، ببركـة وجـود أسـماء التـي كانـت سـبباً في طـرح حكـمٍ شرعـيٍّ في إحـرام النفسـاء، والـدرس الآخَـر بتعليـم النبـيِّ صلى الله عليه وآله أسـماءَ بـأن لا يُلَـفّ المولـود بخرقـةٍ صفراء، بـل يجـب أن تكـون بيضـاء، فتفعـل أسـماء، وهـي ترقـب أفعـال

النبـيِّ ﷺ في مولـوده الأوَّل، ثـمّ تُقدِّمـه إلىٰ جـدِّه ليُـؤذِّن ويُقـيم في أُذُنيـه الشـريفتين، وأسـماء فرِحَـةٌ بمولـود عـليٍّ وفاطمـة عليهما السلام، تنتقـل مسـرورةً مـن فاطمـة إلىٰ النبـيِّ ﷺ إلىٰ عـليٍّ عليه السلام في جولـةٍ خـارج نطـاق عـالم المُلـك، متفانيـةً في عملهـا بـدافع الإيـمان والعقيـدة اللـذين غمـرا كيانهـا، تنقـل لنـا وبدقَّـةٍ طقـوس الأُسرة المحمّديَّـة في وليـدها، وكيفيَّـة اختيـار اسـمه المبـارَك مِـنْ قِبَـل ربِّ العِـزَّة، ثـمّ تُضـيف أسـماء كيفيَّـة العـقِّ عنـه عليه السلام في اليـوم السـابع، ممَّـا يـدلُّ مواكبـة أسـماء للإمـام الحسـن عليه السلام في حضـانته ورعايتـه. ثـمّ نتفقَّـه بحكـمٍ شرعـيٍّ آخَـر عـن طريـق السـيِّدة العالمـة أسـماء؛ يقـول النبـيُّ ﷺ لهـا: «**يـا أسـماء، الـدم فعـل الجاهليَّـة!**»، لتضـفي عـلىٰ الروايـة صـبغةً علميَّـةً تجـود بهـا أسـماء علينا، وتراثـاً قـيِّماً وعلـماً نافعـاً منقـولاً عـن سـيِّد الكائنـات محمّـدٍ ﷺ، وهي قابلة الإمام المعصوم الحسن عليه السلام.

لم تـرَ السـيِّدة أسـماء بنـت عمـيس مـن نفسـها تلـك السـيِّدة العظيمـة زوجـة السـادات جعفـر وعـليّ ابنـي أبي طالـب مـع شرف النسـب، بـل إنَّ ذوبانهـا في بودقـة حُـبِّ أصـحاب الكسـاء جعلهـا تـرىٰ نفسـها خادمـةً لهـم قائمـةً عـلىٰ رعـايتهم والتمهيـد لهـم لأُمـور الحيـاة والمعيشة، وحضناً دافئـاً لأبنـاء عـليٍّ عليه السلام، لعلَّـه يُعـوِّض شـيئاً مـن حنـان أُمِّهـم التـي فقـدوها، مبرئـةً نفسـها عـن أيِّ التـزامٍ غـير الانخـراط في واجباتها في بيت الزهراء عليها السلام.

تُثبِـت مـرَّةً أُخـرىٰ انتماءهـا ودورانهـا في حمـىٰ الإمامـة، لتُشـعِرَنا أنَّهـا عرابـة البيـت العلـويّ، فتُـزوِّج الحـوراء زينـب عليها السلام مـن ابنهـا عبـد

الله بن جعفر، مستخيرةً لفتاها الألمعيّ لبوة عليٍّ عليه السلام، جامعةً شمل آل أبي طالب بزيجةٍ مباركةٍ، وكانت أُمَّاً لزينب عليها السلام أكثر من كونها أُمَّاً لعبد الله، راعيةً لعهد فاطمة عليها السلام، جامعةً بيديها الشريفتين اللتَين حملتا الحسنين عليهما السلام يد زينب وعبد الله، بأريحيَّة المرأة الأُمّ وروحانيَّة ربيبة آل أبي طالب.

أسماء مؤنسة فاطمة عليها السلام:

فقدت فاطمة عليها السلام أُمَّها خديجة عليها السلام، وهي بأشدّ الحاجة لها، حاجة البنت لأُمِّها.. لائذةً بأبيها النبيِّ صلى الله عليه وآله، فكان لها أباً وأُمَّاً، لكن تبقىٰ البنت بحاجةٍ لمن يُؤنسها من النساء؛ لتبثّ شكواها وهمّها إليها، فوجدت فاطمة عليها السلام من أسماء بنت عُمَيس مُستودَعاً لسرِّها وملجأً لحزنها، مُستشيرةً إيّاها في مرضها، وهي تعلم بأنَّ أجلها قد حان، فاستأنست برأيها في حجبها عن أعيُن النظّار حين تُحمَل إلىٰ مثواها الأخير، فتشير عليها أسماء بصناعة النعش، كما يُحدِّثنا الحاكم في (المستدرك) بسنده عن عليِّ بن الحسين عليه السلام، عن ابن عبّاس، قال: مرضَت فاطمةُ مرضاً شديداً، فقالت: «**يا أسماء بنت عُمَيس، ألَا ترَين إلىٰ ما بلغت؟ أُحمَل علىٰ السرير ظاهراً؟**»، فقالت أسماء: ألَا لَعمري، ولكن أصنعُ لكِ نعشاً كما رأيتُ يُصنَع بأرض الحبشة. قالت: «**فأرينيه**». فأرسلَت أسماءُ إلىٰ جرائد رطبة، وقُطِعَت من الأسواف[1]، وجعلَت علىٰ السرير نعشاً، وهو أوَّل ما كان النعش.

---

(١) الأسواف: موضعٌ بالمدينة. (مجمع البحرين/ الطريحي ٥: ٧٣/ مادَّة سَوَف).

قالت أسماء: فتبسَّمَت فاطمة، وما رأيتُها متبسِّمةً بعد أبيها إلَّا يومئذٍ، ثمّ حملناها ودفنّاها ليلاً[١].

تُبيِّن لنا هذه الرواية مدىٰ ثقافة أسماء بنت عُمَيس ومعرفتها وبُعد نظرها وفهمها للغة الإمامة، وما إدخال السرور علىٰ فاطمة عليها السلام إلَّا لقُربها من قلب فاطمة عليها السلام المفجوع بفقد أبيها وظلم القوم لها ولزوجها أمير المؤمنين عليه السلام، وليست أسماء بغريبة عن هذه الأجواء التي عاصرتها، وتعاملت معها بكلِّ فدائيَّة، معبِّئةً نفسَها وأولادها بحبِّ أهل هذا البيت، مع مشاهداتها الحيَّة لِتآمر القوم علىٰ عليٍّ بن أبي طالب؛ (فسمعت أسماء _ وكانت تحت أبي بكر _، فقالت لجاريتها: اذهَبي إلىٰ منزل عليٍّ وفاطمة عليهما السلام، واقرئيهما السلام وقولي لعليٍّ: إنَّ الملأ يأتمرون بك ليقتلوك، فاخرُجْ، إنّي لك من الناصحين. فجاءت الجارية إليهم، فقالت لعليٍّ: إنَّ أسماء بنت عُمَيس تقرأ عليك السلام وتقول: إنَّ الملأ يأتمرون بك ليقتلوك، فاخرُجْ، إنّي لك من الناصحين. فقال أمير المؤمنين عليه السلام: «**قولي لها: إنَّ الله يحول بينهم وبين ما يريدون**»)[٢].. فبدن أسماء مع أعداء عليٍّ، لكنَّ قلبها معه، تذود عنه مكر الماكرين وغيَّ الكافرين، فنجاة عليٍّ عليه السلام نجاةٌ للإسلام ولخليفة رسول الله صلى الله عليه وآله! هكذا كانت أسماء تذبُّ عن الإمام عليٍّ عليه السلام، وتدافع بكلِّ ضراوةٍ لإثبات الحقِّ وثباته.

---

(١) المُستدرَك/ الحاكم النَّيسابوريّ ٣: ١٦٢/ ذكر وفاة فاطمة رضي الله عنها.

(٢) بحار الأنوار/ المجلسيّ ٢٩: ١٢٦ و١٣٢/ الباب ١١.

ثمّ ترافق أسماء أمير المؤمنين عليه السلام والحسنين عليهما السلام في تغسيل فاطمة، في حين لم يُسمَح للأُخريات بالمشاركة، وهو دليلٌ قاطعٌ علىٰ خصوصيَّة أسماء بنت عُمَيس لأهل البيت عليهم السلام، وإيقاناً منهم بعظمة هذه المرأة، وتنفيذاً لوصيَّة الصدّيقة فاطمة عليها السلام وبأمر عليٍّ عليه السلام.. فعن أسماء بنت عُمَيس قالت: أوصَتْني فاطمةُ أن لا يُغسِّلها إلَّا أنا وعليّ، فغسَّلتُها أنا وعليّ عليه السلام[1]. وفي حديثٍ آخَر عن أسماء أيضاً أنَّ عليَّاً عليه السلام أمرها فغسَّلَت فاطمة عليها السلام، وأمر الحسن والحسين يدخلان الماء، ودفنها ليلاً وسوّىٰ قبرها[2].

أبَتْ أسماء إلَّا مشاركة آل عليٍّ في أفراحهم وأحزانهم، وهي تتشرَّف بتغسيل فاطمة عليها السلام بمعيَّة عليٍّ عليه السلام وبمساعدة الحسن والحسين عليهما السلام، مع أنَّها كانت تحت أبي بكر، لكنَّ تكليفها الشرعيّ والخُلُقيّ فوق كلَّ انتماءٍ وقرابة ونسب وسبب!

فهلّلي وكبّري _ يا أسماء _ علىٰ ما حباكِ الله به من كرامة، لتُسفري عنه وجه الحقيقة برواياتك التي ضمنت لنا كشف الزيف والتحريف لمن سوَّلَت لهم نفوسُهم حجبَ شمس الحقيقة، ولم يُدرِكوا أنَّ في المسلمين أمثال أسماء بنت عُمَيس تُترجمُ لنا سيرة الإمامة بلسانٍ ناطقٍ بشفّافية الإيمان وعمق العقيدة الأصيلة.

---

(١) بحار الأنوار/ المجلسيّ ٤٣: ١٨٥/ الباب ٧ ما وقع عليها من الظلم وبكائها وحزنها وشكايتها في مرضها إلىٰ شهادتها وغسلها ودفنها وبيان العلَّة في إخفاء دفنها صلوات الله عليها/ ح ١٨، عن: كشف الغُمَّة/ الإربلي ٢: ١٢٢/ ذكر حالها بعد أبيها عليها السلام.

(٢) المصدر السابق ٤٣: ١٨٦.

بقيَت أسماء بنت عُمَيس مواظبةً علىٰ مشاركة آل عليٍّ عليهم السلام في تحدّي الصِّعاب علىٰ قدرٍ عالٍ من المسؤوليَّة، مواصلةً عهدها مع فاطمة عليها السلام، مستنفرةً كلَّ قواها وصبرها لخدمة دينها، فلمَّا بلغها خبر مقتل ابنها محمّد بن أبي بكر في مصر وهو عامل عليٍّ عليه السلام، وكانت تُحِبُّه حبَّاً شديداً، كيف لا وقد تربّىٰ في حِجر عليٍّ مع الحسن والحسين عليهما السلام، جاعلةً منه جنديَّاً مقاتلاً عن سادته الكرام، وقد قُتِلَ عام ثمانٍ وثلاثين للهجرة، فحزنت عليه حزناً شديداً، لكنَّها كظمت غيظها، وانعزلت في مسجد بيتها، حتَّىٰ شخبت ثدياها دماً حزناً عليه، وتُوفّيت في نفس العام، أي: ثمانٍ وثلاثين للهجرة[1].

وهذا يعني أنَّها عاصرت الإمام الحسن عليه السلام قرابة الثلاثين عاماً، أُمَّاً حانية، ومبلِّغةً عالمة، سائرةً في ركابه، داعمةً لكلِّ تحرّكاته، شاهدةً علىٰ إمامته، مواسيةً إيّاه في حزنه، ومشاركةً في سروره، تُساند أباه تارةً وتعاضد الإمام الحسن عليه السلام تارةً أُخرىٰ، لتلعب دَورها بإتقانٍ وعبقريَّة، لتقابل أسماءُ بنت عُمَيس ربّها رافعةً أكفّ الدعاء وفيها عطر حسنيّ، شهادةً علىٰ جميل صنعها ومحاسن عطائها الثرّ الذي استقىٰ من كفِّ الإمام الحسن عليه السلام الجود والكرم.

روايتها:

١ _ تنقل لنا أسماءُ بنت عُمَيس منقبةً من مناقب أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام، إذ تقول: إنَّ عليَّاً بعثه رسولُ الله صلى الله عليه وآله في حاجةٍ في غزوة حُنَين، وقد صلّىٰ النبيُّ صلى الله عليه وآله العصر ولم يُصلِّها

(١) النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة/ الأتابكي ١: ١١٧.

عليٌّ عليه السلام، فلـمَّا رجع وضع رأسه في حِجر عليٍّ عليه السلام، وقد أوحىٰ الله إليه، فجلَّله بثوبه، فلم يزل كذلك حتَّىٰ كادت الشمس تغيب، ثمّ إنَّه سُرّي عن النبيِّ صلى الله عليه وآله، فقال: «**أصلَّيتَ يا عليّ؟**»، قال: «**لا**»، فقال النبيُّ صلى الله عليه وآله: «**اللّهمّ رُدَّ علىٰ عليٍّ الشمس**»، فرجعَت حتَّىٰ بلغت نصف المسجد. قالت أسماء: وذلك بالصهباء[1].

٢ ـ وتروي أسماء بنت عُمَيس روايةً أُخرىٰ في تفسير القرآن الكريم، حيث ورد عن السدّي، عن أبي مالك، عن ابن عبّاس وأبي بكر الحضرمي، عن أبي جعفرٍ عليه السلام؛ والثعلبي، بالإسناد عن موسىٰ بن جعفر عليه السلام، وعن أسماء بنت عُمَيس، عن النبيِّ صلى الله عليه وآله قال: «﴿**وَصالِحُ الْمُؤْمِنِينَ**﴾[2]: **عليّ بن أبي طالب عليه السلام**»[3].

٣ ـ ومن روايات أسماء في الإمامة: عن عبد الله، عن أبيه، عن يحيىٰ بن سعيد، عن موسىٰ الجُهَنيّ قال: دخلتُ علىٰ فاطمة بنت عليٍّ عليه السلام، فقال [لها] رفيقي أبو مهدي: كم لكِ؟ فقالت: ستٌّ وثمانون سنة. قال: ما سمعتِ من أبيكِ شيئاً؟ قال: قالت: حدَّثتني أسماءُ بنت عُمَيس أنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال لعليٍّ عليه السلام: «**أنت منّي بمنزلة هارون من موسىٰ، إلَّا أنَّه ليس بعدي نبيٌّ**»[4].

---

(١) بحار الأنوار/ المجلسي ١٧: ٣٥٩/ الباب ٣/ ح ١٤، عن: الخرائج والجرائح ١: ٥٢/ فصلٌ من روايات العامَّة في معجزاته صلى الله عليه وآله/ ح ٨١.

(٢) التحريم: ٤.

(٣) بحار الأنوار/ المجلسي ٣٦: ٢٨/ الباب ٢٩ أنَّه صلوات الله عليه صالِح المؤمنين/ ح ٢.

(٤) عُمدة عيون صحاح الأخبار في مناقب إمام الأبرار/ ابن البطريق: ١٢٨/ الفصل ١٦ في حديث المنزلة/ ح ١٧١؛ بحار الأنوار/ المجلسي ٣٧: ٢٦٢/ الباب ٥٣ أخبار المنزلة والاستدلال بها علىٰ إمامته صلوات الله وسلامه عليه/ ح ٢٦.

٤ _ ومـرَّةً أُخـرىٰ تُتحفنـا أسـماء بنـت عُمَـيس بروايـةٍ في الأخـلاق في حـوارٍ بـين رسـول الله ﷺ وابنتـه فاطمـة الزهـراء عليها السلام، كـي نسـتنير بهـا، لترتفـع نفوسُـنا عـن ملـذّات الـدنيا.. ففـي (عيـون أخبـار الرضـا عليه السلام) بالأسـانيد الثلاثـة، عـن الرضـا، عـن آبائـه، عـن عـليٍّ بـن الحسـين عليه السلام أنَّـه قـال: «**حـدَّثَتني أسـماءُ بنـت عُمَـيس، قالـت: كنـتُ عنـد فاطمـة عليها السلام إذ دخـل عليهـا رسـول الله ﷺ، وفي عُنقهـا قـلادةٌ مـن ذهـبٍ كـان اشـتراها لهـا عـليّ بـن أبي طالـب عليه السلام مِـنْ فَيء، فقـال لهـا رسـول الله ﷺ: يـا فاطمـة، لا يقـول النـاس: إنَّ فاطمـة بنـت محمّـد تلـبس لبـاس الجبـابرة! فقطَعَتهـا وباعتهـا، واشـترت بهـا رقبةً فأعتقَتها، فسُرَّ بذلك رسول الله ﷺ**»[1].

٥ _ ومـن أدب الـزواج تنقـل لنـا السـيِّدة أسـماء بنـت عُمَـيس _ وهـي راويـة أهـل البيـت عليهم السلام _ مـن فضـائلهم دروسـاً تربويَّـةً نقتـدي بهـا، فتقـول أسـماء: لقـد جهَّـزتُ فاطمـة بنـت رسـول الله ﷺ إلىٰ عـليٍّ بـن أبي طالـب عليه السلام، ومـا كـان حشـوُ فُرُشـها ووسـائدها إلَّا ليـف، ولقـد أَولم عـليٌّ لفاطمـة عليها السلام، فـما كانـت وليمـة ذلـك الزمـان أفضـل مـن

(١) بحـار الأنـوار/ المجلسـي ٤٣: ٨١/ البـاب ٤ سـيَرها ومكـارم أخلاقهـا صـلوات الله عليهـا وسـيَر بعـض خـدمها/ ح ٢، عـن: عيـون أخبـار الرضـا عليه السلام ٢: ٤٨/ البـاب ٣١ فيما جـاء عـن الرضـا عليه السلام مـن الأخبـار المجموعـة/ ح ١٦١، وانظُـر: مسـند زيـد بـن عـلي: ٤٦١/ القسـم الثاني في فضل فاطمة عليها السلام.

وليمته، رَهَن درعَه عند يهودي، وكانت وليمته آصعاً[١] من شعيرٍ وتمرٍ وحَيْس[٢][٣].

هذه نبذةٌ مِنْ روايات أسماء بنت عُمَيس، وهي كثيرة، تُقرِّب لنا صورة حال هذه السيِّدة الجليلة ومدىٰ قُربها من الأُسرة العلويَّة، ومقدار تلاحمها معهم، وثقتهم في نقل الحديث عنها أباً عن أبٍ روايةً معصوميَّةً، تحيطنا علماً أنَّ تلك المرأة أُنموذجٌ للمرأة المسلمة الموالية المتمسِّكة بعقيدتها، دائرة في فلَك المعصومين، أُمٌّ وراوية ومبلِّغة، هاتِفة بأعلىٰ صوتها: إنَّ الحقَّ مع عليٍّ وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام، تقود ثورةً من الروايات في حقِّهم ومظلوميَّتهم.

أقول: يا سيِّدتي، لقد شهدتِ عليَّاً حين ضُرِبَ علىٰ قرنه في محرابه، فكنتِ الشاهدة علىٰ ذلك.. وأعنتِ عليَّاً بوصيَّة فاطمة في تغسيلها، حيث الإمام الحسن عليه السلام يُقدِّم لكِ الماء بكفَّيه الصغيرتين المملوءتين حُزناً وكمَداً علىٰ أُمِّه الكسيرة.. ليتكِ حضرتِ وَلدك الحسن عليه السلام وكبده يتقطَّع بسُمٍّ زعاف، يتقلَّب عن اليمين وعن

(١) جمع (صاع)، وهو: مكيالٌ يسع أربعة أمداد، وقدر الصاع بتسعة أرطالٍ بالعراقيِّ وستَّةٍ بالمدَنيِّ وأربعةٍ ونصف بالمكّي، والرطل المكّي علىٰ وزن رطلين بالعراقيِّ وعلىٰ وزن رطلٍ وثُلث بالمدنيِّ. (أُنظُر: مجمع البحرين/ الطريحي ٤: ٣٦١ و٣٦٢/ مادَّة صَوَع).

(٢) الحَيْس: هو تمرٌ يُخلَط بسَمنٍ وأقِطٍ فيُعجَن، وفي اللسان: هو التمرُ البَرْنيُّ والأَقِطُ يُدَقّان ويُعجَنان بالسمنِ عَجْناً شديداً، ثمّ يُندَرُ النوىٰ عنه نواةً نواةً، ثمّ يُسوّىٰ كالثريد. (تاج العروس/ الزبيدي ٨: ٢٥٥/ مادَّة حَيَس).

(٣) بحار الأنوار/ المجلسي ٤٣: ١٣٨/ الباب ٥ تزويجها صلوات الله عليها/ ح ٣٤.

الشمال، هذا الوليد الذي استقبلتِه في لحظته الأُولىٰ، لتحملي عنه آلامه كما حملتِها عنه سابقاً.

فمن الله عليكِ السلام _ يا حليلة عليٍّ عليه السلام، ووعاءَ سرِّ فاطمة عليها السلام، وقابلة الحسن المجتبىٰ عليه السلام _ بما صبرتِ وأعنتِ ورعيتِ وفديتِ، محتسبةً عند الله بلواكِ بجوار إمامك الحسن عليه السلام.

* * *

فضّة النوبيّة
(جارية الزهراء عليها السلام)

أفردت لنا مدرسة أهل البيت عليهم السلام شخصيّات رفيعة القامة في التاريخ الإسلامي، تلمَّذت على الولاء والعلم والإيمان، هامت في فضائهم الرحب لتنتقي جُمَل المعارف ولمسات الإيمان، فشيَّدَت صرحاً عالياً من التفاني ونكران الذات أمام فرص الدنيا البهيجة، ملتفةً بشفافيةٍ حول أرواح المعصومين، لتقطر نقاء وفائها على قلوبٍ صدئة، فتُحيل نبضاتها إلىٰ صرخات مدويَّة بحبِّهم ومودَّتهم، فتطلع علينا جاريةٌ نوبيَّةٌ أكرمها الله تعالىٰ بقربها من آل البيت عليهم السلام، تشمُّ زكيّ ريحهم، وتُبصر جلال نورهم.. إنَّها السيِّدة الجليلة فضَّة، التي أنعم الله عليها برفقة أصحاب الكساء بعد أن أخدمها رسولُ الله صلى الله عليه وآله لابنته فاطمة عليها السلام، فما أن تضع قدمها في هذا البيت المبارك حتَّىٰ تستشعر الروحانيَّة التي تسود أرجاء غُرَفه، فتغبط نفسها وهي في بيت الوحي والتنزيل، فتستقبلها أُمُّ الحسنين عليها السلام فاتحةً ذراعيها القدسيَّتَين بكلِّ رحمةٍ ورأفةٍ، مُبديةً لها ترحابها بنبرة الشريك لا الخادم، فتتلقّىٰ فضَّة الدرس الأوَّل لها بوعيٍ كامل، فتشدُّ الرحال في مسيرة الهدىٰ والنور.

لم تكن فضَّة مجرَّد خادمة! بل شريكة وتلميذة في بيت

الزهـراء عليها السلام، تُسـجِّل وبكـلِّ فطنـةٍ تعـاليمهم السـماويَّة، فتـزداد في كـلِّ يومٍ درجةً في العلم والإيمان.

عـن الإمـام أبي عبـد الله الصـادق عليه السلام، عـن أبيـه عليه السلام، عـن عـليٍّ عليه السلام أنَّـه قـال: «إنَّ رسـول الله صلى الله عليه وآله أخـدَمَ فاطمـةَ ابنتـه جاريـةً اسـمُها فضَّـة النوبيَّـة، وكانـت تشـاطرها الخدمـة، فعلَّمهـا رسـول الله صلى الله عليه وآله دعـاءً تـدعو بـه، فقالـت لهـا فاطمـة: أتعجنـين أو تخبـزين؟ فقالـت: بـل أعجـن يـا سـيِّدتي واحتطِـب. فـذهبت واحتطبـت، وبيـدها حزمـة فـأرادت حملهـا فعجـزت، فـدعت بالـدعاء الـذي علَّمَهـا النبيُّ صلى الله عليه وآله، وهو: يـا واحـد، لـيس كمثلـه أحـد، تُميـت كـلَّ أحـد، وأنـت عـلىٰ عرشـك واحـد، لا تأخـذه سِـنَةٌ ولا نـوم. فجـاء أعـرابيٌّ كأنَّـه مِـنْ أزد شنوءة[1]، فحمل الحزمة إلىٰ باب فاطمة عليها السلام»[2].

تُجـاري هـذه الروايـات أحـداث حيـاة السـيِّدة فضَّـة في بيـت فاطمـة عليها السلام بطـابع حيـاةٍ تقليـدي، تُـبرز هـذه الروايـة ملامـح العلاقـة بين أهـل البيـت عليهم السلام ومَـنْ يستخدمونهم، والنظـر إلـيهم بعبَـق اللطـف والرحمة.

تقاسم آل علي معهـا شـؤون الحيـاة عـلىٰ أنَّهـا فـردٌ مـن العائلـة، لهـا ما لها وعليها مـا عليهـا، تُخيِّرهـا فاطمـة عليها السلام بـين العجـن والخبـز، تاركـةً الخيـار لهـا، وهـو عـلىٰ خِـلاف المتعـارَف! فهـو درسٌ أخلاقـيٌّ نسـتمدُّه

(١) الأزد: حيٌّ مـن العـرب، هـم وُلـد الأزد بـن الغـوث. (العَـين/ الفراهيـدي ٦: ٢٨٧؛ مجمـع البحـرين/ الطريحـي ٣: ٧/ مـادَّة أزَدَ). وقـال الفراهيـدي: أزد شـنوءة: أصـحّ الأزد فرعـاً وأصلاً. (العَين ٦: ٢٨٧/ مادَّة شَنَأ).

(٢) الإصابة/ ابن حجر ٨: ٢٨١.

مِنْ مدرسة أهل البيت عليهم السلام في طريقة التعامل مع الآخَرين بصفتهم الإنسانيَّة، مُسقِطين كلَّ تُرّهات الطبقيَّة الاجتماعيَّة، ليرسموا برنامج حياةٍ قائمٍ علىٰ احترام الآخَر مهما كان من جنسٍ أو لونٍ أو هويَّةٍ، وهو عنوان الإسلام وروحه التي جاء بها النبيُّ صلى الله عليه وآله، الذي يُعلِّم فضَّة دعاءً تستعين به علىٰ قضاء حوائجها، مُستدركةً بهذا الدعاء ما فاتها بالنسيان، فتجد سرعة الإجابة الموعودة، فهي تلميذة النبوَّة المجتهدة في تطبيق نظريَّته علىٰ أرض الواقع.

وتُمارس السيِّدة فضَّة حياتها الجديدة تحت سقف بيتٍ يضمُّ سادات الخلق، مُستأنسةً وضعها الجديد، وهي تعيش خارج حدود الزمان والمكان، قائمةً بخدمة سيِّدَي شباب أهل الجنَّة بكلِّ فرحٍ وسرور، فهي تعلم مكانتها من الله ورسوله صلى الله عليه وآله، مجنَّدةً نفسها لسدِّ أيّ حاجةٍ مع ما تراه من فقر وبساطة حال، فهم ليسوا مِنْ أصحاب الثروات أو الطبقات الارستقراطيَّة حتَّىٰ تُمنّي النفس بعَيشٍ رغيد وأجرٍ عالٍ، وإنَّما وجدت عندهم احترام الذات الإنسانيَّة وصناعة الشخصيَّة الإسلاميَّة الكفوءة، وهي غاية أيّ إنسانٍ حُرٍّ وكريمٍ غايته الفضيلة والشرف، وقد تشرَّفت بمنزلتها الكبيرة عندهم، فطوبىٰ لها.

ثمّ يمرُّ علىٰ أهل البيت يومٌ عصيب.. قد مرض الحسنان عليهما السلام مرضاً شديداً، انكسر له قلبُ جدِّهما ووالدهما، وعامَّةِ الناس الذين عادوا الحسن والحسين وقلوبهم مشفقةٌ عليهما، فنذر عليٌّ وفاطمة عليهما السلام أن لو برئا مِنْ مرضهما لَيصوما ثلاثة أيّامٍ شكراً[1].

(١) أُسد الغابة/ ابن الأثير ٥: ٥٣٠.

وبالتأكيد، فإنَّ فضَّة وبما أنَّها أصبحَت مِنْ أهل هذا البيت الكريم، فإنَّها تطوَّعت ونذرت بمثل نذر عليٍّ وفاطمة عليهما السلام أن لو برئا فستصوم ثلاثة أيّامٍ شكراً، وهو يدلُّ علىٰ مدىٰ العلاقة الحميمة بين فضَّة والحسنين، وتعلّقها بهما، فهما بالنسبة لها أكثر من كونهما إمامَين، بل هما ولداها اللذان ترعاهما بعاطفتها وحنوها عليهما، فهمّها ما أصابهما من بلاء. وكان الحسنان عليهما السلام يُبادلانها مشاعر الأُمومة والمودَّة، فهي أمام ناظريها يشاهدانها يداً بيد مع أُمِّهما الزهراء عليها السلام، تأكل معهم وتشرب، وتقاسي ما يقاسون، تفرح بفرحهم وتأسىٰ بأساهم، فلم يُفرِّقوا بينها وبين أيِّ أحدٍ من أفراد أُسرتهم، وعاملوها بكلِّ احترامٍ ومحبَّة.

فيستجيب الله تعالىٰ دعاء جدِّهم ونذر عليٍّ وفاطمة عليهما السلام وخادمتِهم فضَّة، فيلبس ولداهما لباسَ الصحَّة والعافية، ويُسِرُّ الجميع بذلك، ولكن بقي إيفاء النذر منهم!

بالفعل، صاموا اليوم الأوَّل.. ولم يكن في بيتهم ما يفطرون به؛ فيذهب أميرُ المؤمنين عليه السلام مُستقرِضاً من شمعون الخَيبريّ ثلاثة آصعٍ[1] من شعير، جالباً إيّاها إلىٰ فاطمة عليها السلام تصنع الطعام للإفطار به، وذهب هو ليُصلّي مع رسول الله صلى الله عليه وآله، وعند عودته للبيت وُضِعَ الطعام أمامهم للإفطار، فإذا بالباب يُطرَق مِنْ مسكينٍ لم يجد

(١) جمع صاع، وهو: مكيالٌ يسع أربعة أمداد، وقدر الصاع بتسعة أرطالٍ بالعراقيِّ وستَّةٍ بالمدَنيِّ وأربعةٍ ونصف بالمكّي، والرطل المكّي علىٰ وزن رطلين بالعراقيِّ وعلىٰ وزن رطلٍ وثُلث بالمدني. (أُنظُر: مجمع البحرين/ الطريحي ٤: ٣٦١ و٣٦٢/ مادَّة صَوَع).

سوىٰ هذا البيت ليحفظ به كرامته في السؤال، قائلاً: السلام عليكم أهل بيت محمّد صلى الله عليه وآله، مسكينٌ مِنْ أولاد المسلمين، أطعِموني، أطعَمَكم اللهُ علىٰ موائد الجنَّة. فسمعه عليٌّ عليه السلام، فأمرهم بإعطائه الطعام بكلِّ حبٍّ وكرامةٍ، وليبيتوا ليلتهم لم يذوقوا شيئاً من الطعام إلَّا الماء، ولينقضي أوَّل أيّام صيام نذرهم بالصدقة علىٰ المسكين من صاعهم الأوَّل.

وفي اليوم الثاني.. تعدُّ فاطمة عليها السلام وجاريتُها فضَّة الصاع الثاني لإفطارهم، منتظرةً أبا الحسن عليه السلام يعود من صلاته مع أبيها رسول الله صلى الله عليه وآله، وبعد عودته يجتمعون علىٰ المائدة بفارغ الصبر بعد يومين من الصيام وبلا طعام، ليُطرَق البابُ مرَّةً أُخرىٰ، وإذا بيتيمٍ يطلب رغيف خبزٍ من بيت الجود، قائلاً: السلام عليكم أهل بيت محمّد صلى الله عليه وآله، يتيمٌ بالباب من أولاد المهاجرين، استُشهد والدي، أطعِموني، فأعطوه الطعام، فمكثوا اليوم الثاني من صيامهم بلا طعامٍ سوىٰ الماء، وخادمتهم فضَّة تتحمَّل معهم ما يحتملون.

وفي اليوم الثالث.. صنعت السيِّدة الزهراء عليها السلام الصاع الثالث والأخير بعد طحنه وخبزه، وعند رجوع عليٍّ عليه السلام من الصلاة مع النبيِّ صلى الله عليه وآله تُوضَع مائدتهم البسيطة ليفطروا بعد أن أنهكهم الصيام لثلاثة أيّامٍ بلا طعامٍ يستقوُون به علىٰ صيامهم، إذ أتاهم أسيرٌ علىٰ باب دارهم قائلاً: السلام عليكم أهلَ بيت النبوَّة، أطعِموني، فإنّي أسير، فأعطوه الطعام، ومكثوا ثلاثة أيّامٍ بلياليها لم يَقتاتوا شيئاً من الطعام إلَّا الماء، وفضَّة تنظر إلىٰ وجهَي الحسنَين قد

اصفرّا من شدَّة الجوع، وقلبها يعتصر ألماً عليهم، متصبِّرةً قابضةً على آلامها، ترمق وجه عليٍّ وفاطمة، وهي تنظر برحمة إلىٰ وجهي الحسنين عليهما السلام، ضاربين أروع وأجمل أمثلة الإيثار علىٰ النفس، فتُثير هذه الحادثة في نفس فضَّة تساؤلات، لها أوَّلٌ وليس لها آخِر، وتتعلَّم درساً جديداً في التصبّر وغلَبة النفس ومحاربة هواها، فتقف فضَّة علىٰ ساحل هذا البحر المتلاطم الأمواج من العِزَّة والبهاء والكرم والجود والإيثار، لترتقي درجةً أُخرىٰ في مكارم الأخلاق..

فلمَّا أتاهم رسول الله صلى الله عليه وآله ورأىٰ ما بهم مِنْ جوع وتعَب، مُبشِّراً إيّاهم بآيةٍ من الله تعالىٰ نتيجةً لما قدَّموه في سبيله وفي طاعته، ضامناً أجرهم عليه، حيث يقول تعالىٰ: ﴿**هَلْ أَتى عَلَى الْإِنْسانِ حِينٌ مِنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئاً مَذْكُوراً**﴾[1]، وقوله: ﴿**يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخافُونَ يَوْماً كانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيراً ۝٧ وَيُطْعِمُونَ الطَّعامَ عَلى حُبِّهِ مِسْكِيناً وَيَتِيماً وَأَسِيراً ۝٨**﴾[2]. وما كان هذا الفعل منهم مقابل أن تنزل بهم آيةٌ من القرآن، بل إنَّ طاعتهم لله وعملهم بأوامره كان هو الدافع مِنْ وراء إطعامهم، وقد ضمن تعالىٰ نيّاتهم في الآية: ﴿**إِنَّما نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللهِ لا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزاءً وَلا شُكُوراً**﴾[3].

وبالطبع فإنَّ شريكتهم في كلِّ هذا التعظيم والتجليل هي فضَّة النوبيَّة، تلك المرأة التي رفعها الله تعالىٰ درجاتٍ ببركة محمّدٍ

(١) الإنسان: ١.
(٢) الإنسان: ٧ و٨.
(٣) الإنسان: ٩.

وآله عليهم السلام، فتوطَّدت العلاقة أكثر بين فضَّة والحسنين عليهما السلام، فتزداد عزماً وبُعداً في تآصرها وتلاحمها معهم في نكبة السقيفة وسلب فاطمة وعليٍّ حقوقهما بالحيلة والنفاق، فكانت شاهد عَيانٍ علىٰ كلِّ الجرائم التي وقعَت منذ غصب فدك وحَجب الولاية، إلىٰ حادثة الباب وكسر الضلع.. فتصبر إذ صبروا، وتكظِم إذ كظموا، تشدُّ الأزر وتصدُّ المكر، حتَّىٰ حانت لحظة فراق شريكتها وسيِّدتها المظلومة فاطمة عليها السلام، لتقضي شهيدةً بأيدي الباطل، وقد أُسقِط جنينُها المحسن! وفضَّة تستشيط غضباً وهي ترىٰ سيِّدة نساء العالمين بهذا الحال، تسمع الزهراء عليها السلام تقول: «**يا أبتاه يا رسول الله، هكذا يُفعَل بحبيبتك وابنتك. آه، يا فضَّة، إليكِ فخُذيني، فقد والله قُتِلَ ما في أحشائي من حَمل!**»[1].

فتُودِّع فاطمة عليها السلام الحياة بين يدَي فضَّة، ليتولّىٰ أمير المؤمنين عليه السلام تغسيلها وتكفينها، وكان ممَّن حضر ذلك فضَّة جارية فاطمة عليها السلام، فلمَّا أكمل عليٌّ عليه السلام تكفينها نادىٰ: «**يا أُمَّ كلثوم، يا زينب، يا سكينة، يا فضَّة، يا حسن، يا حسين، هلمّوا تزوَّدوا من أُمِّكم، فهذا الفراق، واللقاء في الجنَّة**»[2].

فيتجاذب فضَّة الحزن والسرور، أمَّا الحزن فهو لفراق فاطمة عليها السلام، وأمَّا السرور فلأنَّها قُرنَت مع أولاد عليٍّ وفاطمة عليهما السلام، فتخصيص الإمام عليه السلام لفضَّة دون غيرها يدلُّ علىٰ

(١) بحار الأنوار/ المجلسي ٣٠: ٢٩٤/ الباب ٢٠.
(٢) بحار الأنوار/ المجلسي ٤٣: ١٧٩/ الباب ٧.

قربها منهم وتشابكها مع نسيجهم، لكنَّ لوعة فضَّة أنسَتْها حتَّىٰ نفسها، وتستعدُّ السيِّدة فضَّة لكي تُعوِّض مكان فاطمة في بيتها، مذكِّرةً الحسنين بأُمِّهما في كلِّ مفصلٍ مِنْ مفاصل حياتهما.

فضَّة إرث فاطمة عليها السلام:

فيرث عليٌّ عليه السلام فضَّة، ويصبح سيِّدها.. يقول الإمام الصادق عليه السلام: «**كان لفاطمة جارية يُقال لها: فضَّة، فصارت مِنْ بعدها لعليٍّ عليه السلام، فزوَّجها مِنْ أبي ثعلبة فأولدها ابناً، ثمّ مات أبو ثعلبة، وتزوَّجها مِنْ بعده أبو مليك الغطفاني، ثمّ تُوفّي ابنها مِنْ أبي ثعلبة، فامتنعَت من أبي مليك أن يقربها، فاشتكاها إلىٰ عمرَ في أيّامه...**»[1].

ونزولاً عند رغبة سيِّدها أمير المؤمنين، تتزوَّج فضَّة من أبي ثعلبة بأمر مولاها، بعدما عملت بإخلاصٍ لخدمة الزهراء عليها السلام، لكنَّ قلبها بقيَ مُعلَّقاً بآل عليٍّ وبهذا البيت الذي رأت فيه نور الله يتجلّىٰ فيهم.

ويبقىٰ صدىٰ الإمامة يلوح في رأس فضَّة المدافِعة عن عقيدتها، وتنمّرها في جهاد أعدائه وإنصافها لإمامها أمير المؤمنين عليه السلام، حيث تقول مُجيبةً المنافقين حينما طلبوا من عليٍّ عليه السلام الخروج للبيعة: إنَّ أمير المؤمنين عليه السلام مشغول، والحقُّ له إن أنصفتُم مِن أنفسكم وأنصفتموه[2]!

---

(١) الخصائص الفاطميَّة/ الكجوري ٢: ١٨٩/ الخصّيصة الثانية والعشرون.

(٢) مختصر بصائر الدرجات/ حسن بن سليمان الحلّي: ١٩٢؛ بحار الأنوار/ المجلسي ٥٣: ١٨/ الباب ٢٨.

فما راعها كثرة القوم، فهي جريئة لتردّ عليهم بكلِّ حزمٍ وصرامة، ممَّا يدلُّ علىٰ قوَّة إيمانها وصلابتها.

مع سيّدها الإمام الحسن عليه السلام:

ولم يُشغِلها زواجُها وخروجها من بيت عليٍّ عليه السلام عن مساندة الحسن عليه السلام في إمامته، ووقوفها في الصفِّ الأوَّل مدافعةً عن حياض الإسلام، ومناصرةً للإمامة المتمثِّلة بسيِّد شباب أهل الجنَّة، داعيةً إليه، مُذكِّرةً بجدِّه وأبيه وأُمِّه فاطمة عليها السلام، لائذةً بظِلِّ إمامها الذي خدمَته صغيراً وواسته كبيراً، مُجدِّدةً به عهداً، مستشرفةً الغدر من أصحابه، ولكنَّ المقادير حالت دون غايتها، لتنشج أسفاً علىٰ كبده المسموم يتقطَّع بحقدهم وظلمهم.

ولم يُقعِد السيِّدة فضَّة توانى القوم في نُصرة الإمام الحسن عليه السلام، لتُؤيِّد ثورة سيِّدها الحسين عليه السلام علىٰ الكفر والفساد، فتضع لها قدماً في مسيرته المباركة.

الملامح الشخصيّة للسيّدة فضّة:

من خلال مطالعتنا للروايات الواردة في السيِّدة فضَّة، تُرسَم لنا لمحات مضيئة وبرّاقة، تُظهِر ألمعيَّة فضَّة العلميَّة والولائيَّة.. فلم تكن فضَّة شخصيَّةً عاديَّةً من عامَّة الناس، بل كانت سيِّدةً في قومها، ولذا جاء اختيار النبيِّ صلى الله عليه وآله لها لخدمة فاطمة عليها السلام، لعلمه أنَّها ذات عقلٍ وفِطنة، فرُويَ أنَّها لـمَّا جاءت إلىٰ بيت فاطمة عليها السلام _ وهي كانت بنت ملِكٍ من ملوك الحبشة، وقيل: بنت ملك الهند،

وكان عندها ذخيرة من الإكسير _، فلم تجد في بيت عليٍّ عليه السلام إلَّا السيف والدرع والرحىٰ، فأخذَت قطعةً من النحاس ولانتها وجعلتها علىٰ هيئة سبيكة، وعلَّقت عليها الدواء وصبغتها ذهباً، فلمَّا جاء أمير المؤمنين عليه السلام وضعتها بين يديه، فلمَّا رآها قال: «**أحسنتِ يا فضَّة، لكن لو أذبتِ الجسد لكان الصبغ أعلىٰ والقيمة أغلىٰ**»، فقالت: يا سيِّدي، تعرف هذا العلم؟ قال عليه السلام: «**نعم، وهذا الطفل يعرفه**»، وأشار إلىٰ الحسين عليه السلام، فجاء وقال كما قال أمير المؤمنين عليه السلام، فقال لها أمير المؤمنين عند ذلك: «**يا فضَّة، نحن نعرف أعظم من هذا**»، ثمّ أومأ بيده فإذا عنقٌ من ذهب وكنوز الأرض سائرة، فقال: «**ضعيها مع أخواتها**»، فوضعَتها فسارت[1].

فكانت صاحبة علمٍ من العلوم الطبيعيَّة، وهو علم السيمياء، وهو من العلوم الغريبة التي لا يحظىٰ بها أيٌّ كان، وكونها بنت أحد الملوك فهي شخصيَّة اجتماعيَّة مرموقة، وعدم معرفتها للوهلة الأُولىٰ بكُنه هذا البيت دفعها _ ومِنْ واقع الحبِّ والاعتزاز بهم ورأفتها بحالهم _ إلىٰ صناعة المعروف معهم، واستحسانُ الإمام هذا العمل منها لعلمها وعملها الصادق والمُخلِص عكس للإمام استعداد هذه المرأة لقبول ما يفيض منهم مِنْ علمٍ وآداب وأخلاق؛ فكان سبباً لحرق كثير من الخطوات وتقريب المسافة، ولتعلم أنَّ كلَّ

(١) أُنظر: بحار الأنوار/ المجلسي ٤١: ٢٧٣/ الباب ١١٢ ما ظهر من معجزاته عليه الصلاة والسلام في الجمادات والنباتات/ ح ٢٩، عن: مشارق أنوار اليقين/ الحافظ البُرسي: ١٢١؛ الأنوار العلويَّة/ جعفر النقدي: ١٤٧، وفيه: «يا فضَّة، إنّا ما خُلِقنا لهذا!».

ما في هذا الكون هو مخلوقٌ لأجلهم، ليزداد تفانيها لهم ولتجعل من نفسها أُذُناً صاغيةً لأقوالهم، ليُفتح أُفق فضَّة علىٰ اللَّامحدود من باب عليٍّ عليه السلام.

وهي أيضاً من العالمات بالدين وأحكامه ومسائله، كما تدلُّ مناظرتها مع عمر عندما شكا أبو مالك له فضَّة، فقال لها عمر: ما يشتكي مالِكُ منكِ يا فضَّة؟ فقالت: أنت تحكم بذلك وما يخفىٰ عليك. قال عمر: ما أجد لكِ رخصة. قالت: يا أبا حفص، ذهب بك المذاهب، إنَّ ابني مِنْ غيره مات، فأردتُ أن استبرئ نفسي بحيضة، فإذا أنا حضتُ علمتُ أنَّ ابني مات ولا أخ له، وإن كنتُ حاملاً كان الولد في بطني أخوه! فقال عمر: شعرةٌ من آل أبي طالب أفقه مِن عَدِي[1].

إنَّ لهذه المناظرة دلالتين: الأُولىٰ: فقاهة فضَّة في أُمور الدين، والثانية: فضح مَنْ استولىٰ علىٰ الخلافة بغير حقٍّ وتعريته، وأنَّه ليس مؤهَّلاً لها، وقد جاء اعترافه صريحاً في ذيل الخبر.

إذن، فضَّة العالمة في علوم الطبيعة والعقيدة والفقه كانت مِنْ حَمَلة القرآن، حفظت القرآن وعلمت تفسيره وتأويله، لم تُكلِّم بغير القرآن عشرين سنة، كما جاء عن أبي القاسم القشيري:

انقطعتُ في البادية عن القافلة، فوجدت امرأة، فقلتُ: مَنْ أنت؟

---

(١) بحار الأنوار/ المجلسي ٤٠: ٢٢٧/ الباب ٩٧/ ح ٧، عن: مناقب آل أبي طالب/ ابن شهر آشوب ٢: ١٨٣/ فصلٌ في قضاياه في عهد عمر.

فقالت: ﴿وَقُلْ سَلامٌ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾(١).

فسلَّمتُ عليها وقلت: ما تصنعين هاهنا؟

قالت: ﴿وَمَنْ يَهْدِ اللهُ فَما لَهُ مِنْ مُضِلٍّ﴾(٢).

فقلت: أمن الجنِّ أنتِ أم من الإنس؟

قالت: ﴿يا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ﴾(٣).

فقلت: مِنْ أين أقبلتِ؟

قالت: ﴿يُنادَوْنَ مِنْ مَكانٍ بَعِيدٍ﴾(٤).

فقلت: أين تقصدين؟

قالت: ﴿وَلِلّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ﴾(٥).

فقلت: متىٰ انقطعتِ؟

قالت: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّماواتِ وَالأَرْضَ وَما بَيْنَهُما فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾(٦).

فقلت: أتشتهين طعاماً؟

قالت: ﴿وَما جَعَلْناهُمْ جَسَداً لا يَأْكُلُونَ الطَّعامَ﴾(٧).

فأطعمتُها، ثمّ قلت: هرولي وتعجَّلي!

فقالت: ﴿لا يُكَلِّفُ اللهُ نَفْساً إِلَّا وُسْعَها﴾(٨).

---

(١) الزخرف: ٨٩.

(٢) الزمر: ٣٧.

(٣) الأعراف: ٣١.

(٤) فُصِّلت: ٤٤.

(٥) آل عِمران: ٩٧.

(٦) ق: ٣٨.

(٧) الأنبياء: ٨.

(٨) البقرة: ٢٨٦.

فقلت: أُردفكِ؟

فقالت: ﴿لَوْ كانَ فِيهِما آلِهَةٌ إِلَّا اللهُ لَفَسَدَتا﴾[١].

فنزلت فأركبتُها، فقالت: ﴿سُبْحانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنا هذا وَما كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ﴾[٢].

فلمَّا أدركنا القافلة قلت لها: ألكِ أحدٌ فيها؟

قالت: ﴿يا داوُدُ إِنَّا جَعَلْناكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ﴾[٣]، ﴿وَما مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ﴾[٤]، ﴿يا يَحْيى خُذِ الْكِتابَ بِقُوَّةٍ﴾[٥]، ﴿يا مُوسى إِنَّهُ أَنَا اللهُ﴾[٦].

فصحتُ بهذه الأسماء، فإذا بأربعة شبابٍ متوجِّهين نحوها، فقلتُ: مَنْ هؤلاء منكِ؟

قالت: ﴿الْمالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَياةِ الدُّنْيا﴾[٧].

فلمَّا أتوها قالت: ﴿يا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ﴾[٨].

فكافؤوني بأشياء، فقالت: ﴿وَاللهُ يُضاعِفُ لِمَنْ يَشاءُ﴾[٩]، فزادوا لي.

---

(١) الأنبياء: ٢٢.

(٢) الزخرف: ١٣.

(٣) ص: ٢٦.

(٤) آل عِمران: ١٤٤.

(٥) مريم: ١٢.

(٦) النمل: ٩.

(٧) الكهف: ٤٦.

(٨) القصص: ٢٦.

(٩) البقرة: ٢٦١.

فسألتُهم عنها، فقالوا: هذه أُمُّنا فضَّة جارية الزهراء، ما تكلَّمَت منذ عشرين سنة إلَّا بالقرآن[١].

فالسيِّدة فضَّة النوبيَّة امرأةٌ صالحةٌ زاهدةٌ، قضت شطراً من حياتها في بيت فاطمة عليها السلام، فكان بالنسبة لها ولادةً جديدةً، وحُرّيَّةً وليست عبوديَّة، شاطرتهم في جميع أحداث حياتهم، لتصبح مبلِّغةً عنهم، مواصلةً مع إمامَيها الحسن والحسين عليهما السلام نشاطها الدينيّ والعلميّ، ليصبح لقبها (جارية فاطمة) بكلِّ فخرٍ واعتزاز.

ذكر الحَمَويّ في (معجم البلدان) في القبور التي في الشام قبر فضَّة جارية فاطمة عليها السلام في قبلي الباب الصغير[٢].

لقد نالت فضَّة من الكرامة ما لم يحصل عليها غيرها، من مرافقة آل البيت عليهم السلام ومعايشتهم، حتَّىٰ أصبحت واحدةً منهم، وإنَّما هو لصدق سريرتها وطِيب نفسها وسلامة دينها ورجاحة عقلها.. فعليها رضوان الله بما صبرت وواست ووَفَت وأخلصت، لتلقىٰ ما قدَّمَت عند ربِّها جزاءً وشكوراً.

* * *

(١) مناقب آل أبي طالب/ ابن شهر آشوب ٣: ١٢١/ باب مناقب فاطمة الزهراء عليها السلام؛ بحار الأنوار/ المجلسي ٤٣: ٨٦/ الباب ٤.

(٢) مُعجم البلدان/ ياقوت الحموي ٢: ٤٦٨.

أمّ رِعْلة القُشَيريّة

صحابيَّةٌ جليلةٌ، متفقِّهةٌ ذات أدبٍ وفصاحة، موالية لعليٍّ بن أبي طالب وأهل بيته عليهم السلام، مقتديةٌ بسيِّدة نساء العالمين فاطمة الزهراء عليها السلام، وأُمُّ رِعْلة _ بكسر أوَّله وسكون المهملة[1] _ امرأةٌ بدويَّة، سليمة العقيدة قويَّة الإيمان، كان النبيُّ صلى الله عليه وآله معجَباً بها لإيمانها وعلمها وفصاحتها.

سيرتها العلميّة:

جاءت إلىٰ النبيِّ صلى الله عليه وآله سائلةً إيّاه، كما في الرواية عن الأوزاعي، عن عطاء، عن ابن عبّاسٍ، قال: وفدَت إلىٰ النبيِّ صلى الله عليه وآله امرأةٌ يُقال لها: أُمّ رِعْلة القُشَيريَّة، وكانت امرأةً ذات لسانٍ وفصاحة، فقالت: السلام عليك يا رسول الله ورحمة الله وبركاته، إنّا ذوات الخدور، ومحلّ أُزُر البعول، ومُربّيات الأولاد، وممهِّدات المهاد، ولا حَظَّ لنا في الجيش الأعظم، فعلِّمْنا شيئاً يُقرِّبنا إلىٰ الله عزّ وجلّ. فقال لها النبيُّ صلى الله عليه وآله: «**عليكنَّ بذكر الله عزّ وجلّ آناء الليل وأطراف النهار، وغَضِّ البصر، وخَفضِ الصوت**»[2].

---

(١) الإصابة/ ابن حجر ٨: ٣٩٠/ الرقم ١٢٠٢٥.

(٢) أُسد الغابة/ ابن الأثير ٥: ٥٨٢.

في مدلول هذه الرواية تتبيَّن فِطنة هذه المرأة وبُعد نظرها ومعرفتها، فهي تُقرِّر واقع النساء وما يجب عليهنَّ، بطريقةٍ مهذَّبة تدلُّ علىٰ مدىٰ إلمامها بالثقافة الإسلاميَّة والاجتماعيَّة، طالبةً من النبيِّ صلى الله عليه وآله إقرار هذا البرنامج للمرأة المسلمة، مستعينةً بآلتها البلاغيَّة، مبتدئةً مِنْ صفة المرأة المسلمة بذات الخدر المحتجبة عن أعين الناس، ومن ثَمَّ وظيفتها الأُسريَّة مِنْ شدِّ أُزُر الرجل ومعونته في الحياة، ودورها في إنشاء الجيل بالتربية ومعاهدة الأولاد ورعايتهم، والتمهيد لتنظيم شؤون البيت لإنجاح الأُسرة بإخراج جيلٍ مسلمٍ صحيح. فأيُّ فكرٍ يملأ هذه المرأة العالمة، وأيُّ ذوق فقهيٍّ يمكنها من عرض نفسها أُنموذجاً للمرأة المسلمة! مع أنَّها ليست من سُكّان المدينة، لكنَّ إسلامها جعل منها عقلاً متفتِّحاً مستوعباً المنهج الإلهيِّ المرسوم بدقَّة لوضع الأشياء محلّها..

ثمّ تستطرد قائلةً: ولا حظَّ لنا في الجيش الأعظم، مستعلِمةً من النبيِّ الأكرم صلى الله عليه وآله حدود مسؤوليّاتها، وما يجب عليها من مهمَّةٍ عامَّةٍ إضافةً إلىٰ مهامّها الخاصَّة، مقدَّرةً الحكمة من تصدّي الرجل دون المرأة للحرب، محاولةً اقتناص الفرصة بلقائها لنبيِّها بزيادة العلم في دِنيها، فإن لم تكن من أهل الجيش المقرَّبين بجهادهم من الله عزّ وجلّ، فهي ترجو أن يُعلِّمها عملاً يُقرِّبها إلىٰ الله زلفىٰ لتُحقِّق بذلك تتميم دينها وعمق عقيدتها.

فيجيبها النبيُّ صلى الله عليه وآله مكمِّلاً الشطر الآخَر من الإنسان المسلم، وهو الجانب العباديّ وتقوىٰ الله والبناء الروحيّ، بعد ما طرحت

هي من البناء الهيكليّ للإسلام، قائلاً: «**عليكنَّ بذكر الله**»! فإنَّ كيان المسلم لا يستقيم إلَّا بتخلّيه عن المادّيّات، واللجوء إلىٰ عالَم الغَيب بالذِّكر والتبتُّل إلىٰ الله تعالىٰ، «**وغضِّ البصر، وخفض الصوت**».

إذن، رَسَمَ لنا هذا الحديث صورةً حيَّةً لكيفيَّة أخذ المرأة دورها في الحياة، وهي تُمثِّل العنصر الاجتماعي الآخر، وأهمّيّة الحفاظ علىٰ صونها وعفَّتها. هكذا هُنَّ تلميذات النبوَّة ومعلِّمات الأجيال بكلِّ صدقٍ ومعرفة.

سيرتها العقائديّة:

ثمّ تقودنا أُمُّ رِعلة في رحلةٍ أُخرىٰ من عالم المعرفة وبسؤالٍ لرسول الله في فقه المرأة وما يجب أن تتوخّاه في عملها، يشير إلىٰ براعة هذه السيِّدة الفقيهة في دينها، قائلةً: يا رسول الله، إنّي امرأةٌ مقيِّنة[1]، أُقيِّن النساء وأُزيِّنهنَّ لأزواجهنَّ، فهل هو حُوبٌ[2] فأُثبِط[3] عنه؟ فقال لها: «**يا أُمّ رِعلة، قيِّنيهنَّ وزيِّنيهنَّ إذا كسدن**»[4].

---

(١) التَّقَيُّن: التزيّن بألوان الزينة، وقيل: القينة: الأَمَة البيضاء. (العَين/ الفراهيدي ٥: ٢١٨؛ مجمع البحرين/ الطريحي ٦: ٣٠١/ مادَّة قَيَن).

(٢) الحُوب - بالضمِّ -: الإثم، وقوله تعالىٰ: ﴿حُوباً كَبِيراً﴾ (النساء: ٢)، أي: إثماً كبيراً، وحاب حوباً - من باب قال -: اكتسب الإثم، والحوبة: الخطيئة. (مجمع البحرين/ الطريحي ٢: ٤٧/ مادَّة حَوَب).

(٣) ثَبَّطَه عن الأمر تثبيطاً: إذا شغله عنه وأثقله وأقعده، وثَبَّطه عن الأُمور: إذا حبسه وشغله عنها، ومنه الدعاء: «إن هممتُ بصالحٍ ثَبَّطني». (العَين/ الفراهيدي ٧: ٤١٢؛ مجمع البحرين/ الطريحي ٤: ٢٤٠/ مادَّة ثَبَط).

(٤) الإصابة/ ابن حجر ٨: ٣٩٠/ الرقم ١٢٠٢٥.

وعليه كانت أُمُّ رِعلة ماشطةً تُزيِّن النساء، وهذا أمرٌ يستدعي الحرص علىٰ كون عملها خالياً من كلِّ إشكالٍ ممكنٍ أن يقع، وهذه الالتفاتة العلميَّة منها جعلها موضع ثقة للنبيِّ صلى الله عليه وآله في تبليغ الأحكام الشرعيَّة، لما تملك من نضوجٍ عقليٍّ يُوحي بإبرامها المسائل الفقهيَّة، موليةً اهتمامها لفقه الأُسرة المسلمة، مُدركةً مِفصلاً هامَّاً من جسد التشريع الإسلامي.

ولا ريب في امرأةٍ عرفت حقَّ محمّدٍ صلى الله عليه وآله وآل محمّدٍ عليهم السلام في أن تبلُغ أسمىٰ درجات المعرفة والتديّن كما يريده أهل البيت عليهم السلام بما أفاضوا عليها من الحكمة.

ثمّ إنَّ لشخصيَّة السيِّدة أُمّ رِعلة جانباً آخَر عقديَّاً يتمثَّل في موقفها بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله، والتزامها جانب الحقِّ والثبات علىٰ الولاية لآل الرسول بعد غيابٍ عن ساحة النبوَّة ببدنها، لكنَّ روحها كانت معلَّقةً بعالم الملكوت، تستشفُّ به أَوج الحقيقة، فتعلم بوفاة النبيِّ صلى الله عليه وآله وما آلت إليه أُمور المسلمين من انحرافٍ في عقيدتهم، ممارسةً دورها وتكليفها بإزاء انقلابٍ علىٰ الشرعيَّة والمشروعيَّة، وعدم إنصاف آل محمّدٍ صلى الله عليه وآله بدفع الأمر إلىٰ غيرهم؛ فهاجت وماجت في المدينة مُذَكِّرةً بالحقِّ وأهله، باكيةً نادبةً سيِّدَ الكون من جهةٍ وظلم آله من جهةٍ أُخرىٰ، آخذةً بيدها اليمنىٰ الإمام الحسن المجتبىٰ عليه السلام وفي اليسرىٰ الإمام الحسين عليه السلام، محتجَّةً بهما علىٰ القوم بسجيَّتها البدَويَّة وببراءة عشقها لآل البيت، مدافعةً عنهم بعدما تخاذل أشرافهم، لكنَّها بعزَّتها وعنفوانها أحدثت

هزَّةً في المدينة، فكان أشبه بمأتمٍ متنقِّل، تنتقل من دارٍ إلىٰ دار، لكنَّها لم تجد سوىٰ قلوبٍ تملَّكها الجفاء، ووجوهٍ مكفهرَّةٍ ضُربَ عليها الخزي والمذلَّة، فما أسرع ما خانوا عهد النبوَّة، وأُمُّ رِعلةَ بنفسها أُمَّةٌ تخوض غِمار التحدّي، وتُثبتُ عقيدتها العلويَّة رغم أُنوف المنافقين، مردِّدةً نشيد الولاء:

يا دارَ فاطمةَ المعمورَ ساحتها هَيَّجْتَ لي حَزَناً، حُيِّيتَ مِنْ دارِ[1]

نعم يا أُمَّ رِعلة، لقد قلَّ ناصرهم، وشاحت وجوههم، وضُرِبَ علىٰ قلوبهم، أذلَّةً خاسئين!

أُمّ رِعْلة والإمام الحسن عليه السلام:

فمن الواضح أنَّ هذه السيِّدة المِعطاء كانت علىٰ قُربٍ من بيت الرسالة ومن ثقاتهم، ودلالةُ طوافها بالحسنين عليهما السلام يُشير إلىٰ اكتنافهم لها، وإشادةٍ لها بالانتماء لهم، وتولّيها آخرَهم كما تولَّت أوَّلهم، فالاحتجاج بالحسنين هو مبايعةٌ لهما بعد أبيهما، ونَدْبتُها لبيت فاطمة عليها السلام لهي بيِّنةٌ واضحةٌ علىٰ معالم عقيدتها السويَّة، ضاربةً مثالاً رائعاً علىٰ نباهة أتباع أهل البيت عليهم السلام بخروجها للمطالبة بحقِّ عليٍّ عليه السلام بالخلافة، مردِّدةً شعراً باسم فاطمة عليها السلام، مصاحبةً للحسن والحسين عليهما السلام.. طورٌ عالٍ من الفدائيَّة والعقلانيَّة انسجمت عند هذه المرأة العظيمة!

وفي الرواية دلالةٌ علىٰ أنَّها صاحبَت الإمام الحسن عليه السلام، وقد

(١) الإصابة/ ابن حجر ٨: ٣٩٠.

تكـون أدركتـه في محنتـه، إلَّا أنَّ التـاريخ لم يـذكر سـيرتها وسـنة وفاتهـا، لكنَّ كلَّ هـذه الـدلائل تُشـير إلىٰ أنَّهـا بقيَـت بنـت البيـت العلـويّ الوفيَّـة البـارَّة، ويكفيهـا شرفـاً أنَّهـا أخـذت بيـد الحسـن عليه السلام للاحتجـاج بـه، وهو اعـترافٌ ضـمنيٌّ مـن الإمـام الحسـن عليه السلام بأنَّهـا ناطقـةٌ رسـميَّةٌ عـن لسـانهم، وصـوتٌ جَهـوريٌّ عـلا باسـمهم، لتُسـجِّل أُمُّ رِعْلـة القُشَـيريَّة نفسـها بهـذا الموقـف البطـوليِّ أنَّهـا حسـنيَّة الهـوىٰ والعمـل.. فبُشـراكِ أيَّتها الحسَنيَّة ببيعكِ الذي بايعتِ.

* * *

السيّدة فاطمة بنت حزام

نسبها: هي فاطمة بنت حزام بن خالد بن ربيعة بن الوحيد بن كعب بن عامر بن كلاب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن[1].

وأُمُّها: ليلىٰ بنت السهيل بن مالك.

وهي من سادات بيوتات العرب وسنامها، عُرِفَ آباؤها بالشجاعة والفروسيَّة والفِراسة، من قومها أبو البَراء مُلاعب الأسنَّة، علَت شرفاً وسمَت عزَّاً وفخراً، سيِّدةٌ جليلةٌ عالمةٌ زكيَّةٌ تقيَّةٌ مخدَّرةٌ نجيبةٌ مصونةٌ، قلَّ نظائرها من النساء لِما حوته من شمائل وسمات.

كنيتها: كُنّيت بـ (أُمِّ البنين) مِنْ قِبَل زوجها أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام، وذلك بطلبٍ منها؛ حفاظاً علىٰ عدم المساس بمشاعر الحسنين عليهما السلام بعد رحيل أُمّهما؛ لأنَّ اسمها مطابق لاسم أُمّهما، وذلك غاية اللطف والحِكمة والمعرفة والأدب منها.

اقترانها بالإمامة:

بعد رحيل سيِّدة نساء العالمين فاطمة الزهراء عليها السلام ملتحقةً

---

(١) عُمدة الطالب في أنساب آل أبي طالب/ ابن عنبة: ٣٥٦/ الفصل الرابع في عَقِب العبّاس بن أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام.

بأبيها الرسول الكريم صلى الله عليه وآله مظلومةً مقهورةً، انطفأ نور الزهراء في بيت عليٍّ عليه السلام، مفارِقةً الحسن والحسين وزينب عليهم السلام وهم بعمر الورود، وبأشدّ ما يكون الطفل بحاجة أُمِّه لتُغدِق عليه بحنانها وترعاه في معيشته، فكيف بهم وهم رياحين الرسول وقرَّة عينه، لم تهنأ بهم فاطمة عليها السلام ولم يهنؤوا بها، فبعد تصدّع قلوبهم بوفاة جدِّهم رسول الله صلى الله عليه وآله صُدعوا بموت أُمِّهم، بضعتِه وشبيهتِه والمُذكِّر به، حُرِموا مِنْ عطر فاطمة الذي كان يفوح في أروقة المدينة ومن شعاع نورها الذي كان يضيء في بيوتها..

طلب أمير المؤمنين عليه السلام من أخيه عقيل بن أبي طالب _ وكان من العلماء في النسَب والعارفين ببيوتات العرب كريمها وخبيثها _ أن ينتقي له دُرَّةً مصونة؛ كي تكون حليلته، وتتحمَّل معه أعباء الإمامة، فقال عليه السلام لأخيه عقيل: «**أُنظُر إلىٰ امرأةٍ قد ولدَتها الفحولةُ من العرب؛ لأتزوَّجها، فتلدَ لي غلاماً فارساً**»، فقال له: تزوَّجْ فاطمة بنت حزام الكلابيَّة، فإنَّه ليس في العرب أشجع من آبائها[1].

وفي الوقت نفسه كانت تروي السيِّدة فاطمة رؤياها لأُمِّها، فكأنَّها جالسةٌ في دارها إذ وقع القمر في حِجرها، وتبعه أربع كواكب، فإذا بأبيها يدخل عليها ليُبشِّرها ويُبشِّر أُمَّها بقدوم عقيل بن أبي طالب لخطبة فاطمة إلىٰ أخيه عليّ بن أبي طالب عليه السلام، فلمَّا

(١) عُمدة الطالب في أنساب آل أبي طالب/ ابن عنبة: ٣٥٧/ الفصل الرابع في عَقِب العبّاس بن أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام.

سمع أبوها الحلم استبشر، وقال: لقد حقَّق الله رؤياكِ يا بُنيَّتي، فأبشري بسعادة الدنيا والآخرة[١].

فاستبشري يا فاطمة وافرحي بهذا الزواج الميمون، لتتَّسع دائرة الشرف التي تحيط بكيانكِ المبارك أيَّتها الطاهرة، ولتتحقَّق رؤياكِ التي بشَّركِ الله بها قبل أبيك، فستكونين تحت عطف الإمامة وموضع الرسالة ومختلف الملائكة، لتُحيطكِ بهالة القدس الأبديَّة.

امرأةٌ بصفات فاطمة بنت حزام جديرةٌ بأن تكون زوجةً لأمير المؤمنين عليه السلام، وهي صفوة زوجات الإمام عليٍّ عليه السلام اللاتي اقترن بهنَّ بعد فاطمة عليها السلام، وعند زفافها إلىٰ بيت عليٍّ عليه السلام رأىٰ فيها الشرف والعِزَّة والسؤدد ورجحان العقل وسمة البهاء والنجابة، وكيف لا تكون وهي حليلة عليٍّ عليه السلام وقرينته، لكنَّها لم تكن تنظر إلىٰ عليٍّ عليه السلام علىٰ أنَّه زوج فقط، بل هو إمامها المفترَض الطاعة ووصيّ رسول الله صلى الله عليه وآله، وهي العالمة، تعلم قدره وتعرف مكانته، عازمة أن تكون بقدر المسؤولية التي تصدَّت لها، وأنَّها أصبحَت في البيت الذي أذهب الله عنه الرجس وطهَّره تطهيراً، وأنَّ اسمها سيقترن باسم هذا البيت الذي مُلئ بأنفاس عليٍّ وفاطمة عليهما السلام وبخطوات رسول الله صلى الله عليه وآله وبنغمات أصوات الحسنَين عليهما السلام، لتعلو همَّتها وتُحسِّن طريقتها، لتخطو خطوتها الأُولىٰ في مسيرة الإمامة بمنتهىٰ الإدراك والعلم، مشيِّدةً مجدها الذي لم يأفل ولا يأفل عندما طلبَت من أمير المؤمنين عليه السلام قائلة: لي إليك

(١) العقيلة والفواطم/ حسين الشاكري: ١١٧/ الفصل الثالث فاطمة بنت حزام.

حاجة! فقال عليه السلام: «**وما حاجتُكِ؟**»، قالت: أرجو أن لا تُسمِّيني فاطمة؛ لئلَّا ينكسر قلبُ الإمامين الحسنين وأُختهما زينب ويتذكروا أُمّهم. عند ذلك سمّاها: أُمّ البنين[1].

أيُّ وفاءٍ هذا لسيِّدة النساء، وأيُّ أدبٍ تحمل هذه السيِّدة المُبجَّلة التي أصبحَت لا ترىٰ نفسها؛ لذوبان ذاتها في عشق آل الرسول عليهم السلام، مع عزَّتها وكرامتها في نسبها! إلَّا أنَّها أكسبت نفسها هويَّةً جديدةً باسم عليٍّ وبنيه عليهم السلام، مؤثرةً إيّاهم علىٰ فاطمة بنت حزام الكلابيَّة، وما تكنية الإمام عليه السلام إيّاها بهذه الكنية إلَّا بُشرىٰ زَفَّها الإمام لها في يوم زفافها بأنَّها ستكون أُمَّاً لبنين أربعة، وستُطرَّز أسماؤهم في سماء الشهادة.

راعية السبطَين:

تدخل أُمُّ البنين في بيت عليٍّ عليه السلام متوجِّسةً خائفةً أن لا تُغضِب ربَّها في تقصيرها لأهل هذا البيت، تترقَّب في عيونهم حزناً فاضت به عيناها، تتأمَّل فيهم نظرات الأسىٰ لفقدهم وجه فاطمة أُمِّهم ولمساتها الحنونة، فما أجلُّ الخطب وما أصعب الموقف، فكيف ستقتحم أُمُّ البنين أسوار الحزن التي أحاطت بدار الرحمة والرحمانيَّة؟ فاستنفرت أُمُّ البنين كلَّ جوارحها وجوانحها لاستيعاب جراحهم وتضميدها، ولسان حالها يقول: سأكون لكم أُمَّاً كما تريدون أنتم لا كما أُريد، وسأُطاوع نفسي وأُحيلها روحاً

(١) العقيلة والفواطم/ حسين الشاكري: ١١٧/ الفصل الثالث فاطمة بنت حزام.

شفّافةً لتستقرّ فيها أرواحكم الطيِّبة، اسمحوا لي أن أكون في ركبكم مطيعة، واجعلوني وسادةً لخدودكم التي أشبعها رسول الله لثماً وتقبيلاً.

لتبدأ أُمُّ البنين مسيرتها البطوليَّة في ضمِّ الحسنين وزينب إلىٰ كنفها، مُولِيةً إيّاهم كلَّ اهتمامها، لتكون عند حُسن ظنِّ مولاها أمير المؤمنين عليه السلام وسيِّدتها الزهراء عليها السلام، تُمارس وبدقَّةٍ دورها في إكمال حياتهم الطبيعيَّة والروحيَّة بعنايةٍ تامَّة، لتبعث في نفوسهم ابتسامةً غادرتهم طويلاً، وهي مع هذا علىٰ استحياءٍ من الزهراء عليها السلام، إنَّها مهما فعلَت تبقىٰ في موضع التقصير، فلا يوجد امرأةٌ تُعوِّض مكان بضعة محمّد صلى الله عليه وآله! ولم تنسَ فاطمة في خِضَمِّ هذه الحياة الدؤوبة في رعاية الحسنين عليهما السلام حُسن التبعّل مع عليٍّ عليه السلام ومساندته في محنه، وأعناق القوم مُشرأبَّة لعداوته والإيقاع به، فلم تألُ جهداً علىٰ توفير أجواء النصر علىٰ أعدائه، منكبَّةً علىٰ مداراته وتطييب نفسه، تنطلق هذه المرأة الغيور بكلِّ قوَّتها للدفاع عن دينها وعقيدتها، من منطلق ذاتها المفعَمة بالإيمان بأحقّيَّة عليٍّ وبنيه في قيادة الأُمَّة وتشريع أحكامها، بالرغم من محاولة دفعهم عن مقامهم ومراتبهم التي رتَّبهم الله فيها.

أمّ البنين عليها السلام والحسن عليه السلام:

أنجبَت أُمُّ البنين أربعةً من الأولاد، وقد ورثوا خلال الهاشميّين من أبيهم وشجاعة ونجابة خؤولتهم من أُمِّهم، أوَّلهم

العبّاس بن علي عليه السلام، ولُقِّب بقمر بني هاشم لحُسنه وجماله وشجاعته، وعبد الله، وجعفر، وعثمان، لتُسنِد بهم الحسن والحسين عليهما السلام، جاعلةً منهم فدائيّين لهم، يطوفون حول الحسنين عليهما السلام كنسور الرُّبىٰ، ذائدين عنهم تيمّناً بأُمِّهم، مُدجَّجين بكبريائهم العلويّ، منصهرين في بَودقة الإخلاص للإمامة المتمثِّلة بالحسن والحسين سيِّدي شباب أهل الجنَّة عليهما السلام، فهم ضمن دائرة الوفاء التي اختطَّتها أُمُّ البنين لفاطمة وبنيها.

واستمرَّت أُمُّ البنين في طريق خدمة الحسنين عليهما السلام، فالحسن كان يُمثِّل لها ركناً أساسيّاً في محور الحركة المعصوميَّة وهو يتسنَّم مقاليد الإمامة بعد أبيه، فهو بأمسِّ الحاجة إلىٰ الدعم المباشر من أنصار الإمام والإمامة، وبالتأكيد فإنَّ السيِّدة أُمّ البنين _ والتي عاصرَت حياة الإمام الحسن عليه السلام، وهي مِنْ أعرف الناس به، ومن العالمات بالوصيَّة ومداليلها، وأنَّه الحُجَّة علىٰ الناس بعد أبيه _ شمَّرَت عن ساعد الجِدِّ وأظهرت مضامين الحقيقة، لتلفِت أنظار المسلمين من أجل الالتفاف حول إمامهم، ومن جهةٍ أُخرىٰ كان الإمام الحسن عليه السلام ينظر لها نظرة الأُمِّ الرؤوم التي احتضنَته منذ الصغر، وبقيت مواسيةً له ولإخوته، فلم يشعروا أنَّها زوجة أب، بل أُمٌّ ثانيةٌ بعد أُمِّهم الصدّيقة فاطمة عليها السلام، قائمةً بخدمتهم هي وأولادها الأربعة، فهي _ كما عبَّر عنها جعفر النقديّ في كتابه (زينب الكبرىٰ) _ كانت من النساء الفاضلات العارفات بحقِّ أهل البيت عليهم السلام، كما كانت فصيحةً بليغةً لَسِنةً، ذات تُقىً وزهد

وعبـــادة[١]. وقـــال المازنـــدرانيّ في (معـــالي الســـمطين): إنَّ ولـــدها العبّاس عليه السلام أخذ علماً جمّاً في أوائل عُمره عن أبيه وأُمِّه[٢].

فنستشـفُّ أنَّ السـيِّدة أُمّ البنـين عالِمـةٌ فصـيحةٌ، ذات تقـىٰ وقـوَّة بيـان، وهـو ممَّـا يُؤهِّلهـا أن تكـون ظهـيراً قويَّـاً ومسـتنَداً متينـاً للإمـام الحسـن وأخيـه الحسـين عليهما السلام مـن بعـده، استكمالاً لـدورها الـذي بـدأ مع الإمـام عـليّ عليه السلام، فهـي نصـيرة العصـمة، فتضـحىٰ قـدوةً في الإيثـار والتضحية..

هـذا حَسَـنُكِ يـا أُمَّ البنـين، تحيطـه البلـوىٰ وأربـاب النفـاق، يجـول في عينـه فـلا جـدّه ولا أبـوه ولا أُمّـه، ليرمقـكِ بنظـرة الحـزن التـي ارتســمَت عــلىٰ ملامــح وجهــه الشــريف، يشــكو إلىٰ الله فعــل قــوم ضـيَّعوا الوصـيَّة وركبـوا ظهـر الفتنـة، فهـل مِـنْ مـواسٍ لـه في محنتـه؟ هلمّـي يـا أُمَّ البنـين لتحتضـني ولـدكِ البـارّ، لتذكّريـه بـدفءِ صـدر أُمِّـه مكسورةِ الضـلع، ولتُزيحـي عنـه همـوم الحيـاة الـدنيا التـي أعلنـت حربهـا عـلىٰ آل الرسـول، وامسـحي بكفَّيـك الطـاهرتين مواجعـه وآلامـه! أنـتِ يـا أُمَّ البنـين نـاصره في المهـمّات في قبـال خاذليـه ونافـذة الصـبر الحاكيـة عـن قوَّتـه وعنفوانـه، شُـمّي فيـه رائحـة عـليٍّ عليه السلام لتسـتعيدي ذكـرىٰ تجلّـده في تحـدّي الصـعاب، فهـو الفـارس المغـوار، وارث سـؤدد جـدِّه رسـول الله صلى الله عليه وآله وشـجاعة أبيـه ومظلوميَّـة أُمِّـه.. خُـذي بيـده يـا أُمَّ البنـين، ليستشـعر موقـف أبنائـكِ الأربعـة الـذين صـنعتِ مـنهم حُمـاةً

(١) زينب الكبرىٰ/ جعفر النقدي: ٨٨.

(٢) معالي السمطين/ المازندراني ١: ٣١.

للعقيدة، فمدرسة الوفاء التي أسَّستِها علىٰ قواعد الإيمان وجزالة التضحية ستُخرِج أجيالاً تهتف باسمكِ عنوان البطولة والتفاني.

عانىٰ الإمام الحسن عليه السلام من تخاذل أصحابه وغدرهم، وعدم نصرة دعوة الحقِّ بعد إلقاء الحُجج عليهم، وقيامه لمحاربة معاوية علىٰ سيرة عليٍّ عليه السلام، لتثبيت أركان دولة العدالة الإلهيَّة، لكنَّهم أبوا إلَّا مقارعة الحقِّ ونصرة الباطل، خدعَتهم الدنيا بغرورها، وأنفسَهم بعداوة المعصوم، فخلت ساحة الأنصار إلَّا القليل منهم، ومنهم أُمّ البنين وأولادها، فأثبتوا موقفاً مشرِّفاً في مقابل شذوذ المواقف التي تبنّاها الآخَرون.

ويستمرُّ جهاد فاطمة بنت حزام وبنيها في مجابهة أعداء الإمام الحسن عليه السلام إمامهم وأخيهم، حتَّىٰ دُسَّ إليه السمَّ ليقضي شهيداً، فما منهم إلَّا مسمومٌ أو مقتول! ليصيب سهمُ قتله قلبَ أُمِّ البنين المفجوعة بسيِّدها ووَلدها الإمام الحسن عليه السلام، بعد حياةٍ حافلةٍ بلحظات السعادة التي عاشَتها أُمُّ البنين معه، فكان لفقده الأثر الكبير في حياتها الشريفة، ولتحمل في خَلَجات نفسها حسرات فراق حبيبها الحسن عليه السلام، وحزن الحسين عليه السلام علىٰ أخيه وحبيبه، ولتبقىٰ سلوته في أُخته زينب عليها السلام، وأُمّه أُمّ البنين ملاذاً من نكبات الدهر الذي جرَّعهم غصص الغدر والخيانة.

أمّ البنين عليها السلام والحسين عليه السلام:

فتُواصِل أُمُّ العبّاس مسيرتها بقلبٍ مفجوعٍ وصدرٍ موجوعٍ في إسناد ثاني الأسباط وبقيَّة السلَف من آل محمّد صلى الله عليه وآله، تحثُّ الخُطىٰ

في ركبهم الإلهيِّ بعزمٍ وحزم، وما وقع في يوم عاشوراء خيرُ دليلٍ علىٰ عطاء أُمِّ البنين الثرّ الذي لم ينضب ولا ينضب، بكراماتها العديدة علىٰ المؤمنين، بعظمتها وجلالة قدرها وقربها من الله تعالىٰ وحظوتها عند آل البيت عليهم السلام، فكان لبنيها دورٌ كبيرٌ في كربلاء.

ولم تُبالِ أُمُّ البنين بهم عند إخبار ابن حذلم بقتل الحسين عليه السلام، فيُخبرها بقتل عبد الله وجعفر وعثمان، فلم تكترث لقوله، فجميع مشاعرها كانت مع الحسين عليه السلام، فلم تكن ترىٰ غيره، ثمّ يُخبرها بشهادة العبّاس عليه السلام، فيسقط ابن العبّاس عُبيد الله مِنْ علىٰ كتفها، لعلمها أنَّ العبّاس عليه السلام المحامي الأوَّل عن الحسين عليه السلام، فنفذ صبرها وذابت مهجتها، ثمّ ينعىٰ إليها حبيبها الحسين عليه السلام!

ما أشدّ صبركِ، وما أكبر روحكِ، وما أسمىٰ شخصكِ! تُؤثِرين الحسين عليه السلام علىٰ أولادكِ، لتضربي لنا أروع صور الإيثار والصبر علىٰ المصيبة..

ولم يبقَ سوىٰ عزيزتها زينب عليها السلام، لتقضي معها وطرها الأخير من رحلتها، فتستقبل أُخت الحسين عليه السلام نادبةً إيّاه دون أولادها، مُشعِرةً إيّاها أنَّها أُمُّهم قبل أن تكون أُمَّ البنين، سائلةً زينب عليها السلام رضاها عن إخوتها وعدم تقصيرهم في النصرة، فتُبادر زينب عليها السلام بندب العبّاس عليه السلام إيفاءً لحقِّ شريكتها في العزاء، تشدُّ إحداهما أزر الأُخرىٰ بعد فقد سيِّد شباب أهل الجنَّة عليه السلام، منتهلتين صبر الزهراء عليها السلام التي ندبت الحسين عليه السلام وبكت عليه في يوم مولده، ففاضت عيون الفواطم: بنت محمّد وبنت حزام، فكأنَّ

التاريخ يعيد نفسه، ففاطمة عليها السلام بالأمس تُذكِّر زينب عليها السلام باستشهاد أخيها وما يجري عليه من المصائب، وفاطمة اليوم تُذكِّر زينب عليها السلام بأنَّها وإن لم تحضر معهم الطفَّ إلَّا أنَّ قلبها وأولادها معهم.

وفاة السيّدة أمّ البنين عليها السلام:

لم يُؤكِّد التاريخ بشكلٍ قاطع سنة وفاة أُمّ البنين عليها السلام، إلَّا أنَّ الأرجح أنَّها تُوفّيَت يوم الثالث عشر من جُمادىٰ الآخرة عام (٦٤هـ)[1]، فتكون بهذا قد عاصرَت الإمام الحسن المجتبىٰ عليه السلام والإمام الحسين عليه السلام، وكانت شاهدةً علىٰ الأحداث التي مرَّت بهم، ولا شكَّ أنَّها كانت معهم في كلِّ هذا، وكان لها الأثر الفاعل في حركتهم السياسيَّة والجهاديَّة من زاوية الأُمِّ الراعية لهم؛ وبسبب أنَّ التاريخ لم يُكتَب بأيدٍ مُنصفة، ولم يَذكر لنا كثيراً من سيرتها المباركة ورفدها بالمواقف والأحداث التي تسارعت حركتها بعد استشهاد أمير المؤمنين عليه السلام الذي تبنّىٰ السيِّدة فاطمة بنت حزام علميَّاً وروحيَّاً، مهيِّئاً لها أسباب قيادة البيت العلويّ ومداراته.

أمَّا عدم حضور السيِّدة فاطمة بنت حزام في يوم عاشوراء، فلا بدَّ أن يكون له أسبابٌ موضوعيَّةٌ منعتها من الحضور، خصوصاً وأنَّ كثيراً من المقرَّبين من الإمام الحسين عليه السلام لم يحضروا الواقعة، مثل عبد الله بن جعفر ابن عمِّه وزوج زينب عليها السلام وأبي الشهداء

(١) وقائع الأيّام/ البيرجندي: ١٠٧.

عبد الله وعَون، بسبب مرضه الذي حال دون اللحاق به، وكذلك محمّد بن الحنفيَّة الذي طالما دفع الكرب وحامىٰ عن الحسين عليه السلام بأمر أبيه أمير المؤمنين عليه السلام، ولكنَّ إصابته بالفالج في رجله كان سبباً في بقائه في المدينة، ولأمرٍ آخَر قدَّره الله تعالىٰ في إظهار مظلوميَّة الحسين عليه السلام بعد استشهاده وقيادة حركةٍ سياسيَّةٍ للثأر من قاتليه، وأيضاً فاطمة بنت الحسين عليها السلام العليلة، التي فارقها أبوها وإخوتها علىٰ فراش المرض، تاركين إيّاها مع أُمنيات وأمل العَودة، ومهْدُ أخيها عبد الله الرضيع تهزّه بعبراتها الملائكيَّة، متذكّرةً صدىٰ صوته وهو يناغيها.

وكذلك أُمُّ البنين.. فمِنْ المرجَّح أن يكون لها أثرٌ كربلائيٌّ خارج إطار المعركة، فواقعة كربلاء لم تُحدّ بحدٍّ جُغرافيٍّ ولا زمانيٍّ، بل امتدَّ واتَّسع ليشمل كثيراً ممَّن شاركوا في النهضة الحسينيَّة، ولكنَّ تكليفهم اقتضىٰ أن يكونوا شهوداً علىٰ نقل أحداث كربلاء إلىٰ مدىٰ أبعد، لتحقيق الغاية من خروج الحسين عليه السلام ونشر مبادئه في البلاد الإسلاميَّة والمسلمين.

فسلامٌ عليكِ يا أُمَّ البنين، يا مَنْ حملتِ أثقال الإمامة علىٰ كاهلكِ، مستبشرةً ناصحةً، راعَيتِ وواسيتِ وعلمتِ وعملتِ وضحَّيتِ بكلِّ ما تملكين من أجل رضا الله برضا محمّدٍ وآله، وقد نلتِ مرادكِ بجدارةٍ كبيرة، يا حليلة عليٍّ عليه السلام وشجرته المثمرة بقمر بني هاشم عنوانِ البطولة والشهامة، فما ندبُك له ولإخوته إلَّا رمزاً وأُنموذجاً لما يجب أن تكون عليه المرأة المسلمة من الإباء والإيمان بالعقيدة.

* * *

أمّ بشر بنت أبي مسعود الأنصاريّة

هي السيِّدة أُمُّ بِشر، إحدىٰ زوجات الإمام الحسن عليه السلام، وذُكِرَت بالكنية دون الاسم، وقد يكون هو اسمها، لِما هو متعارَفٌ عند العرب.

أبوها: أبو مسعود عُقبة بن عمرو، من بني خدارة بن عوف بن الحارث بن الخزرج الأنصاريّ[1] البدري، من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله، ومن أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام، استخلفه علىٰ الكوفة لـمَّا سار إلىٰ صفّين، واستخلافه إيّاه يدلُّ علىٰ ثقته وعدالته[2]، قُتِلَ يوم الحَرَّة[3]، وشهد العَقَبة، ولم يشهد بدراً، وشهد غزوة أُحُد. فيظهر ممَّا تقدَّم أنَّ والد السيِّدة أُمّ بِشر من الثِّقات والموالين لأمير المؤمنين عليه السلام.

تزوَّجت الإمام الحسن المجتبىٰ عليه السلام بعد وفاة زوجها عبد الرحمن بن عبد الله المخزومي[4]، وأعقبت من الإمام الحسن عليه السلام: زيداً وأُمَّ الحسن وأُمَّ الحسين[5]، وزيد له عقبٌ كثير[6]، فلم يُعقِّب الإمام الحسن عليه السلام سوىٰ مِنْ الحسن وزيد ابنيه.

---

(١) الطبقات الكبرىٰ/ ابن سعد ٦: ١٦.

(٢) مُستدركات علم الرجال/ النمازي الشاهرودي ٥: ٢٤٩.

(٣) معجم رجال الحديث/ الخوئي ٤: ٢١٩.

(٤) المحبر/ محمّد بن حبيب البغدادي: ٤٤٦.

(٥) الثِّقات/ ابن حِبّان ٤: ٢٤٥.

(٦) جمهرة أنساب العرب/ ابن حزم: ٣٨.

أمَّا السيِّدة أُمّ بشر فيمكن إثبات وثاقتها من مجموع الأدلَّة السابقة مِنْ صُحبة أبيها لرسول الله صلى الله عليه وآله، وولايته لأمير المؤمنين، واعتماد الإمام عليه، وعدم انحرافه، ومدحه، إضافةً إلىٰ أنَّ الحوادث التاريخيَّة وسيرة المعصومين لم تذكر ما يُشكِّك بولائها للإمام الحسن عليه السلام وصحبتها له بإخلاصٍ ووفاء، وهو شيءٌ محمود يُحسَب لها، فلو كان لها معارضة للإمام الحسن عليه السلام لَبان ذلك كما في بعض نسائه، ولكنَّ عدم الدليل دليل العدم، بما يجعلنا علىٰ اطمئنانٍ بكونها من الصالحات المؤمنات الممدوحات، خصوصاً أنَّ ذرّيتها المباركة من الإمام الحسن عليه السلام وتبريزهم داعمٌ لموقفها من الولاية والإمامة، فالمرأة التي تربَّت في بيتٍ ولائيٍّ لعليٍّ عليه السلام واختيار الإمام الحسن عليه السلام لها زوجةً يُبعِد الشبهات عن كونها انحرفت عن خطِّ الإمامة، بل هي في صلب الإمامة، فاقترانها بالإمام وإنجابها منه تزكيةٌ لها وتخليةٌ لسِربها من كلِّ ما من شأنه الإنقاص من قَدرها.

وعليه، فإنَّ السيِّدة أُمّ بشر زكيَّةٌ طيِّبةٌ، رافقَت الإمام مدَّةً من حياته، وشاركته هموم المعارضات السياسيَّة التي اجتاحت الوضع العامّ إبان إمامته، وقد شهدت السيِّدة أُمّ بشر إخفاق الأُمَّة في حفظ أمانة رسول الله صلى الله عليه وآله، ولا يبعد كونها من المدافعين عن الإمام عليه السلام من غصب الخلافة السماويَّة لمنتحلي الإسلام وشاقّي عصا الوحدة الإسلاميَّة، وبما أنَّ للمرأة المسلمة أثرٌ فعّالٌ وناضج في التعامل مع الأحداث التي وقعت في صدر الإسلام، سواء كان إعلاميّاً أو

جهاديَّاً، ولا يبعد أن تكون السيِّدة أُمّ بشر قد استثمرت قربها من الإمام الحسن عليه السلام في أنَّها زوجة، وبوجود السيِّدة زينب عليها السلام القائدة للحركة النسائيَّة أعطىٰ الحافز والدافع لأُمِّ بشر للتحرّك والتثقيف علىٰ سلامة موقف الإمام الحسن عليه السلام بالأدلَّة والبراهين العقديَّة الصحيحة.

بقيت الإشارة إلىٰ أنَّ مجرَّد قيام السيِّدة أُمّ بشر بواجبها في خدمة الإمام عليه السلام في بيتها وحُسن تبعّلها معه والقيام بتنشئة ذرّيةٍ صالحةٍ، حفظت للإمام الحسن عليه السلام امتداده التاريخيّ والبشريّ، وهذا بحدِّ ذاته منقبةٌ وكرامةٌ للسيِّدة أُمّ بشر في تخليد اسمها علىٰ أنَّها زوجةٌ للإمام الحسن المجتبىٰ عليه السلام سبط الرسول صلى الله عليه وآله وقُرَّة عين البتول وبِكر أمير المؤمنين عليهما السلام.

فجزاكِ الله يا أُمَّ بشر خيراً، وألحقكِ بإمامك الحسن عليه السلام في جنّات النعيم.

* * *

رملة أمّ القاسم عليها السلام

إنَّ المشرِّع الإسلاميِّ _ سواء كان الله تعالىٰ في كتابه العزيز أو النبيّ صلى الله عليه وآله أو أئمَّة أهل البيت المعصومين عليهم السلام _ كان حريصاً جدّاً علىٰ إذابة كلّ الفوارق الاجتماعيَّة والإنسانيَّة، بكلِّ أنواعها وبمختلف أجناس البشر وألوانهم وأعراقهم، ومن المساوئ الاجتماعيَّة التي كانت سائدةً قبل الإسلام وعالجها المشرِّع الإسلاميِّ وعلىٰ نحوٍ يحافظ علىٰ كرامة المرء ووضعه الاجتماعي قضيَّة الرقِّ؛ فشرع العتق كفّارةً علىٰ بعض المخالفات الشرعيَّة، فيكون المسلم مُلزَماً _ إذا كان معتقداً بحِكمة التشريع ومؤمناً بالثواب والعقاب _ أن يُطبِّق تعاليم الإسلام بحذافيرها وأيّاً كانت.

فاستثمر أهل البيت عليهم السلام هذا الفرع الفقهيِّ في عتق العبيد والإماء، وإعطائهم حرّيَّتهم بعد تثقيفهم إسلاميّاً وإشباعهم بالفكر العقديِّ الصحيح، بحيث يكونون أفراداً مؤثِّرين اجتماعيّاً ومبلِّغين بأحكامه ووصاياه، كما فعل رسول الله صلى الله عليه وآله وعليّ وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام، بل إنَّ الإمام السجّاد عليه السلام بحكم الظرف السياسيِّ استخدم هذا الأُسلوب بأبعد مدياته، فجعل مِنْ عبيده وإمائه نقلةً لفكر أهل البيت عليهم السلام، بعد تدريسهم وتربيتهم علىٰ المُثُل العُليا للإسلام، وبعد ذلك إعتاقهم ونشرهم في مدن الأرض للتوعية والتثقيف.

ومن هنا كان للسيِّدة رملة زوجة الإمام الحسن عليه السلام التي كانت أَمَةً عنده وتزوَّجها؛ لِما وجد عندها من إيمانٍ ونضوجٍ فكري، كان لها الحظوة عند إمامها، مُسترجعاً كرامتها التي هُدرت باستعبادها؛ ولما كان يرىٰ في مسيرتها مع أخيه الحسين عليه السلام، وأنَّ الإمام الحسن عليه السلام سوف يُودِع عندها كنزه المكنون وثمرته الطيِّبة التي سوف يفتدي بها أخاه الغريب الحسين عليه السلام، وهو ابنه القاسم بن الحسن عليه السلام، إضافةً إلىٰ وظيفتها مع نساء الطفِّ اللواتي شهدن أعظم مصيبة في التاريخ، مُنتفضات بثورتهنَّ العارمة تحت لواء سيِّدتهنَّ زينب عليها السلام، علىٰ الرغم من السبي والفجع بقتل أولادهنَّ وأزواجهنَّ وأحبَّتهنَّ، فكان لهذه السيِّدة الجليلة أثرٌ مشرِّف مِنْ تشجيع وَلدها علىٰ القتال والذبِّ عن عمِّه الإمام الحسين عليه السلام، مع ما لهذا الولد من مكانةٍ عند أهل البيت عليهم السلام، خاصَّة، وقد قدَّم هذا الولدُ المبارك وأُمُّه صوراً بطوليَّةً وإيمانيَّةً عظيمةً.

فيروي لنا حميد بن مسلم عند مشاهدته لواقعة كربلاء، يقول: فأنا لَكذلك إذ خرج علينا غلامٌ كأنَّ وجهه شِقَّة قمر، في يده سيف، وعليه قميصٌ وإزارٌ ونعلان قد انقطع شِسْعُ[1] إحداهما، فقال لي عمر بن سعيد بن نُفَيل الأزديّ: والله لَأشدَّنَّ عليه! فقلت: سبحان الله، وما تريد بذلك؟ دَعْه، يكفيه هؤلاء القوم الذين ما يُبقون علىٰ أحدٍ منهم، فقال والله لأشدّ عليه! فشدَّ عليه، فما ولّىٰ حتَّىٰ ضرب

(١) الشِّسع: هو ما يدخل بين الإصبعين في النعل العربيّ ممتدٌّ إلىٰ الشراك. (مجمع البحرين/ الطريحي ٤: ٣٥٢/ مادَّة شَسَع).

رأسه بالسيف ففلقه، ووقع الغلام لوجهه، فقال: يا عمّاه! فجلىٰ الحسين عليه السلام كما يجلي الصقر، ثمّ شدَّ شدَّة ليثٍ أغضب، فضرب عمر بن سعيد بن نُفيل بالسيف، فاتَّقاه بالساعد، فأطنَّها من لدن المرفق، فصاح صيحةً سمعها أهلُ العسكر، ثمّ تنحّىٰ عنه الحسين عليه السلام، وحملت خيل الكوفة لتستنقذه فوطأته بأرجلها حتَّىٰ مات.

وانجلت الغُبرة، فرأيتُ الحسين قائماً علىٰ رأس الغلام وهو يفحص برجله، والحسين عليه السلام يقول: «**بُعداً لقوم قتلوك، ومَنْ خصمهم يوم القيامة فيك جدُّك**»، ثمّ قال: «**عَزَّ واللهِ علىٰ عمِّك أن تدعوه فلا يُجيبك، أو يجيبك فلا ينفعك، صوتٌ واللهِ كثر واتروه وقلَّ ناصروه**». ثمّ حمله علىٰ صدره، فكأنّي أنظر إلىٰ رِجلَي الغلام تخطّان الأرض، فجاء به حتَّىٰ ألقاه مع ابنه عليّ بن الحسين والقتلىٰ من أهل بيته، فسألتُ عنه فقيل لي: هو القاسم بن الحسن بن عليّ بن أبي طالب عليه السلام[1].

فهذا الفتىٰ العلويّ أبىٰ أن يرىٰ عمَّه وحيداً في الميدان دون نصرته، فالعمُّ الإمام كان أباً له بعد رحيل أبيه الإمام الحسن عليه السلام، ووديعته عند عمِّه الحسين عليه السلام.

حدث ذلك أمام أُمِّه رملة.. فكانت تُراقب من بعيدٍ ولدها ماذا يفعل في نصرة ابن فاطمة، وقد آلت إلَّا أن تواسي سيِّدتها الزهراء في ولدها الحسين عليه السلام، مُشجِّعةً إيّاه، مُوجِبة عليه عدم

(١) الإرشاد/ المفيد ٢: ١٠٧؛ بحار الأنوار/ المجلسي ٤٥: ٣٥.

التقصير في جهاد أعداء الإسلام علىٰ صغرٍ منه ورَيَعان شبابه، إلَّا أنَّ الروح الهاشميَّة التي بين جنبيه كانت تهتف بالشهادة علىٰ طريق الأولياء بأُنسٍ ومحبَّة، فما يرىٰ الموت إلَّا عادة، وكرامته من الله الشهادة، لتقرَّ عين رملة بشبلها المذبوح، وتتصبَّر بصبر زينب عليها السلام علىٰ النوائب.

ويُذكَر في أخبار كربلاء أنَّ لرملة أولاد غير القاسم قُتلوا يوم عاشوراء، وهم: أبو بكر بن الحسن، وعبد الله بن الحسن[1]، الذين ذخرهم الإمام الحسن عليه السلام ليوم عاشوراء بإشراف السيِّدة الجليلة أُمّهم رملة.

إنَّ استيداع الإمام الحسن عليه السلام هذه المرأة الطاهرة النقيَّة ذرّيته المقتولة في كربلاء يثير التساؤل عن شخصيَّة هذه السيِّدة المجهولة تاريخيَّاً، ويدلُّ علىٰ مزيد اهتمام الإمام الحسن عليه السلام فيها وتربيتها تربيةً خاصَّةً لحمل هذه المسؤوليَّة الكبرىٰ، فالإمام الحسن عليه السلام كان يُهيِّئ لهذا اليوم منذ زمن؛ لعلمه بحادثة كربلاء، فإن لم يكن موجوداً بشخصه إلَّا أنَّه موجودٌ بأولاده وزوجته، بهذا البيت المعمور بالإيمان والإيثار والتفاني في نصرة أهل البيت المظلومين.

قيل: إنَّ اسم السيِّدة رملة هو (نفيلة) _ كما في بعض الأخبار_، وربَّما يكون تصحيفاً لاسمها، أو أن يكون اسمها السابق وسمّاها الإمام الحسن عليه السلام باسم رملة أو العكس، ولكن تبقىٰ

(١) تاريخ الطبريّ ٤: ٣٥٩.

شخصيَّة هذه المرأة المعطاء رمزاً للفداء والتضحية لدينها ولأئمَّتها الذين استضاءت بنورهم وتصبَّرت بصبرهم..

فيا أُمَّ الشهداء الصابرة المحتسبة، لكِ في كلِّ مأتمٍ ذكرىٰ ودرسٌ وعِبرة لكلِّ امرأةٍ حُرَّةٍ تجلَّدت في تحمّل الأذىٰ لنصرة دينها ومقدَّساتها.

* * *

خَولة بنت منظور بن زبان الفزاريّة

وهي السيِّدة خَولة بنت منظور بن زبان بن سيّار بن عمرو بن جابر بن عقيل بن سمىٰ بن مازن بن فزارة بن ذبيان[1].

أُمُّها: مَليكة بنت خارجة بن سنان بن أبي حارثة المرّي.

إحدىٰ زوجات الإمام الحسن المجتبىٰ عليه السلام، وهي من النساء الفاضلات، كانت قبل زواجها من الإمام الحسن عليه السلام تحت محمّد بن طلحة بن عُبيد الله[2]، أولدت منه داود وأُمَّ القاسم وإبراهيم، وكانت حاملاً بإبراهيم[3] عندما قُتِلَ محمّد بن طلحة في معركة الجمل، وبعد وضع إبراهيم تزوَّج بها الإمام الحسن عليه السلام، فأولدت منه الحسن المثنّىٰ والحسين الأثرم.

ولـمَّا سمع أبوها بزواجها من الإمام الحسن عليه السلام دخل المدينة وركز رايته علىٰ باب مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله، فلم يبقَ في المدينة قيسيٌّ إلَّا دخل تحتها، ثمّ قال: أمثلي يُغتال عليه في ابنته؟ فقالوا: لا! فلـمَّا رأىٰ الحسن عليه السلام ذلك سلَّم إليه ابنته، فحملها في هودجٍ وخرج بها من المدينة، فلـمَّا صار إلىٰ البقيع قالت له: يا أبة، أين

(١) عُمدة الطالب في أنساب آل أبي طالب/ ابن عنبة: ٩٨.

(٢) أعيان الشيعة/ السيِّد محسن الأمين ٥: ٤٣.

(٣) تهذيب التهذيب/ ابن حجر ١: ١٣٤.

تـذهب؟ إنَّـه الحسـن بـن أمـير المـؤمنين عـليّ بـن أبي طالـب وابـن بنـت رسـول الله، فقـال: إن كـان لـه فيـكِ حاجـة فسـيلحقنا. فلـمَّا صـاروا في نخـل المدينـة وإذا بالحسـن والحسـين عليهما السلام وعبـد الله بـن جعفـر قـد لحقوا بهم، فأعطاه إيّاها فردَّها إلىٰ المدينة[1].

تُفسَّر هذه الرواية بعدَّة معاني:

منها: أنَّ الإمـام الحسـن عليه السلام أكـرم هـذه المـرأة بعـد فقـد زوجهـا، صـوناً وحفظـاً لهـا مـن الإذلال والعـوز، وهـي مـن بيـتٍ لـه مكانتـه في العرب.

ومنها: أنَّها تـدلُّ عـلىٰ الواقـع القـبَليِّ ومـا كـان يحمـل مـن ترسّـبات الجاهليَّـة التـي علقـت بـه ولم يسـتطع الـتخلّص منهـا، مـع تأكيـد النبـيِّ صلى الله عليه وآله وأهـل البيـت عليهم السلام عـلىٰ نبـذ هـذه التقاليـد الباليـة، مـع علمهـم أنَّـه ابـن رسـول الله وأمـير المـؤمنين، إلَّا أنَّ العصـبيَّة القبليَّـة سـادت تفكـيرهم الـذي مـا زال العُـرف فيـه حـاكماً عـلىٰ الشـرع، وهـي إحـدىٰ ركـائز معانـاة النبـيِّ صلى الله عليه وآله وآلـه عليهم السلام الـذين أرادوا تعلـيمهم أنَّ الانـتماء للـدين فـوق الانـتماء للقبيلـة، فالإسـلام هـو مشـروع الحيـاة الجديـدة التـي أسَّـس لهـا رسـول الله صلى الله عليه وآله في رسـالته الخالـدة، رسـالةِ الإنسـان الحـرِّ مِـنْ غـير عبوديَّـةٍ ولا قيـود، فتعامـل الإمـام الحسـن عليه السلام بـما يريـدون مـن ردِّ اعتبـارٍ في مفهـومهم البسـيط، ومُراعيـاً غضاضـة الإسـلام فـيهم بحكمـةٍ عاليـةٍ، لكـي يُـدرِكوا المعنـىٰ مـن وراء زواجـه، فهو ليس إهانة بل صوناً ورعايةً لابنتهم.

(١) تهذيب الكمال/ المزّي ٦: ٩١.

ومنها: أنَّ الذي يلوح من هذه الرواية هو عقيدة هذه المرأة الحقَّة واتِّباعها لمذهب أهل البيت عليهم السلام، وذلك عندما تُذكِّر أباها بأنَّه الإمام الحسن سبط رسول الله صلى الله عليه وآله وابن أمير المؤمنين عليه السلام وابن فاطمة عليها السلام، عارفةً بحقِّهم، موالية لهم، كاشفةً عن موقفها الصريح باتِّباع عليٍّ عليه السلام وابنه الحسن عليه السلام، وبطريقةٍ تدلُّ على نجابتها وعقلها، فلم تشأ أن تُشعِل نار الفتنة بموقفٍ مضادٍّ لقبيلتها، لئلَّا يزدادوا تعنّتاً وعناداً، وهي لم تخرج إليهم إلَّا بإذن مولاها وزوجها الإمام الحسن عليه السلام، بإدراكٍ وعنايةٍ فائقةٍ لخطورة الموقف.

فهي _ إذن _ مواليةٌ نجيبةٌ، حسنة التشيّع، متأدِّبةٌ بأدب المجتبىٰ عليه السلام، مُلازمةٌ لجانب الحقِّ وأهله، عزيزةٌ في أهلها، ذليلةٌ مع زوجها تذلّل العارف المتَّقي، ولم يؤدِّ اقترانها بمحمّد بن طلحة إلىٰ انحراف معتقدها وتغيير سيرتها، فحباها الله تعالىٰ بكرامة الزواج من ريحانة رسول الله صلى الله عليه وآله، فكانت مُحِبَّةً للإمام الحسن عليه السلام، مفدّيةً له، حريصةً علىٰ سلامته، آخذةً بيده في المُلمّات، تشدُّ أزره وترعىٰ وُلده، قائمةً مقام الزوجة من زوجها بأمر الله تعالىٰ، خصوصاً وهي تعلم شخصه ومكانته وعظمته.

لـمَّا تزوج الحسن بن عليّ عليه السلام خولة بنت منظور بات في ليلة من الليالي علىٰ سطح أجْم[1]، فشدَّت خمارها برجله والطرف الآخر

(١) الأجْم - بالفتح -: كلُّ بيتٍ مربَّع مسطَّح. (تاج العروس/ الزبيدي ١٦: ٧/ مادَّة أجَم، القاموس المحيط ٤: ٧٣/ باب الميم).

بخلخالها، فقام من الليل، فقال: «**ما هذا؟**»، قالت: خِفتُ أن تقوم من الليل بوسنك[١] فتسقط، فأكون أشأمَ سخلةٍ علىٰ العرب. فأحبَّها، فأقام عندها سبعة أيّام[٢].

فحُبُّ الإمام عليه السلام لها لصدق سريرتها وبراءتها في شدِّ رجله خوفاً عليه من السقوط، بعاطفة الزوجة المُحبَّة الغالبة علىٰ عقلها الواعي بأنَّ علم المعصوم فوق تصوّرنا الحسّي.

قلب السيِّدة خولة الذي امتلأ ببهاء الإمام وجماله وعزِّه، وبشغف الوصول إلىٰ رضا الله بخدمتها لخليفة الله، جعل منها حاضنةً أمينةً لمتعلّقات الإمام والإمامة، تُدلي بدلوها في تحدّيات المرحلة، ولكن بما يقتصر علىٰ وظيفتها الفعّالة في رعاية وعناية خصوصيّات الإمام والزوج، منتعشةً برفاهية القرب من آل الله المتمثِّلة بالسبط الحسن عليه السلام، ليقرَّ عينها مولودٌ مبارك صار سميّ أبيه، وهو الحسن المثنّىٰ ابن الإمام الحسن المجتبىٰ عليه السلام، ثمرةٌ مباركة من الإمام الحسن عليه السلام، وأُمٌّ ارتبط كيانها بزوجها المعصوم.

والحسن بن الحسن من أشهر أولاد الإمام، وهو من سادات بني هاشم، ووصيّ أبيه، تولّىٰ صدقات أمير المؤمنين عليه السلام، وكان شخصيَّةً مرموقةً ومحترمة حتَّىٰ عند أعدائه، فاضلاً رئيساً، حضر واقعة الطفّ مع عمِّه الإمام الحسين عليه السلام، وأُثخِن بالجراح، ونقله

---

(١) الوسن: ثقلة النوم، وهو النعاس، والسِّنَة مثلُه. (العين/ الفراهيدي ٧: ٣٠٣؛ الصحاح/ الجوهري ٦: ٢٢١٤/ مادَّة وَسَن).

(٢) تهذيب الكمال/ المزّي ٦: ٢٣٦/ الرقم ١٢٤٨؛ تاريخ مدينة دمشق ١٣: ٢٤٨/ الرقم ١٣٨٣؛ ترجمة الإمام الحسن عليه السلام/ ابن عساكر: ١٥٢.

أسماء بن خارجة _ وكان له رحمٌ معه _ وعالجه حتَّىٰ شُفي. فهو غصنٌ نديٌّ من الإمام الحسن عليه السلام وخولة الفزاريَّة، أبىٰ إلَّا أن يدفع الضيم والحيف عن عمِّه الحسين عليه السلام، مُجاهِداً ببسالةٍ وبطولةٍ، ليقرَّ عين خولة عند فاطمة الزهراء عليها السلام، وليكون لخولة بصمةٌ حسينيَّة كما كان لها بصمةٌ حسنيَّة.

وقد ذكر السيِّد الزنجانيّ في كتابه (وسيلة الدارين) أنَّ ممَّن حضر الطفَّ خولة بنت منظور، فإنَّ أغلب نساء عليٍّ والحسن والحسين عليهم السلام وبناتهم قد حضرن بصحبة الإمام الحسين عليه السلام، وليس ببعيد، فإنَّ امرأةً بصفات السيِّدة خولة وإيمانها الولائيِّ يضعها موضع الخيرة من النساء اللواتي أبَين إلَّا نصرة المظلوم واتِّباع هداه، إضافةً إلىٰ حضور ولدها الحسن المثنّىٰ في الواقعة ممَّا يعضد كونها قد شاركت يوم عاشوراء، وبما أنَّ التاريخ لم يذكر سنة وفاتها بعد الإمام الحسن عليه السلام بفترة قصيرة، فيُرجَّح امتداد حياتها إلىٰ يوم عاشوراء، سائرةً في ركب الخلود الحسنيّ والحسينيّ، موقِدةً شمعة الوفاء لأهل البيت عليهم السلام، لتنال من الله جزاء عملها خيراً ورضواناً.

* * *

أمّ إسحاق بنت طلحة

من زوجات الإمام الحسن المجتبىٰ عليه السلام، وهي أُمُّ إسحاق بنت طلحة بن عُبيد الله التَّيمي، أولدت منه طلحة مات وهو صغير[1].

وهي من الصالحات المؤمنات، يكفيها شرفاً وعزّاً اقترانها بسبط النبيِّ الأكبر عليه السلام، ولا يوجد ما يُظهِر عداءها لأهل البيت عليهم السلام، وإن كان أبوها مخالفاً لأمير المؤمنين عليه السلام وناكثاً لبيعته، إلَّا أنَّها لم تقف موقفاً مُضادّاً للإمام الحسن عليه السلام كما كان بعضهنَّ، وبقيَت علىٰ ذمَّة الإمام إلىٰ شهادته من غير أن يذكر التاريخ انحرافها العقديّ، أو اتِّخاذها موقفاً مغايراً لما كانت عليه، فولاؤها أظهر من عدمه.

ثمّ بعد الإمام الحسن عليه السلام تزوَّجها أبو عبد الله الحسين عليه السلام، فأولدت له فاطمة الكبرىٰ بنت الحسين عليه السلام، السيِّدة الجليلة المباركة العالمة، زوجة الحسن بن الحسن عليه السلام، من النساء الهاشميّات البارزات، وزواج الحسين عليه السلام منها يعضد كونها علىٰ الخطِّ العلويِّ، ولو كان قد خالط مكنونها الخيانة لمذهبهم عليهم السلام لَما

---

(١) المعارف/ ابن قُتَيبة الدينوري: ٢٣٣.

اتَّخذها الإمام الحسين عليه السلام حليلةً له، ومن ثَمَّ لِتلد له العلويَّة الطاهرة فاطمة.

تذكر لنا أُمُّ إسحاق بنت طلحة روايةً عن الحسنين عليهما السلام، تؤكِّد قربها منهما وتميّزها برصد أحداثهما عن قُرب، ببركة وجودها في عالم السماحة والأُفق الملائكيِّ الذي كان يدور حول محورهم الزكيِّ، فتقول: كان الحسن بن عليّ عليه السلام يأخذ بنصيبه من القيام أوَّل الليل، وكان الحسين عليه السلام يأخذه مِنْ آخِر الليل[1].

تُشكِّل هذه الرواية لوحةً برّاقة وجميلة، لجمال البيت العلويّ المتعبِّد آناء الليل وأطراف النهار، وأُمُّ إسحاق السيِّدة الفاضلة ترمق بعينها المستغرقة ببهاء الإمامة كلَّ سكناتهم وتحرّكاتهم، فتنقل بكلماتها الشفّافة سيرة المعصومين، فهذه السيِّدة الجليلة فرحة بالزواج من السبطين والريحانتين، اللذين ملأ عطرُهما حياةَ أُمِّ إسحاق، لتعيش مزهوَّةً بما حباها الله من قُرب المعصومين عليهم السلام.

وما البنت إلَّا صنيعة أُمِّها، فكان لتربية السيِّدة فاطمة بنت الحسين عليه السلام الأثر الكبير من الحصانة النفسيَّة والإحاطة العلميَّة من قِبَل أُمِّها، وهي دلالةٌ أُخرىٰ علىٰ مكانة هذه السيِّدة في البيت الهاشمي.

وهي من زوجات الإمام الحسن عليه السلام التي ذُكِرَت بالاسم وليست بأَمَة، كما ذُكِرَ من زوجاته عليه السلام _ إضافةً إلىٰ أُمِّ إسحاق بنت طلحة _: خولة بنت منظور بن زبان، وأُمّ بشير بنت أبي مسعود، وهند بنت سهيل بن عمرو، وأُمّ كلثوم بنت الفضل بن العبّاس.

(١) شرح إحقاق الحقِّ/ السيِّد المرعشي ٢٦: ٢٧١.

لتضمن أُمُّ إسحاق منزلتها العالية عند الله، متشفّعةً بتلاحمها وصيرورتها جزءاً من الأُسرة الحسنيَّة والحسينيَّة، فهي فقط مَنْ تزوَّج بها الحسنان دون غيرها من النساء، لتزدان برونق البركة الإلهيَّة.

* * *

فاطمة بنت الإمام الحسن المجتبى عليه السلام

نذكرها ليس من باب التعريف، ولكن لذكرها المبارك الذي نستوحي منه القُدس والجلال، لتطمئنَّ قلوبنا وتُشفىٰ نفوسنا، لنعتق بها أرواحاً مغلولةً بسلاسل نفسٍ أمّارة، فنُطهَّر بطهر هذه السيِّدة العظيمة.

السيرة المباركة:

هي فاطمة بنت الإمام الحسن ابن الإمام عليّ بن أبي طالب عليهما السلام، وعمُّها سيِّد الشهداء الإمام الحسين عليه السلام، وزوجها الإمام عليّ بن الحسين عليه السلام، وابنها الإمام محمّد الباقر عليه السلام، وأُمُّها أُمُّ فروة بنت القاسم بن محمّد بن أبي بكر[1]، غصنٌ حسنيٌّ فاطميٌّ علويٌّ محمّديٌّ هاشميٌّ، تفرَّع من الإمامة وأثمر بالإمامة، منتهىٰ الشرف والجلال، كاملةٌ عابدةٌ زاهدةٌ عالمةٌ محدَّثةٌ، معدن الطهر والنقاء، فاضلةٌ صدّيقةٌ مخدَّرةٌ، وهي ملتقىٰ فرعي السبطين الحسن والحسين عليهما السلام، وهي أوَّل عَلَويَّة وَلدت لعلويٍّ، صاحبة الكرامات مِنْ عباد الله الصالحين وأوليائه المتَّقين.

كنية فاطمة: أُمُّ عبد الله.

---

(١) كشف الغُمَّة/ الإربلي ٢: ٣٦٠.

وكان لها من الأولاد: الإمام أبو جعفر محمّد الباقر عليه السلام، وعبد الله الباهر[١].

السيِّدة فاطمة موضع ثقة الأئمَّة عليهم السلام، ولا ريب في ذلك؛ فقد تربَّت في حِجر الإمام الحسن عليه السلام، ونهلَت من علمه وتخلَّقَت بخُلقه، فكانت زهرةً فوّاحةً بالعطر المحمّدي، اشتهرت بكثرة العبادة، لم تُرَ إلَّا راكعةً أو ساجدةً، حتَّىٰ كانت من سيِّدات نساء زمانها عِفَّةً وتقوىً وعلماً وفضلاً، حيث جمعَت النسبَ الشريف والمقام الإلهيّ الذي شهد لها به حفيدها الإمام جعفر بن محمّد الصادق عليه السلام، كما رُوي عنه في الخبر: محمّد بن يعقوب الكلينيّ، قال أبو الصبّاح: وذكر أبو عبد الله عليه السلام جدَّته أُمّ أبيه يوماً، فقال: «**كانت صدّيقة، لم تُدرَك في آل الحسن امرأةٌ مثلها**»[٢].

وهذا التقرير من الإمام الصادق عليه السلام يؤكّد ما لهذه السيِّدة الكاملة من مكانةٍ عند الأئمَّة عليهم السلام، وأنَّها صدّيقةٌ في القول والعمل، وهو توثيقٌ من الإمام المعصوم علىٰ صحَّة روايتها عنهم عليهم السلام، بل إنَّها مِنْ أصدق الراوين عنهم؛ لِما تملكه من خصوصيَّة نسبتها وقُربها من الأئمَّة.

والسيِّدة فاطمة بنت الحسن المجتبىٰ عليه السلام هي غير السيِّدة فاطمة بنت الحسن المثنّىٰ ابن الإمام الحسن المجتبىٰ عليه السلام، والتي روت أيضاً عن آبائها عليهم السلام، وهي زوجة الإمام الصادق عليه السلام[٣].

---

(١) مستدرك سفينة البحار/ النمازي ٤: ٣٣٨.

(٢) الكافي/ الكليني ١: ٤٦٩/ باب مولد أبي جعفر محمّد بن عليّ عليه السلام/ ح ١.

(٣) شرح الأخبار/ القاضي النعماني ٣: ٣٠٩.

ومن الكرامات المرويَّة عن السيِّدة فاطمة بنت الحسن عليه السلام ما ذكره ابنها الإمام محمّد الباقر عليه السلام، إذ روىٰ الكليني، عن محمّد بن يحيىٰ، عن محمّد بن أحمد، عن عبد الله بن أحمد، عن صالح بن مزيد، عن عبد الله بن المُغيرة، عن أبي الصبّاح، عن أبي جعفر عليه السلام قال: «**كانت أُمّي قاعدةً عند جدار، فتصدَّع الجدار وسمعنا هَدَّةً شديدة، فقالت بيدها: لا وحقِّ المصطفىٰ ما أذن اللهُ لك في السقوط. فبقي معلَّقاً في الجوِّ حتَّىٰ جازته، فتصدَّقَ أبي عنها بمئة دينار**»[1].

ولا يفعل هذا إلَّا مَنْ كان كريماً عند الله تعالىٰ ذائباً في طاعته عزّ وجلّ، يقول للشيء: كُنْ، فيكون، إيماناً واعتقاداً راسخاً أفاض به أبوها عليها عليه السلام عندما كانت في حِجره، وأفاضه عليها ابنها الباقر عليه السلام وهو في حِجرها.

روايتها عن أبيها الإمام الحسن عليه السلام:

روت السيِّدة فاطمة، عن أبيها الحسن المجتبىٰ عليه السلام:

أخبرَنا أبو عبد الله أحمد بن محمّد بن الحسن بن عبّاس، قال: حدَّثنا أحمد بن محمّد بن يحيىٰ العطّار، عن عبد الله بن جعفر الحِمْيَريّ قال: حدَّثني محمّد بن الحسن، عن نصر بن مزاحم، عن أبي خالد، عن عبد الله بن الحسن بن الحسن، عن أُمِّهما فاطمة بنت الحسن عليه السلام، عن أبيها الحسن بن عليّ عليه السلام، قال: «**كان رسول الله صلى الله عليه وآله يدعو بهذا الدعاء بين كلِّ ركعتين من صلاة الزوال، الركعتان الأُولَيتان: اللّهمّ أنت أكرمُ مأْتِيٍّ وأكرمُ مَزور،**

---

(١) الكافي/ الكليني ١: ٣٩٠/ باب مولد أبي جعفر محمّد بن عليّ عليه السلام/ ح ١.

وخيرُ مَنْ طُلِبَ إليه الحاجات، وأجودُ مَنْ أعطىٰ، وأرحم مَنْ استُرحِم، وأرأف مَنْ عفا، وأعزُّ مَنْ اعتُمِد، اللّهمّ بي إليك فاقة، ولي إليك حاجات، ولك عندي طَلِبات، مِنْ ذنوبٍ أنا بها مُرتَهن، وقد أوقرَتْ ظهري وأوبقَتني، وإلّا ترحمْني وتغفرْ لي أكن من الخاسرين، اللّهمّ اعتمدتُك فيها تائباً إليك، فصلِّ علىٰ محمّدٍ وآل محمّد، واغفر لي ذنوبي كلَّها، قديمَها وحديثها، سرَّها وعلانيتها، خطأها وعمدها، صغيرها وكبيرها، وكلَّ ذنبٍ أذنبتُه وأنا مُذنبه، مغفرةً عزماً جزماً، لا تغادرُ ذنباً واحداً، ولا أكتسبُ بعدها محرَّماً أبداً، واقبَلْ منّي اليسير من طاعتك، وتجاوزني عن الكبير من معصيتك، يا عظيم، إنَّه لا يغفرُ العظيمَ إلّا العظيم، يسأله مَنْ في السماوات والأرض، كلّ يومٍ هو في شأن، يا من هو كلّ يوم في شأن، صلِّ علىٰ محمّدٍ وآله، واجعلني في شأنك شأن حاجتي، وحاجتي هي فكاك رقبتي من النار والأمان من سخطك...»، إلىٰ آخر الرواية الشريفة[1].

وهي روايةٌ صحيحة السند، وهي من الروايات العباديَّة، تشير إلىٰ أنَّ السيِّدة فاطمة بنت الحسن عليه السلام كانت مستغرقةً في شؤون العبادة، ناقلةً الخبر عن جدِّها رسول الله صلى الله عليه وآله في عبادته ودعائه.

جوانب من شخصيّتها ومسيرتها:

ولم تكتَفِ السيِّدة فاطمة بالتبتّل والعبادة، بل كان لها وظيفةٌ بطوليَّة في صحبتها لزوجها الإمام عليّ بن الحسين عليه السلام وولدها محمّد الباقر عليه السلام في الركب الحسينيّ إلىٰ كربلاء البطولة، لتكون

(١) فلاح السائل/ ابن طاووس: ١٣٨.

عالمةً عاملةً، نصرَت الحسين الشهيد عليه السلام بالكلمة والموقف، محافِظةً علىٰ الإرث النبويّ المتمثِّل بإمامَين معصومَين، جاهدَت لتُبقي علىٰ نسل رسول الله صلى الله عليه وآله من أن ينقطع، مؤدّيةً رسالةً عظيمةً، تجول بين أروقة الإمامة بكلِّ كيانها، وتُلملم شتات الأهل والأحبَّة، مدرِكةً الوظيفة التي أناطها الله بها بكلِّ عزمٍ وإباء، ترىٰ زوجها الإمام السجّاد عليه السلام مكَبَّلاً بالجامعة وهو عليل، فتُسنِده بيدها، وبيدها الأُخرىٰ تضمُّ الإمام الباقر عليه السلام، وهو عطِشٌ يطلب الماء فلا يُجاب.. أيُّ محنةٍ هذه، وأيُّ كبرياءٍ يحمل أهلُ هذا البيت العظيم؟!

ولكن _ للأسف _ قد غيَّب التاريخ الذي صاغته أيدٍ أُمويَّة سيرة وتاريخ هذه المرأة الجليلة، فلم يُذكَر عنها شيء؛ خوفاً من أن تسود أخلاق أهل البيت عليهم السلام ومعارفهم، ولكن تبقىٰ مشاعل النور أبيَّةً علىٰ الظالمين من الخفوت، فلا نعلم سنة ميلادها ولا وفاتها أو شيئاً عن سيرتها، سوىٰ ما ذكر ابن الأثير في (الكامل) في أحداث عام (١١٧هـ)، حيث قال: وكان فيه تُوفّيَت فاطمة بنت الحسن بن عليّ بن أبي طالب عليهم السلام[1]. في حين أنَّ شهادة الإمام الباقر كانت عام (١١٤هـ)، أي: تُوفّيت بعد وفاة ولدها الإمام الباقر بثلاث سنوات.

أمَّا قبرها، فقد ذكر مجير الدين الحنبليّ في كتابه (الأُنس

(١) الكامل في التاريخ/ ابن الأثير ٥: ١٩٥.

الجليل) أنَّ قبرها بظاهر مسجد اليقين في جبل حبرون، مُشرفٌ على بحيرة زعرو موضع قُرىٰ لوط، حيث قال: وبظاهر المسجد مغارةٌ بها قبر فاطمة بنت الحسن بن عليّ بن أبي طالب، وعند قبرها رُخامةٌ مكتوب عليها بالكوفيّ:

أسكنت مَن كان في الأحشاء مسكنُه

بالرغم منّي بين الترب والحَجَرِ

أفديكِ فاطمةً بنت ابن فاطمةٍ

بنت الأئمَّة بنت الأنجم الزهرِ[1]

ويُستبعَد أن يكون هذا قبرها، وقد عاشت السيِّدة فاطمة بنت الحسن عليها السلام في المدينة المنوَّرة مع ابنها الإمام الباقر عليه السلام، ولا وجه لذهابها إلىٰ هذا المكان البعيد عن المدينة.

* * *

(١) الأُنس الجليل بتاريخ القدس والخليل/ مجير الدين الحنبلي ١: ٧٢.

أمّ أسلم صاحبة الحصاة

صاحبة الحصاة.. ثلاث نساءٍ اشتركن في هذه الكُنية، لوقوع الحادثة نفسها مِنْ ختم الحصاة من قِبَل المعصومين عليهم السلام، وهنَّ: حَبَّابة الوالبيَّة، وأُمّ غانم، وأُمّ أسلم _ أو: أُمّ سليم، علىٰ اختلاف الرواة لحديثها في التسمية _.

والسيِّدة أُمُّ أسلم من فضليات النساء المؤمنات والصحابيّات الجليلات، ومن الموالیات لأمير المؤمنين عليه السلام، ومن ذوات العقول الناضجة في مجال العقيدة والحكمة، وهي أقدم من قرينتَيها زمناً وصحبةً لرسول الله صلى الله عليه وآله.

أمّ أسلم.. العالِمة:

يظهر من الروايات أنَّها كانت من أصحاب المعرفة بالكتب السماويَّة، وقد درستها وأدركَتها فهماً ولفظاً ومعنىً.. فقد رُوي عن جعفر بن زيد بن موسىٰ، عن أبيه، عن آبائه عليهم السلام قالوا: «**جاءت أُمُّ أسلم يوماً إلىٰ النبيِّ صلى الله عليه وآله وهو في منزل أُمِّ سَلَمة، فسألَتها عن رسول الله صلى الله عليه وآله، فقالت: خرج في بعض الحوائج والساعة يجيء. فانتظرَته عند أُمِّ سَلَمة حتَّىٰ جاء رسول الله صلى الله عليه وآله، فقالت أُمُّ أسلم: بأبي أنت وأُمّي يا رسول الله، إنّي قد قرأتُ الكتب وعلمتُ كلَّ نبيٍّ ووصيٍّ،**

فموسىٰ كان له وصيٌّ في حياته ووصيٌّ بعد مماته، وكذلك عيسىٰ، فمَنْ وصيّك يا رسول الله؟ فقال لها: يا أُمَّ أسلم، وصيّي في حياتي وبعد مماتي واحد. ثمّ قال لها: يا أُمَّ أسلم، مَنْ فعل فعلي هذا فهو وصيّي! ثمّ ضرب بيده إلىٰ الحصاة من الأرض، ففركها بإصبعه فجعلها شبه الدقيق، ثمّ عجنها، ثمّ طبعها بخاتَمه، ثمّ قال: مَنْ فعل فعلي هذا فهو وصيّي في حياتي وبعد مماتي!»[1].

فيُظهِر لنا هذا النصّ أنَّ أُمَّ أسلم كانت عالِمة، في حين أنَّ كثيراً من الصحابة وعامَّة الناس كانوا أُمّيّين، أمَّا هي فلم تكن مُتعلِّمةً فقط، بل ممَّن أبحروا في المعارف الإلهيَّة مِنْ فحصٍ وتمحيصٍ في الكتب المنزَلة علىٰ أنبياء الله موسىٰ وعيسىٰ من التوراة والإنجيل، وهو يقتضي كونها صاحبة عقلٍ راجحٍ وموسوعةٍ في مقارنة الأديان؛ لمعرفتها بتفاصيل كلِّ نبيٍّ ووصيِّه، وهو من النادر حصوله في ذلك الوقت، إلَّا لمن كان يمتلك خلفيَّةً علميَّةً وعقديَّةً تؤهِّله للخوض في أصعب مضمار وبأدقّ تفاصيله، وهو علم الأديان.

كان إسلامها عن معرفةٍ تامَّةٍ بمنظومته الفكريَّة والخُلُقيَّة والتشريعيَّة لكي يتسنّىٰ لها طرح سؤالٍ بهذه الأهمّية علىٰ النبيِّ صلى الله عليه وآله، ينمُّ عن ذهنٍ وقّادٍ وقلبٍ سليمٍ دفعها للاستفسار عن الوصيِّ بعد موت النبيِّ صلى الله عليه وآله؛ لأنَّه مِنْ أهمّ المسائل التي يترتَّب عليها قِوام الدين واستمراريَّته، كما كان في الأديان السابقة (اليهوديَّة

(١) الكافي/ الكليني ١: ٣٥٥/ باب ما يفصل به بين دعوىٰ المحقِّ والمُبطِل في أمر الإمامة/ ح ١٥.

والنصرانيَّة).. ممَّا جعل النبيَّ ﷺ يتعامل معها بكلِّ ثقة، ويُوليها أهمّيةً خاصَّة، فهي امرأةٌ ليست كباقي النساء، بل عالمةٌ فاضلةٌ، تضع النقاط علىٰ الحروف بإمكانيَّة العالم المتمرِّس، قد سبقَت غيرَها في معرفة الإسلام وخصوصيّاته، وأنتجت هذه المعرفةُ والتواصل العلميّ قفزةً نوعيَّةً، متخطّيةً جملةً من الإشكالات التي وقع فيها غيرُها، فهي بحقّ امرأةٌ استثنائيَّة وركيزةٌ أساسيَّةٌ مِنْ ركائز المسلمين، صبَّت بصيرتها النافذة علىٰ محورٍ أساسيٍّ في الإسلام والعقيدة، وهي موضوع الإمامة، الذي (ما سُلَّ سيفٌ في الإسلام علىٰ قاعدةٍ دينيَّة مثلما سُلَّ علىٰ الإمامة)[1].

فبمثل هؤلاء بقيَ الإسلام محافِظاً علىٰ جوهره ورونقه، خالياً من الشوائب التي شابت الإسلام من بعض العقول الجامدة، فكان هذا هو الختم الأوَّل لأُمِّ أسلم، وجواباً ساطعاً علىٰ سؤالها، ودليلاً ثاقباً علىٰ الوِصاية من بعده ﷺ، وكلُّه ثقة أنَّها أهلٌ لحمله والتبليغ به، ولكي يكون حُجَّةً علىٰ مَنْ بعده ممَّن يحاولون إنكار الوصيَّة، لتستبشر أُمُّ أسلم بهذا الختم المبارك بيد سيِّد الكائنات وخاتم الأنبياء.

وبقي التعرّف علىٰ المصداق الذي ترك النبيُّ ﷺ لأُمِّ أسلم اكتشافه، لكي يكون أكثر اطمئناناً وأبلغ حُجَّةً، فاستقصاء الدليل ومعرفته يكون أكثر منطقيَّةً من الإخبار عن الآخرين؛ ولأنَّها كانت صاحبة علم فتشخيصها سوف يقع منطبقاً علىٰ المفهوم الذي أشار إليه النبيُّ ﷺ.

---

(١) المِلَل والنِّحَل/ الشهرستاني ١: ٢٤/ المقدّمة الرابعة.

تقول أُمُّ أسلم: فخرجتُ مِنْ عنده، فأتيتُ أمير المؤمنين عليه السلام فقلتُ له: بأبي أنت وأُمّي، أنت وصيّ رسول الله صلى الله عليه وآله؟ قال: «**نعم يا أُمَّ أسلم**». ثمّ ضرب بيده إلىٰ حصاةٍ ففركها فجعلها كهيأة الدقيق، ثمّ عجنها، وختمها بخاتَمه، ثمّ قال: «**يا أُمَّ أسلم، مَنْ فعل فعلي هذا فهو وصيّي**»[1].

فاستيقنَت أُمُّ أسلم أنَّ عليّاً عليه السلام هو الوصيّ من بعد رسول الله صلى الله عليه وآله، بالبرهان والدليل الذي قدَّمَه بختمه المبارك علىٰ الحصاة، وما سؤالها إيّاه بالوصاية إلَّا سؤالٌ استفهامي؛ لِما كانت تجده في أمير المؤمنين عليه السلام من مميّزاتٍ وامتيازاتٍ لم تتوافر عند غيره، ولعلمها بأنَّ الوصاية لا بدَّ أن تكون في شخصٍ له من الملكات ما يفتقر إليها غيرُه، ولقربها من الرسول الكريم والدعوة الإسلاميَّة وإلمامها بتفاصيل البعثة النبويَّة وأسبابها ومسبَّباتها، والوظائف التي لعبها عليُّ بن أبي طالب في نشر الإسلام.. كلُّ هذا جعل تشخيصها لعليٍّ عليه السلام في محلِّه، وهو يدلُّ علىٰ نظرةٍ ثاقبةٍ من أُمِّ أسلم في إحاطتها بمجريات الأُمور وحقائق الأشياء بحكمةٍ عاليةٍ ورؤيةٍ واضحةٍ.

ثمّ تستطرد أُمُّ أسلم لإشباع فهمها المعرفيّ والعقديّ، مستثمرةً الفرصة التي أتاحها لها النبيُّ صلى الله عليه وآله، لتبحث عن امتداد هذه الوصيَّة، بناءً علىٰ الموروث الفكريّ الذي اكتسبَته من دراستها للكتب والأنبياء في وصاياهم وما يتعلَّق بها.

---

(١) الكافي/ الكليني ١: ٣٥٦/ باب ما يفصل به بين دعوىٰ المحقّ والمُبطِل في أمر الإمامة/ ح ١٥.

تقول: فأتيتُ الحسن عليه السلام _ وهو غلام _ فقلتُ له: يا سيِّدي، أنت وصيّ أبيك؟ فقال: «**نعم يا أُمَّ أسلم**»، وضرب بيده وأخذ حصاةً ففعل بها كفعلها؛ لتزداد ثقةً في مشروعها الإمامي، فتتدرَّج في سُلَّم الإيمان لتصل إلىٰ مفترَقٍ خطير، تختبر أُمُّ أسلم نفسها من خلاله مدىٰ صحَّة تشخصيها عندما تواجه اختباراً ليس هيِّناً، فمِنْ بعد عليٍّ عليه السلام يوجَد شخصان يتقاسمان جميع المؤهّلات الموجِبة لتسنّم منصب الإمامة، وليس للعمر مدخليَّة في تقديم الأكبر علىٰ الأصغر، فللإمامة شروطٌ وأركانٌ لا توجَد إلَّا في شخصٍ واحد، فالأمر في الحسنين عليهما السلام واحد، ولكنَّ حذاقة أُمِّ أسلم وبصيرتها مكَّنها من الاختيار الصحيح عندما توجَّهت بالسؤال للإمام الحسن عليه السلام، فهو ابن عليٍّ عليه السلام وفاطمة، وفي سيمائه علامات الإمامة، ولم يمنعها صِباه من سؤاله، وهي العالمة، بل إنَّ علمها هو الذي سوَّغ لها الهداية إلىٰ ضالَّتها المنشودة، فتتأمَّل في وجه الإمام الحسن عليه السلام، بعينَيه البرّاقتين، بنور النبوَّة والإمامة وبهائه المحمّدي الذي يُلقي إلىٰ ناظرَيه صمتاً تقديسيّاً، وقد سمعَت مسبقاً بفضائل الحسنين عليهما السلام علىٰ لسان جدِّهما رسول الله صلى الله عليه وآله، فيبعث في نفسها اليقين، وتستبشر خيراً بمولاها الحسن عليه السلام، الغلامِ الهاشمي، فتقف أمامه بكلِّ إجلالٍ واحترام، لتسترشد رأيه وتطلب جوابه، فطالبُ الحقيقة لا ينساق إلىٰ العاطفة، بل لعقله الأولويَّة والأسبقيَّة في الاعتقاد، ولإكمال الحُجَّة عليها وعلىٰ غيرها فيُجيبها الإمام الحسن عليه السلام بجوابٍ تقريريٍّ وإبراميٍّ، ضارباً علىٰ

حصاتها، فاعلاً فعل جدِّه وأبيه، مؤكِّداً سلامة الموقف وداعماً لنظريَّة جدِّه، فالختم هو الختم من محمّدٍ صلى الله عليه وآله إلىٰ عليٍّ عليه السلام إلىٰ الحسن عليه السلام، لا يختلف ولا يتخلَّف، فالنصُّ المعصوميِّ ثابتٌ لا يتغيَّر!

فتنتشي أُمُّ أسلم نشوة العلم والانتصارِ للحقيقة علىٰ مَنْ يحاول تزييفها أو اقصاءها، فالإمام الحسن المجتبىٰ عليه السلام هو وصيّ الوصيّ، والقائم بالحجَّة بعد أبيه بالدليل القاطع، والذي لا يقبل الشكَّ، علىٰ رغم حداثة سِنِّه الذي لم يُوقِف هاجس أُمِّ أسلم بكونه إماماً، فهي تعلم أنَّ النبوَّة تكوينيَّة، وكذلك الإمامة، والعصمة لأهلها، لا تفترق عنهم لازمة غير منفكَّة.

فتُضيف لنا أُمُّ أسلم دليلاً آخَر في الإمامة وفي إثبات الحقِّ لأهله، دليلاً علميَّاً ملموساً في سلسلة الأدلَّة العقديَّة في الإمامة، وتكون هي الشاهدة علىٰ هذا الدليل، فالإمامة بعد عليٍّ عليه السلام للإمام الحسن عليه السلام، وهو أكثر حساسيةً وأقلّ وضوحاً لمن يُناقش في موضوعها، ولاتِّفاق العامَّة والخاصَّة في عليٍّ عليه السلام وإن كان متأخِّراً، لكنَّه قد ثبت من باب الخلافة لا الإمامة، أمَّا فيها فما زال الخلاف متواصلاً، ففِعْل أُمِّ أسلم فيه تسليطٌ للضوء مباشرةً علىٰ ديمومة الإمامة في أولاد عليٍّ عليه السلام، بدءاً بالإمام الحسن عليه السلام ومن ثَمَّ الحسين عليه السلام.

وبعد ختم الإمام الحسن عليه السلام وضمانها لختمه الشريف، تخرج من عنده بزهو الفاتِحين، متَّجهةً إلىٰ السبط الثاني، والأمر أهون بعد معرفة إمامة الإمام الحسن عليه السلام..

تقول: فخرجتُ مِنْ عنده، فأتيتُ الحسين عليه السلام _ وإنّي لَمستصغرةٌ لسِنِّه _، فقلتُ له: بأبي أنت وأُمّي، أنت وصيّ أخيك؟ فقال: «**نعم يا أُمَّ أسلم، ائتيني بحصاة**»، ثمّ فعل كفعلهم.

ويبدو أنَّ أُمَّ أسلم في هذا النصّ تمضي بخُطىٰ واثقة، وما استصغارها لسنِّ الإمام الحسين عليه السلام إلَّا دلالة علىٰ تقديسها لأهل البيت عليهم السلام، صغيرهم وكبيرهم، فدليل الحصاة مع صِغَر سنِّه آيةٌ علىٰ العصمة التي لا تقرُّ بالسنِّ، وليس استصغارها مَدعاةً لاستبعاد كونه معصوماً أو تقليلاً لشأنه المبارك، فأُمُّ أسلم العالمة بخفايا وأسرار العصمة غير ملتفتةٍ إلىٰ هذا المعنىٰ، وسؤالها إياه يُبيِّن لنا وبوضوحٍ تامٍّ إدراكها لِما تفعل، فامرأةٌ بحجم وعقلانيَّة أُمّ أسلم لا يُتوقَّع منها أن تسأل مع علمها بعدم إمكانيَّة إجابتها لصغر سنِّه، خصوصاً وأنَّ السؤال يتعلَّق بقضيَّةٍ هامَّةٍ وحاسمةٍ، وهي الإمامة، ويصدق حدسها بحصاةٍ أُخرىٰ تُوثِّق لها الإجابة بالإمام الذي بعد الحسن عليه السلام، وهو الحسين عليه السلام، وتسعة أئمَّةٍ من بعده، من غير اجتماع أخوَين غير الحسن والحسين عليهما السلام.

ثمّ ترجع أُمُّ أسلم بعد هذه الرحلة العلميَّة بمعرفة أوصياء رسول الله صلى الله عليه وآله ليمتدَّ بها العمر، مواكِبةً مراحل انتقال الوصاية والإمامة من النبيِّ صلى الله عليه وآله إلىٰ عليٍّ عليه السلام، ثمّ إلىٰ وَلده الحسن عليه السلام وبعدها للحسين عليه السلام، وتشهد تقلّبات الدهر والانقلاب علىٰ الأعقاب بوسوسة الشياطين وفعل المنافقين، ليُغصَب حقٌّ، ويُكسَر ضلعٌ، ويُفرىٰ كبدٌ.. إمعاناً في نكران الجميل، ليكون

أجرهم إيذاء القُربىٰ وبخس حقِّهم، ليصل البغض أوجَه بقتل الحسين عليه السلام وسبي عياله، فلم تكن حصاة أُمِّ أسلم رادعاً لهم ولا عائقاً لفعلهم.

لكنَّ أنصار الإمامة لم ينثنوا عن متابعة الحقِّ وإثبات المظلوميَّة، مع تعسّر الوضع وتأزّم الحال والتضييق علىٰ أهل البيت عليهم السلام؛ ولأنَّ الحقَّ يعلو ولا يُعلىٰ عليه _ بحسب القواعد الإلهيَّة _ في مجانبة الباطل لمن يُؤمن بإرادة الله، ومنهم المرأة الصالحة أُمّ أسلم، إذ تقف من جديدٍ لإكمال رحلة المحبّين وتثبيت أُصول الدين، سائلةً زين العابدين عليه السلام؛ فقد عمَّرَت أُمُّ أسلم حتَّىٰ لحقت بعليٍّ بن الحسين _ بعد قتل الحسين عليه السلام _ في منصرفه، فسألَته: أنت وصيّ أبيك؟ فقال: «**نعم**»، ثمّ فعل كفعلهم عليهم السلام[1].

ففي فعلها هذا مواساةٌ لعليٍّ بن الحسين عليه السلام، ومؤازرةٌ بطوليَّةٌ من امرأةٍ طاعنةٍ في السنِّ، لا تملك سوىٰ تدعيم أركان الإمامة بحصاةٍ مختومة، تُظهِرها في زحمة الأهواء المتصارعة جوهرةً مضيئةً بأنوار الإمامة والهداية لطريق الصواب، وتُثْبِتُ أنَّه الإمام الرابع للمسلمين بعدما عانىٰ من ذبح أبيه واقتياده بسلاسل الظلم والإجحاف لحقِّه المهتضم، ولتستعيد أُمُّ أسلم ذاكرة المسلمين بعهد رسول الله صلى الله عليه وآله ووصيَّته في حفظه بأهله، ومدىٰ تقصيرهم في الدفاع عن بَيضة الإسلام التي لم يحفظوها، لتقضي أُمُّ أسلم وَطَرها

(١) الكافي/ الكليني ١: ٣٥٦/ باب ما يفصل به بين دعوىٰ المحقّ والمُبطِل في أمر الإمامة/ ح ١٥.

بسلامةٍ في دِينها، بأمل الإصلاح لما فسد من أُمور المسلمين بوجود إمامٍ معصومٍ لو اتَّبعوه لوصلوا إلىٰ رضا الله وخلاصهم، لكنَّ الآلة الإعلامية المضادَّة للفكر العلويِّ عملت وبكلِّ قوَّةٍ لمحو ذكر هذه الشخصيّات التي لها أثرٌ في تغيير مسار التاريخ وتصحيحه، فنُلاحظ أنَّ التاريخ الذي كُتِبَ بأيديهم تجاهل ذكرهم، لكي لا تبقىٰ بيِّنةٌ علىٰ حقِّ أهل البيت عليهم السلام، وحاولوا محوَ الذاكرة الإسلاميَّة من مواقفهم الجليلة.

ولكن تبقىٰ أُمُّ أسلم بشخصيَّتها العلميَّة والعقديَّة شاهداً علىٰ فشل إرادتهم، فتستدلُّ بحصاتها علىٰ إمامة المعصومين، وبالطبع لم يكن هو الدليل الوحيد، بل هو جزئيٌّ مِنْ كلّي الأدلَّة المنصوصة والعقليَّة علىٰ إمامتهم عليهم السلام.

إنَّ حصاتكِ يا أُمَّ أسلم لَهي ذخرٌ لكِ في معادكِ، وعملٌ صالحٌ في ميزانكِ، تدلُّ علىٰ جلالة قدركِ ومودَّتكِ لأهل البيت عليهم السلام، التي استحالت جبلاً راسخاً ترتقينه في مصافِّ أنصار العقيدة.

استدراك:

قد وردت روايةٌ أُخرىٰ باسم (أُمّ سليم)، بالمضمون نفسه، ولكن مع اختلافٍ في اللفظ، نوردها استكمالاً للفائدة؛ لِما فيها من تفصيلٍ أكثر من الرواية الواردة باسم (أُمّ أسلم)، مع اختلافٍ في السند:

أبو القاسم عليّ بن حبشيّ بن قونيّ قال: حدَّثَنا جعفر بن

محمّد بن مالك الفزاري، قال: حدَّثني أبو حمزة الثُّمالي، عن زِرّ بن حَبيش الأسدي، عن عبد الله ابن خبّاب بن الأرت قتيل الخوارج، عن سلمان الفارسيّ والبَراء بن عازب قالا:

قالت أُمُّ سليم: كنتُ امرأةً قد قرأتُ التوراة والإنجيل، فعرفتُ أوصياء الأنبياء، وأحببتُ أن أعرفَ وصيّ محمّد صلى الله عليه وآله، فلمَّا قدمَت ركابُنا المدينة أتيتُ رسول الله صلى الله عليه وآله، وخلفتُ الركاب مع الحيِّ، فقلتُ له: يا رسول الله، ما مِنْ نبيٍّ إلَّا وكان له خليفتان: خليفةٌ يموت قبله، وخليفةٌ يبقىٰ بعده، وكان خليفة موسىٰ في حياته هارون، فقُبِض قبل موسىٰ، ثمّ كان وصيّه بعد موته يُوشَع بن نون، وكان وصيّ عيسىٰ في حياته كالب بن يوقنا، فتُوفّي كالب في حياته، ووصيّه بعد وفاته شمعون بن حمون الصفا ابن عمَّة مريم، وقد نظرتُ في الكتب الأُولىٰ فما وجدتُ لك إلَّا وصيَّاً واحداً في حياتك وبعد وفاتك، فبيِّنْ لي _ بنفسي أنت يا رسول الله _ مَنْ وصيُّك؟

فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: «**إنَّ لي وصيَّاً واحداً في حياتي وبعد وفاتي**».

قلتُ له: مَنْ هو؟

فقال: «**ائتيني بحصاة**». فرفعتُ إليه حصاةً من الأرض، فوضعها بين كفَّيه، ثمّ فركها بيده كسحيق الدقيق، ثمّ عجنها فجعلها ياقوتةً حمراء، ختمها بخاتَمه فبدا النقشُ فيها للناظرين، ثمّ أعطانيها وقال: «**يا أُمَّ سليم، مَنْ استطاع مثل هذا فهو وصيّي**».

قالت: ثمّ قال لي: «**يا أُمَّ سليم، وصيّي مَنْ يستغني بنفسه في**

جميع حالاته كما أنا مستغن!». فنظرتُ إلىٰ رسول الله ﷺ وقد ضرب بيده اليمنىٰ إلىٰ السقف وبيده اليسرىٰ إلىٰ الأرض، قائماً لا ينحني في حالةٍ واحدةٍ إلىٰ الأرض ولا يرفع نفسه بطرف قدميه.

قالت: فخرجتُ، فرأيتُ سلمان يكنف[1] عليّاً ويلوذ بعقوته[2] دون مَنْ سواه من أُسرة محمّد ﷺ وصحابته علىٰ حداثةٍ مِنْ سنِّه، فقلتُ في نفسي: هذا سلمان صاحب الكُتُب الأُولىٰ قبلي، صاحب الأوصياء، وعنده من العلم ما لم يبلغني، فيوشَك أن يكون صاحبي!

فأتيتُ عليّاً فقلت: أنت وصيّ محمّد ﷺ؟ قال: «**نعم، وما تريدين؟**»، قلت له: وما علامة ذلك؟ فقال: «**ائتيني بحصاة**»، قالت: فرفعتُ إليه حصاةً من الأرض، فوضعها بين كفَّيه، ثمّ فركها بيده فجعلها كسحيق الدقيق، ثمّ عجنها فجعلها ياقوتةً حمراء، ثمّ ختمها فبدا النقش فيها للناظرين.

ثمّ مشىٰ نحو بيته، فاتَّبعتُه لأسأله عن الذي صنع رسول الله ﷺ، فالتفَت إليَّ ففعل مثل الذي فعله، فقلت: مَنْ وصيّك يا أبا الحسن؟ فقال: «**مَن يفعل مثل هذا**».

---

(١) الكَنَف - بالتحريك -: الجانب والناحية، والأكناف: الجوانب والنواحي، يقال: أكنفه، وفي الحديث: «ما مِنْ عبدٍ من شيعتنا يقوم إلىٰ الصلاة إلَّا اكتنفه بعدد مَنْ خالفه ملائكةٌ يُصلّون خلفه»، هو من قولهم: تكنَّفوه واكتنفوه، أي أحاطوا به يمنةً ويسرةً. (مجمع البحرين/ الطريحي ٥: ١١٥/ مادَّة كَنَف).

(٢) العقوة: ما حول الدار والمحلَّة، تقول: ما بعقوة هذه الدار أحدٌ مثل فلان، وتقول للأسد: ما يطور بعقوته أحد. (العَين/ الفراهيدي ٢: ١٧٥/ مادَّة عَقَو).

قالت أُمُّ سليم: فلقيتُ الحسن بن عليّ عليه السلام، فقلت: أنت وصيّ أبيك؟ هذا وأنا أعجبُ مِنْ صغره وسؤالي إيّاه، مع أنّي كنتُ عرفتُ صفة الاثني عشر إماماً، وأبوهم سيِّدهم وأفضلهم، فوجدتُ ذلك في الكتب الأُولىٰ. فقال لي: «**نعم، أنا وصيّ أبي**»، فقلت: وما علامة ذلك؟ فقال: «**ائتيني بحصاة**»، قالت: فرفعتُ إليه حصاةً من الأرض، فوضعها بين كفّيه، ثمّ سحقها كسحيق الدقيق، ثمّ عجنها فجعلها ياقوتةً حمراء، ثمّ ختمها فبدا النقش فيها، ثمّ دفعها إليَّ.

فقلتُ له: فمَنْ وصيُّك؟ فقال: «**مَنْ يفعل مثلَ هذا الذي فعلت**»، ثمّ مدَّ يده اليُمنىٰ حتَّىٰ جاوزَت سطوح المدينة وهو قائم، ثمّ طأطأ يده اليسرىٰ فضرب بها الأرض، من غير أن ينحني أو يتصعَّد، فقلتُ في نفسي: مَنْ يا تُرىٰ وصيّه؟!

فخرجتُ مِنْ عنده، فلقيتُ الحسين عليه السلام، وكنتُ قد عرفتُ نعتَه من الكتب السالفة بصفته وتسعة من وُلده أوصياء بصفاتهم، غير أنّي أنكرتُ حليته لصغر سنِّه، فدنوتُ منه _ وهو علىٰ كِسرة[1] رحبة المسجد[2] _ فقلتُ له: مَنْ أنت يا سيِّدي؟ قال: «**أنا طَلِبَتُكِ يا أُمَّ سليم، أنا وصيّ الأوصياء، وأنا أبو التسعة الأئمَّة الهادية، أنا وصيُّ أخي الحسن، وأخي وصيُّ أبي عليٍّ، وعليٌّ وصيُّ جدِّي رسول**

(١) الكِسر - بالكسر -: أسفل شقَّة البيت التي تلي الأرض، من حيث يكسر جانباه من عن يمينك ويسارك. (الصحاح/ الجوهري ٢: ٨٠٦/ مادَّة كَسَر).

(٢) رَحبة المسجد - بالفتح -: الساحة المنبسطة. (مجمع البحرين/ الطريحي ٢: ٦٩/ مادَّة رَحَب).

الله ﷺ». فعجبتُ مِنْ قوله، فقلت: ما علامة ذلك؟ فقال: «**ائتيني بحصاة**»، فرفعتُ إليه حصاةً من الأرض. قالت أُمُّ سليم: لقد نظرتُ إليه وقد وضعها بين كفّيه، فجعلها كهيأة السحيق من الدقيق، ثمّ عجنها فجعلها ياقوتةً حمراء، فختمها بخاتَمه فثبت النقش فيها، ثمّ دفعها إليَّ وقال لي: «**أُنظُري فيها يا أُمَّ سليم!**»، فنظرتُ فإذا فيها رسول الله ﷺ وعليّ والحسن والحسين وتسعة أئمَّةٍ مِنْ وُلد الحسين عليه السلام، قد تواطأت أسماؤهم إلَّا اثنين منهم، أحدهما جعفر والآخَر موسىٰ، وهكذا قرأتُ في الإنجيل، فعجبت.

ثمّ قلتُ في نفسي: قد أعطاني الله الدلائل ولم يُعطِها مَنْ كان قبلي، قلت: يا سيِّدي، أعِدْ عليَّ علامةً أُخرىٰ! قالت: فتبسَّم وهو قاعد، ثمّ قام ومدَّ يده اليمنىٰ إلىٰ السماء، والله لَكأنَّها عمودٌ مِنْ نارٍ تخرق الهواء، حتَّىٰ توارىٰ عن عيني، وهو قائمٌ لا يَعبأ بذلك ولا يتحفَّز، فأُسقِطتُ وصُعِقتُ، فما أفقتُ إلَّا به، ورأيتُ في يده طاقة من آس[1] يضرب بها منخري، فقلتُ في نفسي: ماذا أقول له بعد هذا؟ وقمتُ وأنا والله أجد إلىٰ ساعتي رائحة هذه الطاقة من الآس، وهي والله عندي لم تذوِ ولَم تذبل ولا تنقص من ريحها شيء، وأوصيتُ أهلي أن يضَعوها في كفني.

فقلت: يا سيِّدي، مَنْ وصيّك؟ فقال: «**مَنْ فعل مثل فعلي**». قالت: فعِشتُ إلىٰ أيّام عليّ بن الحسين عليه السلام[2].

---

(١) الطاقة: شعبة من ريحان ونحوه. والآس: شجرٌ ورقه العطر. (العَين/ الفراهيدي ٧: ٣٣١/ مادَّة آس).

(٢) مقتضب الأثر ـ الجوهري ـ: ١٨.

هـذه الروايـة مـع تفصـيلها واحتوائهـا عـلىٰ بعـض الأحـداث والمعجـزات مـن الأئمَّـة عليهم السلام، إلَّا أنَّ مضـمونها واحـد، وقـد يكـون النقـل مختلـفٌ مـن حيـث التفصـيل والاقتضـاب تبعـاً للناقـل، إلَّا أنَّ المضـمون _ وهـو الطبـع في الحصـاة _ حاصـلٌ في الـروايتين، وهـو مـا يهمّنا.

وعلىٰ أيِّ حالٍ، فأُمّ سـليم مـن النسـاء الـلاتي كـان لهـا أثـرٌ في سـيرة الإمـام الحسـن المجتبـىٰ عليه السلام، ووظيفـة إسـناديَّة هامَّـة لا يُـبخَس حقّهـا، وقدوة في طلب العلم والتمسّك بالولاية لمحمّدٍ وآل محمّدٍ صلى الله عليه وآله.

* * *

حَبابة الوالبيّة

ارتبطت بعضُ الشخصيّات الفَذَّة بالسيرة العَطِرة لأهل البيت عليهم السلام، فكان لها تأثيرها البالغ في ترسيخ العقيدة وبثِّها في وقتٍ أغلقَت السلطاتُ الحاكمة علىٰ شيعتهم منافذَ العدل والرحمة، فأظهروا منتهىٰ التجلّد والصبر بعنفوانِ قادتهم، فمرَّروا مرحلةً مُعتمةً تجاوزوا بها لُجج الغيِّ والضلال.

ومن هذه الشخصيّات، ممَّن اقتدَين بسيِّدة النساء عليها السلام، واختطَّت لها طريقاً نحو المجد والعلا، هي: حَبابة الوالبيَّة..

وهي حَبابة بنت جعفر الوالبيَّة الأسديَّة، والبيَّةٌ نسبةً إلىٰ والبة، حيٌّ مِنْ بني أسد[1]، و(حَبابة): بفتح الحاء المهمَلة وتخفيف الباء الموحَّدة[2].

وكنيتها: أُمُّ الندىٰ، وعُرِفَت بصاحبة الحصاة؛ لمناسبةٍ سيمرُّ ذكرها.

وصاحبات الحصاة ثلاث: حَبابة الوالبيَّة، وأُمُّ غانم الأعرابيَّة، وأُمُّ سليم[3]، ويمكن التمييز بينهنَّ من خلال الروايات

---

(١) أعيان الشيعة/ السيِّد محسن الأمين ٤: ٣٨٣.

(٢) القاموس المُحيط/ الفيروزآبادي ١: ٥١.

(٣) الصراط المستقيم/ النباطيّ البياضيّ ٢: ٢٠٦.

الواردة في حقِّهنَّ ومناسبة الحصاة التي خُتِمَت من النبيِّ صلى الله عليه وآله والأئمَّة عليهم السلام.

مع أمير المؤمنين عليه السلام:

صاحبة الحَصاة.. لُقِّبَت حبابة بهذا اللقب وعُرِفَت به عندما رأت أميرَ المؤمنين عليه السلام في شَرَطة الخميس وسألَته: ما دلالة الإمامة؟ يرحمك الله! فقالت: فقال عليه السلام: «**أعطِيني تلك الحصاة**»، وأشار بيده إلىٰ حصاة، فأتيتُه بها، فطبع لي فيها بخاتَمه، ثمّ قال لي: «**يا حبابة! إذا ادَّعىٰ مُدَّعٍ الإمامةَ فقَدِر أن يطبَعَ كما رأيتِ فاعلمي أنَّه إمامٌ مُفترَضُ الطاعة، والإمام لا يعزب عنه شيءٌ يُريده**».

وكانت هذه بداية طريق مسيرتها مع أئمَّة أهل البيت عليهم السلام.. ولم تكن هذه محضُ صدفةٍ أو اختيارٍ عشوائيٍّ من الإمام عليه السلام لهذه المرأة الصالحة، بل إنَّ الإمام لمعرفته وعلمه أنَّها أهلٌ لتحمّل عبء الأمانة وثقلها؛ وذلك لإيمانها وتقواها وعلمها ومعرفتها بالله تعالىٰ وبرسوله وأهل بيته عليهم السلام معرفةً حقَّةً، جعل طبع خاتمه الشريف دلالةً علىٰ الإمامة من جهة، ومن جهةٍ أُخرىٰ دليلاً علىٰ منزلة هذه المرأة الجليلة.

مع الإمام الحسن عليه السلام:

ولم تألُ جُهداً في مسيرتها الربّانيَّة علىٰ نهج أئمَّتها، حتَّىٰ وردت علىٰ الإمام الحسن عليه السلام عند مبايعته بعد استشهاد أبيه عليه السلام، فبعد نزوله عن المنبر وجلوسه مجلس أبيه أمير المؤمنين عليه السلام، وذلك يوم

الجمعة الحادي والعشرين من شهر رمضان سنة أربعين من الهجرة، جاءت إليه حبابة الوالبيَّة، فقال عليه السلام: «**يا حبابة الوالبيَّة، هاتي ما معكِ**»، فأعطَته، فطبع فيها كما طبع أمير المؤمنين عليه السلام[1].

هذا لتثبت حبابة علىٰ العهد الذي بايعَت عليه أمير المؤمنين عليه السلام، متقلِّدةً وساماً آخَر من سبط النبيِّ صلى الله عليه وآله الحسن المجتبىٰ عليه السلام، حيث دعاها متوسِّماً فيها الإيمان، ومؤكِّداً علىٰ فعل أبيه علي عليه السلام!

نعم، هكذا كانت حبابة حاضرةً عند إمامها، مطيعة، تُبصِر في عينَي الإمام المجتبىٰ عليه السلام نظرات الرحمة والرأفة، متأمِّلةً النور الإلهيِّ يسطع من جبينٍ طالما قبَّله رسول الله صلى الله عليه وآله، فتستعيد ذاكرتها المملوءة حُبَّاً لأهل بيت النبيِّ صلى الله عليه وآله، فيُعالج نظراتها الإمام عليه السلام بختمٍ حَسَنيٍّ كرَّس ثقتها بإمامته.

مع الإمام الحسين عليه السلام:

وبعدما قضىٰ مسموماً إمامُ الأُمَّة بسُمِّ الغدر والحقد الأُموي، تنهض حبابةُ مسارعةً لأخذ دورها في نصرة الإمامة والدفاع عن عقيدتها بحُصيّاتها الكريمة، وهذه المرَّة مع السبط الثاني لرسول الله صلى الله عليه وآله، وقد خَلَفَ أخاه في الإمامة، وخَلَّفَ اختلاف الناس في الإمامة بين مؤيِّدٍ ومعارض، فالحُجَّة والدلالة هي الفيصل في إثبات الحقِّ الذي فرض الله علىٰ عباده، ومن هذه الدلائل حصاة

(١) الكافي/ الكليني ١: ٣٤٦/ باب ما يفصل به بين دعوىٰ المحقّ والمُبطِل في الإمامة/ ح ٣، عنه: مدينة المعاجز/ السيِّد هاشم البحراني ١: ٥١٥/ ح ٣٣٢.

حبابة، عندما دعاها الإمام الحسين عليه السلام وهو في مسجد النبيِّ صلى الله عليه وآله، حيث تقول حبابة: أتيتُ الحسين عليه السلام وهو في مسجد النبيِّ صلى الله عليه وآله، فقرَّبَ ورحَّب، وقال لي: «**إنَّ في الدلالة دليلاً على ما تريدين، أفتريدين دلالة الإمامة؟**»، فقلت: نعم يا سيِّدي، فقال: «**هاتي ما معكِ**»، فناولتُه الحصاة، فطبع فيها كما طبع أبوه وأخوه[1].

ثالث الأختام الذي حازت عليه حبابة ختم أحمر، يُلوِّنه دمه الزكيِّ الذي سال من أجل دين الله ورسالة جدِّه، وليكون هذا الختم حُجَّةً بالغةً على مَنْ جحد حقَّهم وأنكر ولايتهم، ولتُشرَّف حصاة حبابة شرفاً آخَر بعد عليٍّ والحسن عليهما السلام بشرفٍ حسينيٍّ، طبع في قلبها قبل حصاتها، فكانت دؤوبةً على إثبات الحقِّ لأهله ومناوأة أعدائه، فها هي حبابة الوالبيَّة تضرب عرض الجدار الطغيان الأُمويِّ عندما كان أبو عبد الله الصادق عليه السلام يُحدِّث ويقول: «**إنَّ حبابة الوالبيَّة كانت إذا وفد الناس إلى معاوية وفدَت هي إلى الحسين عليه السلام، وكانت امرأةً شديدة الاجتهاد، وقد يبس جلدها على بطنها من العبادة**»[2].

وصفٌ من إمامٍ معصومٍ لا يقبل الشكَّ، ولا النظر في جلالة هذه المرأة وشجاعتها في نصرة دين الله، لتُسجِّل موقفاً في تاريخ مواجهة الحقِّ للباطل، ولتحفظ لنا مأثرةً لشيعة عليٍّ عليه السلام.

---

(١) المصدر السابق.

(٢) بصائر الدرجات/ الصفّار: ١٩١/ الباب ٣ ما عند الأئمَّة عليهم السلام من ديوان شيعتهم/ ح ٤.

مع الإمام عليّ بن الحسين عليه السلام :

وتجري الأيّام.. وحبابة تواكب مسيرة الأئمَّة عليهم السلام بكلِّ بسالةٍ ووعيٍ وحكمة، ليرقىٰ إلىٰ سمعها نبأ استشهاد الإمام الحسين عليه السلام بكربلاء مُضمَّخاً بدمه الطاهر، وأنَّ الأُمَّة لم تحفظ وديعة نبيِّها، فازدادت الفتن وعمهوا في ضلالهم، فكيف يُعرَف الإمام الحُجَّة من بعد؟ فبادرت حبابة تسوق برهانها بيدها، باحثةً عن مرادها، آملةً رأب الصدع وغفران الذنب لقومٍ يجهلون.

عجوزٌ في الثالث عشر بعد المئة، راويةً دليل الإمامة حيث تقول: ثمّ أتيتُ عليَّ بن الحسين عليه السلام، وقد بلغ بيَ الكبر إلىٰ أن أرعشت، وأنا أعدُّ يومئذٍ مئةً وثلاث عشرة سنة.. ثمّ قال لي: «**هاتي ما معكِ**»، فأعطيتُه الحصاة، فطبع لي فيها[1].

ها هي دلالتك يا حبابة، معجزةٌ وختمٌ.. ما أسعدكِ وأسعد حصاتكِ، حيث استلمها أربعةٌ من الأئمَّة طبعوا بأناملهم الشريفة لنا حقَّهم المغدور.

ودلالة إرجاع شبابها؛ لكي لا تشكُّ بإمامته لتشاغله بالركوع والسجود، كما ذكرَت: فرأيتُه راكعاً وساجداً ومشغولاً بالعبادة، فيئستُ من الدلالة، فأومأ إليَّ بالسبّابة فعاد إليَّ شبابي، فقلت: يا سيِّدي، كم مضىٰ من الدنيا وكم بقي؟ فقال: «**أمَّا ما مضىٰ فنعم، وأمَّا ما بقي فلا**»[2].

---

(١) الكافي/ الكليني ١: ٣٤٦/ باب ما يفصل به بين دعوىٰ المحقّ والمُبطِل في الإمامة/ ح ٣، عنه: مدينة المعاجز/ السيِّد هاشم البحراني ١: ٥١٥/ ح ٣٣٢.

(٢) المصدر السابق.

فاهنَئي يا حبابة بهذه الكرامة من رابع الأئمَّة، وبورك لكِ بما حظيتِ من تكريم السجّاد عليه السلام لكِ، فقد جعل منكِ ومن حصاتك دلالتين علىٰ إمامته.. أيَّتها العجوز، قد عدتِ إلىٰ شبابكِ، لتكملي رسالتكِ بكفاءةٍ تامَّةٍ وبروحيَّة الشباب التي نلتِ شرفها ممَّن واليتِهم بصدق!

مع الإمام الباقر عليه السلام:

لكنَّ الإمام عليّ بن الحسين عليه السلام قد مضىٰ ملتحقاً بآبائه مسموماً علىٰ سيرتهم، فمَنْ سيخلفه في الإمامة؟ وأيُّ حلقةٍ في سلسلتهم الذهبية سيَليه؟ عليكِ يا حبابة بالبحث عمَّن يطبع حصاتكِ، فأين تظنّين سيكون، وكيف سيكون؟ أخبِرينا إن كنتِ تعلمين!

تقول حبابة الوالبيَّة: رأيتُ رجلاً بمكّة أصيلاً، بالملتزم أو بين الباب والحجر، علىٰ صعدةٍ من الأرض، وقد حزم وسطه علىٰ المئزر بعمامة خزّ، والغزالة تختال علىٰ قلل الجبال كالعمايم علىٰ قمم الرجال، وقد صاعد كفّه وطَرْفه نحو السماء ويدعو، فلمَّا انثال الناسُ عليه يستفتونه عن المُعضِلات ويستفتحون أبواب المشكلات، فلم يرم حتَّىٰ أفتاهم في ألف مسألة، ثمّ نهض يريد رَحلَه، ومنادٍ ينادي بصوتٍ صهل: ألَا إنَّ هذا النور الأبلج المُسرَج والنسيم الأرج والحقّ المرج، وآخَرون يقولون: مَنْ هذا؟ فقيل: الباقر علم العلم، الناطق عن الفهم، محمّد بن عليّ بن الحسين بن عليّ بن أبي طالب عليهم السلام[1].

---

(١) مناقب آل أبي طالب/ ابن شهر آشوب ٣: ٣١٧/ باب إمامة أبي جعفر الباقر عليه السلام.

واستدلَّت حبابة علىٰ أنَّه الإمام بأمرين:

الأوَّل: حيث تقول: أتيتُ أبا جعفر عليه السلام فطبع لي فيها[١]. أي: في حصاتها، فهذه دلالة الإمامة التي سبق لآبائه أن فعلوا مثل ما فعل.

أمَّا الأمر الثاني: فهو كرامةٌ أُخرىٰ حباها الله تعالىٰ علىٰ يد وليِّه وحُجَّته الإمام محمّد بن عليّ الباقر عليه السلام، عندما دخلت علىٰ الإمام الباقر في حديثٍ ترويه حبابة، قالت: دخلتُ علىٰ أبي جعفرٍ محمّد بن عليّ عليه السلام، قال: «**يا حبابة، ما الذي أبطأكِ؟**»، قالت: قلت: بياضٌ عرض لي في مفرق رأسي، كثرت له همومي. فقال: «**يا حبابة، أدنينيه**»، قالت: فدنوتُ منه، فوضع يده علىٰ مفرق رأسي، ثمّ قال: «**ائتوا لها بالمرآة**»، فأُتيتُ المرآة، فنظرتُ فإذا شعر مفرق رأسي قد اسودَّ، فسُررتُ بذلك، وسُرَّ أبو جعفرٍ عليه السلام بسروري[٢].

إذن، كرامةٌ أُخرىٰ لحبابة من إمامٍ معصوم، بعد كرامة أبيه عليّ بن الحسين عليه السلام، والكرامة لا تكون إلَّا لمن آمن واعتقد بإمامتهم، لتكون دليلاً آخَر علىٰ فضلها ومتانة إيمانها. حقَّاً أنتِ مباركة يا والبيَّة، مِنْ يد إمامٍ إلىٰ يد إمام، ومن منقبةٍ إلىٰ منقبةٍ، فطوبىٰ لكِ!

مع الإمام الصادق عليه السلام:

بعدما ملأ الدنيا بعلمه وبقر العلم بقراً، فانتهل من معينه

---

(١) الكافي/ الكليني ١: ٣٤٦/ باب ما يفصل به بين دعوىٰ المحقّ والمُبطِل في الإمامة/ ح ٣، عنه: مدينة المعاجز/ السيِّد هاشم البحراني ١: ٥١٥/ ح ٣٣٢.

(٢) بصائر الدرجات/ الصفّار: ٢٩٠/ الباب ٣ في الأئمَّة عليهم السلام أنَّهم يحيون الموتىٰ ويُبرؤون الأكمه والأبرص بإذن الله/ ح ٣.

الصافي أهل العلم، فاتحاً باب علم مدينة جدِّه علىٰ مصراعَيها، لم تنأَ عنه أيدي الظالمين، فقضىٰ شهيداً مسموماً، تاركاً ميراث العلم للإمام من بعده، ليكمل بثّ علوم أهل البيت عليهم السلام، ويتمُّ نور الله ولو كره الكافرون..

أقبِلي يا حبابة بدليلك علىٰ إمام الزمان والحجَّة علىٰ الناس، بعد تفرّق الشيعة واختلافهم!

ولم تمكُث حبابة طويلاً لتستخبر عن خليفة الباقر عليه السلام في العلم والإمامة، وكان لها ما أرادت، حيث طبع لها حصاتَها، ومُؤكِّداً وصيَّة جدِّه أمير المؤمنين عليه السلام. تقول حبابة: ثمّ أتيتُ أبا عبد الله عليه السلام فطبع لي فيها[1].

وكان الإمام يعرف فضلها وعبادتها وورعها، وقد وصفها بصفات المؤمنين بأنَّها شديدة الاجتهاد، وقد يبس جلدها علىٰ بطنها من شدَّة العبادة، فأغدق عليها من وابل طِيبه، وما ذلك إلَّا لِما وجد عندها من استعدادٍ نفسيٍّ وعقليٍّ، ولم تفوّت حبابةُ الفرصة لتُمسِك برمّانتين بيدٍ واحدةٍ، فأظهرَت بمسائلها للإمام أنَّه هو الإمام المفروض الطاعة، ومَنْ يملك ميراث جدِّه رسول الله صلى الله عليه وآله من العلم، وأيضاً لتزداد معرفةً وعلماً من ينبوعه الصافي، فهي تسأل الإمام عن مسائل في الحلال والحرام يعجز عن إجابتها الآخَرون، فتعجَّب الحضور من تلك المسائل؛ لأنَّهم ما رأوا سائلاً أحسن منها..

---

(١) الكافي/ الكليني ١: ٣٤٧/ باب ما يفصل به بين دعوىٰ المحقّ والمُبطِل في الإمامة/ ح ٣.

ثـمّ سـالت دموعهـا، فقـال الصـادق عليه السلام: «**مـا لي أرىٰ عينَيـكِ قـد سـالتا؟**»، قالـت: يـا ابـن رسـول الله، داءٌ قـد ظهـر بي مـن الأدواء الخبيثة، وأهل بيتـي يقولـون: قـد أصـابتها الخبيثـة، ولـو كـان صـاحبُها _ كـما قالـت _ مفـروضَ الطاعـة لَـدعا لهـا فكـان الله يُـذهِب عنهـا. وأنـا والله سُررتُ بـذلك، وعلمـتُ أنَّـه تمحـيصٌ وكفّـارات، وأنَّـه داء الصـالحين. فقـال لهـا الصـادق عليه السلام: «**وقـد قـالوا ذلـك؟ أصـابتكِ الخبيثـة!**»، قالـت: نعـم يـا ابـن رسـول الله. فحـرَّك عليه السلام شـفتَيه بشـيءٍ لا يُـدرىٰ أيّ دعـاءٍ كـان، فقـال: «**أُدْخُـلي دار النسـاء حتَّـىٰ تنظـري إلىٰ جسـدكِ**»، فـدخلَت، فكشـفَت عـن ثيابهـا فلـم يوجَـد في صـدرها ولا جسـدها شيء، فقـال عليه السلام: «**اذهبـي الآن وقـولي لهـم: هـذا الـذي يُتقرَّب إلىٰ الله بإمامته**»[1].

فتُثبِـت حبابـة مـرَّةً أُخـرىٰ _ سـواء بحصـاتها أم ببـدنها _ إمامـة الإمـام الصـادق عليه السلام، وتُضـيف إلىٰ سـجلّها الحافـل بالكرامـات كرامـةً أُخـرىٰ عـلىٰ يـد سـيِّدها أبي عبـد الله جعفـر بـن محمّـد الصـادق عليه السلام، وتجعل من نفسها حصاةً طُبعَت عليها أدلَّة الأئمَّة عليهم السلام.

فـأيُّ امـرأةٍ هـذه التـي امـتلأَت إيمانـاً مـن قرنهـا إلىٰ قـدمها، وصـارت صـورةً لمظـاهر أهـل البيـت عليهم السلام، وأسـطراً مضـيئة عـلىٰ صفحات السيرة المعصوميَّة المباركة!

---

(١) بحـار الأنـوار/ المجلسـي ٤٧: ١٢١/ البـاب ٥ معجزاتـه واسـتجابة دعواتـه ومعرفتـه بجميع اللغات ومعالي أُموره صلوات الله عليه/ ح ١٦٩.

مع الإمام الكاظم عليه السلام :

وبعد مدَّةٍ من الزمن أتاحت للإمام الصادق عليه السلام نشر علوم أهل البيت عليهم السلام، رحل عليه السلام تاركاً للناس إماماً وخليفةً في زمنٍ اشتدَّ ظلم أعداء الرسالة المحمّدية، وكثر بطشهم، وضيَّقوا علىٰ شيعة أهل البيت عليهم السلام؛ فضاقت بهم الأرض بما رحُبَت، وكان زعيمهم وإمامهم علىٰ رأس المضطهَدين، فنال من ظلمهم والتغييب في سجونهم ما كان سبباً لانحسار دائرة الحديث النبوي، ولكن لم يكن هذا ليوقِفَ حبابة عن مهمَّتها، فجاهدت لتحقيق انتصارٍ آخَر للإمامة، وهذه المرَّة مع الإمام موسىٰ بن جعفر عليه السلام، مع التعسّف العبّاسي وطغيانهم وجبروتهم، ارتفعت همَّة حبابة الوالبيَّة، وعلىٰ بصيرةٍ من صعوبة دَورها هذه المرَّة، لتحصل علىٰ ثقة مولاها ولتؤكِّد أحقيَّته. أمَّا الشيعة الذين ازدادت معاناتهم بظهور المُدَّعين للإمامة بغير وجه حقّ، فالتبس عليهم الموقف، فلا بدَّ من أدلَّةٍ تُرشدهم إلىٰ الإمام المعصوم وخليفة رسول الله صلى الله عليه وآله، فانبرت حبابة بدليلها الذي لا يقبل التكذيب بختم ستَّةٍ من الأئمَّة، لتضع الطبعة السابعة لسابع الأئمَّة الإمام الكاظم عليه السلام، حيث تقول: ثمّ أتيتُ أبا الحسن موسىٰ عليه السلام فطبع لي فيها[1].

لتُخرِج حبابةُ الناسَ مِن حَيرتهم في إمامهم، وتُقدِّم لهم دليلاً لا شكَّ فيه، ولا ريب بأنَّ الإمام مِنْ بعد جعفرٍ عليه السلام ابنُه موسىٰ عليه السلام، وتُجدِّد عهداً مع آبائه الكرام أنَّها في الصفِّ الأوَّل

(١) الكافي/ الكليني ١: ٣٤٧/ باب ما يفصل به بين دعوىٰ المحقّ والمُبطِل في الإمامة/ ح ٣.

للدفاع عن وَرَثة الأنبياء والذبّ عن حياض الدين، مُتدرّعةً بعزمها وثقتها بالحقِّ وأهله.

ولم يترك الإمامُ الكاظم عليه السلام أصحابه من غير تسليط الضوء عليهم، ليرجع إليهم شيعته في المسألة، حيث ذكر فضلها، كما تنقل روايةً عن الإمام موسىٰ بن جعفر عليه السلام حيث قال: «**إنَّ حبابة الوالبيَّة دعا لها عليُّ بن الحسين عليه السلام، فردَّ الله عليها شبابها، فأشار إليها بإصبعه فحاضت لوقتها، ولها يومئذٍ مئةٌ وثلاث عشرة سنة**»[1].

وهذه هي سياسة أهل البيت عليهم السلام في التعامل مع شيعتهم في إيجاد المخارج لهم.

مع الإمام الرضا عليه السلام:

ولـمَّا قضىٰ الإمام موسىٰ بن جعفر عليه السلام في سجنه شهيداً مسموماً غريباً، وفي أمل أعدائه تغييب نهج النبوَّة ومنهاج العترة الطاهرة، ولكن خاب ظنّهم، فإنَّها مقادير الله تعالىٰ تنسف أبراج الظالمين الطاغوتيَّة، ليتقلَّد الإمامة مِنْ بعده ابنُه عليّ بن موسىٰ الرضا عليه السلام.

وعندها أدركَت حبابة أنَّها المرحلة الأخيرة من مسيرتها مع الأئمَّة، والشوط الأخير مِنْ طوافها حول الإمامة، وذلك بوصيَّة أمير المؤمنين عليه السلام عندما قال لها: «**بلىٰ والله يا حبابة، لَتلقين بهذه الحصاة ابني الحسن والحسين وعليّ بن الحسين ومحمّد بن عليّ**

(١) كمال الدين وتمام النعمة/ الشيخ الصدوق: ٥٣٧/ الباب ٤٩ في سياق حديث حبابة الوالبيَّة/ ح ٢.

وجعفر بن محمّد وموسىٰ بن جعفر وعليّ بن موسىٰ، وكلٌّ إذا أتيته استدعىٰ بهذه الحصاة وطبعها بهذا الخاتَم، فبعد عليّ بن موسىٰ ترَين في نفسِكِ برهاناً عظيماً، منه تختارين الموت، فتموتين، ويتولّىٰ أمرَكِ ويقوم علىٰ حُفرتكِ ويُصلّي عليكِ»[1].

فكان في لقائها للإمام الرضا عليه السلام نعيُ نفسِها ووداعها الدنيا واللقاء بربِّها، مستيقنةً بعهد مولاها أمير المؤمنين عليه السلام، فما برحت ضاحكةً مستبشرةً وقد أنهَتْ مهمَّتها بكلِّ نجاح، مُدلَّةً علىٰ إمام زمانها بختمٍ هو الأخير لحصاتها الدُّرِّيَّة، مستكملةً الحلقة الثامنة، مؤدِّيةً الأمانة مِنْ عليٍّ عليه السلام إلىٰ عليٍّ عليه السلام، مُستشعرةً نشوة النصر للإمام والإمامة، فيطبع لها الإمام شهادة الولاء العلويِّ الذي ظلَّ عنواناً لحبابة، وهي تسرد لقاء العشق فتقول: فلمَّا صرتُ إلىٰ الرضا عليّ بن موسىٰ عليه السلام ورأيتُ شخصه الكريم، ضحكتُ ضحكاً بان شدَّة تبسّمي، فأنكر بعضُ مَنْ بحضرته عليه السلام ضحكي وقالوا: قد خرفتِ يا حبابة ونقَص عقلكِ! فقال لهم مولاي عليه السلام: «**ألم أقل لكم: ما خرفت حبابة ولا نقص عقلها؟ ولكنَّ جدّي أمير المؤمنين عليه السلام خبَّرها بأنَّها عند لقائي إيّاها تكون منيَّتها**»[2].

وطلبَت من الإمام الرضا عليه السلام أن يطبع لها حصاتها، دليلاً وإثباتاً لإمامته أمام الناس، وقالت: ثمّ أتيتُ الرضا عليه السلام فطبع لي فيها[3].

---

(١) الهداية الكبرىٰ/ الخصيبي: ١٦٨/ الباب ٢؛ مدينة المعاجز/ السيِّد هاشم البحراني ٣: ١٩١.

(٢) مدينة المعاجز/ السيِّد هاشم البحراني ٣: ١٩٣.

(٣) الكافي/ الكليني ١: ٣٤٧/ باب ما يفصل به بين دعوىٰ المحقّ والمُبطِل في الإمامة/ ح ٣.

ولكنَّ حبابة انتظرَت البرهان الذي يسبق موتها، لتستنفد كلَّ طاقتها لخدمة عقيدتها، فتطلبُ _ وبكلِّ أدبٍ _ من الإمام الرضا عليه السلام أن يفعل فعل آبائه الأطهار، مُظهِراً برهان ربِّه، لكنَّ الإمام عليه السلام يبادر قائلاً: «**يا حبابة، ما الذي قال لكِ جدّي أمير المؤمنين عليه السلام أنَّكِ تَرَين منّي؟**»، قالت: قال لي: «**والله إنَّكِ تَرَين برهاناً عظيماً**». فقال لها: «**يا حبابة، أمَا تَرَين بياض شعركِ؟**»، قالت: قلت: بلىٰ يا مولاي. قال: «**فتُحبّين أن تَرَينه أسود حالكاً مثل ما كان في عنفوان شبابكِ؟**»، فقلت: بلىٰ يا مولاي. فقال لي: «**يا حبابة، ويُحزِنُكِ ذلك؟ أوَ أزيدكِ؟**»، فقلت: يا مولاي، زدْني مِنْ فضل الله عليك. فقال: «**أتحبّين أن تكوني مع سواد الشعر شابَّة؟**»، فقلت: بلىٰ يا مولاي، إنَّ هذا برهانٌ عظيم. قال: «**وأعظمُ مِنْ ذلك ما حدَّثتيه في نفسكِ، ما أُعلِمُ به الناس!**»، فقلت: يا مولاي، اجعَلْني لفضلك أهلاً. فدعا بدَعَواتٍ خفيَّةٍ حرَّك بها شفتيه، فعدتُ والله شابَّةً غضَّةً، سوداء الشعر حالكة، ثمّ دخلتُ خلوةً في جانب الدار وفتَّشتُ نفسي، فوجدتُني والله بِكراً، فرجعت وخررتُ بين يديه ساجدة، ثمّ قلت: يا مولاي، النقلة إلىٰ الله عزّ وجلّ؛ فلا حاجة لي في الحياة الدنيا[1]!

ولم يكن طلب حبابة الموت من الإمام لسأمها من الحياة أو لهروبها من المسؤوليَّة أو جزعها من صعوبة المهمَّة، بل لأنَّها عالمةٌ بأنَّ رسالتها قد أُنجِزَت، وأنَّ وعد الله حقٌّ، وعليها الآن بعدما

(١) مدينة المعاجز/ السيِّد هاشم البحراني ٣: ١٩٣ و١٩٤.

استوفت حظَّها من الدنيا بقدَرٍ مقدَّر وبإخبارٍ من سيِّد الأوصياء ويقينٍ محض بإرادة الله تعالىٰ، وأنَّ المحتوم لا يتغيَّر ولا يتبدَّل، وقد حازت المرتبة الشريفة، وآن لها اللحاق بربِّها، داعيةً من الإمام الرضا عليه السلام أن يدعو لها بالوفاة والانتقال إلىٰ جوار ربِّها، مستغرقةً بالنظرات الملكوتيَّة إلىٰ وجه إمامها، ولم يتأخَّر الإمام الرضا عليه السلام في طلب حبابة قائلاً لها: «**يا حبابة، أُدْخُلي إلىٰ أُمَّهات الأولاد، فجَهازك هناك مفرد**». فدخلَت إلىٰ أُمَّهات الأولاد، فلم تلبث إلَّا بمقدار ما عاينت جهازها إلىٰ الله تعالىٰ حتَّىٰ شهدت وفاتها إلىٰ الله، فقال الرضا عليه السلام: «**رحمكِ الله يا حبابة**»، قلنا: يا سيِّدي، وقد قُبِضَت؟! قال: «**ما لبثَت أن عاينَت جهازها إلىٰ الله تعالىٰ حتَّىٰ قُبِضَت**»[1].

ثمّ يُكمِل الإمامُ عليّ بن موسىٰ عليه السلام وصيَّة جدِّه أمير المؤمنين عليه السلام إلىٰ حبابة، فيقوم بتجهيزها ودفنها بيده الشريفة.. يقول الراوي: وأمَرَ بتجهيزها فجُهِّزت، وأُخرجَت، فصلّىٰ عليها وصلَّينا معه، وخرجَت الشيعة فصلّوا عليها، وحُمِلَت إلىٰ حفرتها، وأمرَنا سيِّدُنا بزيارتها وتلاوة القرآن عندها والتبرّك بالدعاء هناك[2].

وما فعل الإمام عليه السلام هذا إلَّا دلالةً علىٰ جلالة قدرها وعلوِّ مرتبتها وسموِّ روحها، وأنَّها من عباد الله الصالحين المستجاب عندها الدعاء، لقُربها من الله عزّ وجلّ ورسوله صلى الله عليه وآله وأهل البيت عليهم السلام.

فتختم حبابةُ حياتها مسكاً، فسلامٌ عليها، ولها عقبىٰ الدار.

---

(١) أُنظُر: مدينة المعاجز/ السيِّد هاشم البحراني ٣: ١٩٣ و١٩٥.

(٢) مدينة المعاجز/ السيِّد هاشم البحراني ٣: ١٩٥.

شخصيّة حبابة الوالبيّة وسيرتها:

كانت حبابة امرأةً استثنائيَّةً في زمنها، مكرِّسةً حياتها في خدمة دينها ونشر معارف أهل البيت عليهم السلام، متحملةً كلَّ أنواع الاضطهاد، مغامرةً بنفسها، متحدّيةً وُعورة طريقها بإيمانٍ محضٍ وعقيدةٍ راسخة، ممَّا جعلها ثقةً للأئمَّة ومستودَعاً لعلمهم، راويةً لحديثهم.

عاصرت ثمانيةً من الأئمَّة، بدءاً من عليٍّ أمير المؤمنين عليه السلام وأوَّل مَنْ طبع علىٰ حصاتها، ونهايةً بعليِّ بن موسىٰ الرضا عليه السلام. وكانت عالمةً فقيهةً، يدلُّ علىٰ منزلتها الرفيعة مدحُ الأئمَّة المعصومين عليهم السلام لها وترحّمهم عليها، وقد عاشت عمراً طويلاً، وكلَّما أسنَّت أرجعها إمامٌ إلىٰ شبابها بمعجزة، فعندما أدركَت الإمامَ زين العابدين عليه السلام كان لها من العمر مئةً وثلاث عشرة سنة، والحِكمة في طول عمرها هو الإشارة والدلالة علىٰ أئمَّة الهدىٰ في زمنٍ كثُرَت فيه الفتن والتبست علىٰ الشيعة معرفة الإمام؛ لممارسات الأنظمة الحاكمة المتسلِّطة التي حاولَت وبشتّىٰ الطرق إبعاد الناس عن أئمَّة أهل البيت عليهم السلام، ولكن دون جدوىٰ، وكانت علىٰ معرفةٍ تامَّةٍ بأحقّية أمير المؤمنين عليه السلام ووُلده، لم تفارقْهم في شدَّةٍ أو رخاءٍ.

واشتياق الأئمَّة عليهم السلام إليها يزيد في كثرة التأمّل في هذه المرأة، فممَّا روت حبابة عن الحسين عليه السلام وممَّا يُدلِّل علىٰ فضلها أنَّها قالت: كنتُ زَوّارة الحسين بن عليّ عليه السلام، قالت: فحدَثَ بين عينَيّ وَضَح[1]، فشقَّ ذلك عليَّ واحتبستُ عليه أيّاماً، فسأل عنّي: «ما

(١) الوَضَح - بالتحريك -: البَرَص، وهو بياضه وبياض الغرَّة. (مجمع البحرين/ الطريحي ٢: ٤٢٤/ مادَّة وَضَح).

فعلَتْ حبابةُ الوالبيَّة»، فقالوا: إنَّها حَدَثَ بها حَدَثٌ بين عينيها، فقال لأصحابه: «**قُوموا إليها**». فجاء مع أصحابه حتَّىٰ دخل عليَّ وأنا في مسجدي هذا، فقال: «**يا حبابة، ما أبطأَ بكِ عليَّ؟**»، قلت: يا ابن رسول الله، ما ذاك الذي منعني إن لم أكن اضطررتُ إلىٰ المجيء إليك اضطراراً، لكن حَدَثَ هذا بي. قالت: فكشفتُ القناع، فتفل عليه الحسين بن عليّ عليه السلام، فقال: «**يا حبابة، أحدِثي لله شكراً؛ فإنَّ الله قد درأه عنكِ**». قالت: فخررتُ ساجدة، قالت: فقال: «**يا حبابة، ارفعي رأسكِ وانظُري في مرآتكِ**»، قالت: فرفعتُ رأسي فلم أُحسَّ منه شيئاً، قالت: فحمدتُ الله[1].

إذن، كانت حبابة علىٰ تواصلٍ مع أئمَّتها، تنقل عنهم وتستعلم منهم غامضات الأُمور.

نلتِ الشرفَ والفخر يا حبابة بما قرَّبكِ الله ومن أوليائه بقدر ما اقتربتِ من الله وأوليائه.

وممَّا يؤكِّد أنَّ حبابة لها مكانة سامية عند أئمَّة أهل البيت عليهم السلام، هو ما رُوي عن الإمام محمّد الباقر عليه السلام في حقِّها عندما قال: «**إنَّ حبابة الوالبيَّة دعا لها عليُّ بن الحسين عليه السلام، فردَّ الله عليها شبابها، فأشار إليها بإصبعه فحاضت لوقتها، ولها يومئذٍ مئة سنةٍ وثلاث عشرة سنة**»[2].

---

(١) بصائر الدرجات/ الصفّار: ٢٩١/ الباب ٣ في الأئمَّة عليهم السلام أنَّهم يحيون الموتىٰ ويُبرؤون الأكمه والأبرص بإذن الله/ ح ٦، عنه: بحار الأنوار/ المجلسي ٤٤: ١٨٠/ باب ٢٥/ ح ١؛ دلائل الإمامة/ الطبريّ الإمامي: ١٨٧/ ح ١٠٦.

(٢) كمال الدين وتمام النعمة/ الصدوق: ٥٣٧/ الباب ٤٩ في سياق حديث حبابة الوالبيَّة/ ح ٢.

هـذه هـي حبابـة الوالبيَّـة، تُوثَّـق مـن إمـامٍ معصـوم، فـلا يوجَـد أكثر من هذا التوثيق في حقِّها.

وقـد اختلـف الرجـاليّون في صـاحبة الحصـاة _ كـما أشرنـا _ بـين ثـلاث نسـاءٍ لُقِّـبن بهـذا اللقـب، وهُـنَّ: حبابـة الوالبيـة أُمّ النـدىٰ، وأُمّ غـانم، وأُمّ سـليم التـي طبـع لهـا رسـول الله ﷺ وأمـير المـؤمنين عليه السلام، كما قال أبو عبد الله بن عيّاش[1].

ولـولا أنَّ المـوت كـان عـلىٰ حبابـة الوالبيَّـة حـتماً مقضـيَّاً لَواصـلت عطاءهـا إلىٰ آخِـر إمـام، وهـو المهـديّ المنتظـر عليه السلام، وكـان لهـا ذلـك عنـدما بشَّـرها أمـير المـؤمنين عليه السلام إذ قـال: «**وأنـا مُبشِّـرُكِ بأنَّـكِ مـن المكرورات مـن المؤمنـات مـع المهـديِّ مـن ذرّيتـي إذا أظهـر الله أمـره**»[2]، ولا يُلقّاهـا إلَّا ذو حـظٍّ عظـيم، فهنيئـاً لـكِ البشـرىٰ أيَّتهـا المباركـة الوالبيَّة.

روايتها للحديث:

نتيجـةً لمعـاصرة حبابـة الوالبيَّـة لـثمانٍ مـن الأئمَّـة عليهم السلام ومصـاحبتها لهـم، أصـبحَت واحـدةً مـن راويـاتهم الثقـات عـلىٰ ألسـنة أرباب الرجال، موثَّقةً وممدوحةً بأجلىٰ عبارات التوثيق:

ذكرهـا البرقـيُّ ممَّـن روىٰ مـن النسـاء عـن الحسـن بـن عـليّ وأبي جعفر وأبي عبد الله عليهم السلام[3].

---

(١) أعيان الشيعة/ السيِّد محسن الأمين ٤: ٣٨٣.

(٢) مدينة المعاجز/ السيِّد هاشم البحراني ٢: ١٩١.

(٣) الرجال/ البرقي: ٦١.

وقال ابن داود: إنَّها ممدوحة[١].

وقال في (التحرير الطاووسي): إنَّها روت عن الحسين بن علي عليه السلام[٢].

وكذلك التفريشيّ في (نقد الرجال)، وذكر أنَّها مِنْ أصحاب الباقر عليه السلام[٣].

وقال (جامع الرواة): إنَّها روت عن الحسن والحسين عليهما السلام، علىٰ ما قال سعد بن عبد الله[٤].

وكذلك فعل في (منتهىٰ المقال)، ذكر أنَّها روت عن الحسن والحسين عليهما السلام، علىٰ ما قاله سعد بن عبد الله[٥].

وذكرها الشيخ الطوسيّ في الأبواب من (رجاله) أنَّها من أصحاب الصادق عليه السلام[٦].

أمَّا السيِّد الخوئيّ في (معجم رجاله) فقد ذكر أنَّها أُمّ البراء، وقيل: هي حبابة الوالبيَّة، ذكرها الشيخ في (رجاله) من أصحاب عليّ بن الحسين عليه السلام، وعدَّها البرقيُّ من أصحاب السجّاد عليه السلام[٧].

ويُسْتدَلُّ من استقراء رواياتها وتتبّعها أنَّها روت عن: أمير المؤمنين عليه السلام، وعن الحسن المجتبىٰ عليه السلام، وعن الحسين عليه السلام،

---

(١) شُعَب المقال في درجات الرجال/ النراقي: ٢٥٤.

(٢) التحرير الطاووسي/ الحسن بن زين الدين: ١٨١.

(٣) نقد الرجال/ التفريشي ٥: ٣٠٥.

(٤) جامع الرواة/ الأردبيلي ٢: ٤٥٨.

(٥) منتهىٰ المقال في أحوال الرجال/ المازندراني ٧: ٤٦١.

(٦) الأبواب (رجال الطوسي): ١٥٣.

(٧) معجم رجال الحديث/ الخوئي ٢٤: ١٩٩.

وعن السجّاد عليه السلام، وعن الباقر عليه السلام، وعن الصادق عليه السلام، وعن الرضا عليه السلام، فهي مُصاحبةٌ لهم وراويةٌ عنهم، ولكنَّ كتب الرجال لم تستوفِ حقَّها فيمن روىٰ عن الأئمَّة. وسنُورد بعض رواياتها التي تُثبتُ أنَّها ثقة، وثَّقوها بذكرهم إيّاها بالتقوىٰ والصلاح والعلم والعبادة، وأنَّها ممَّن يتحمَّل رواياتهم.

رواية حبابة عن أمير المؤمنين عليه السلام:

١ ـ حدَّثنا عليّ بن أحمد الدقّاق، قال: حدَّثنا محمّد بن يعقوب، قال: حدَّثنا عليّ بن محمّد، عن أبي عليّ محمّد بن إسماعيل بن موسىٰ بن جعفر، عن أحمد بن قاسم العِجليّ، عن أحمد بن يحيىٰ المعروف ببرد، عن محمّد بن خداهي، عن عبد الله بن أيّوب، عن عبد الله بن هِشام، عن عبد الكريم بن عمر الخثعمي، عن حبابة الوالبيَّة، قالت: رأيتُ أمير المؤمنين عليه السلام في شَرَطة الخميس، ومعه دِرَّةٌ[1] يضرب بها بيّاع الجِرّي والمارماهي والزمّار والطافي، ويقول لهم: «**يا بيّاعي مُسوخ بني إسرائيل وجُند بني مروان**»، فقام إليه فرات بن الأحنف فقال له: يا أمير المؤمنين، فما جند بني مروان؟ قالت: فقال له: «**أقوامٌ حلَقوا اللحاء وفتلوا الشوارب**». فلم أرَ ناطقاً أحسن نطقاً منه، ثمّ اتَّبعتُه فلم أزل أقفو أثره حتَّىٰ قعد في

(١) الدِّرَّة - بالكسر -: التي يُضرَب بها، والجمع: دِرَر، مثل: سِدرَة وسِدَر، ومنه الحديث: كان مع عليٍّ عليه السلام دِرَّةٌ لها سبّابتان، أي: طرفان، ومثله: كان عليٌّ عليه السلام كلّ بُكرةٍ يطوف في أسواق الكوفة سوقاً سوقاً، ومعه الدِّرّة علىٰ عاتقه. (مجمع البحرين/ الطريحي ٣: ٣٠١/ مادَّة دَرَر).

رحبة المسجد[1]، فقلتُ له: يا أمير المؤمنين، ما دلالة الإمامة؟ رحمك الله! فقال: «**ايتيني بتلك الحصاة**»، وأشار بيده إلىٰ حصاة، فأتيتُه بها، فطبع لي فيها بخاتَمه، ثمّ قال لي: «**يا حبابة، إذا ادَّعىٰ مُدَّعٍ الإمامة فقدر أن يطبع كما رأيتِ، فاعلمي أنَّه إمامٌ مفترَض الطاعة، والإمامُ لا يعزب عنه شيءٌ يريده**».

قالت: ثمّ انصرفت، حتَّىٰ قُبِضَ أمير المؤمنين عليه السلام فجئتُ إلىٰ الحسن عليه السلام وهو في مجلس أمير المؤمنين والناس يسألونه، فقال لي: «**يا حبابة الوالبيَّة**»، فقلت: نعم يا مولاي، فقال: «**هاتي ما معكِ**»، قلت: فأعطيتُه الحصاة، فطبع لي فيها كما طبع أميرُ المؤمنين عليه السلام. قالت: ثمّ أتيتُ الحسينَ عليه السلام وهو في مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله، فقرَّبَ ورَحَّب بي، ثمّ قال لي: «**إنَّ في الدلالة دليلاً علىٰ ما تريدين، أفتريدين دلالة الإمامة؟**»، فقلت: نعم يا سيِّدي، فقال: «**هاتي ما معكِ**»، فناولتُه الحصاة، فطبع لي فيها. قالت: ثمّ أتيتُ عليَّ بن الحسين عليه السلام، وقد بلغ بيَ الكبرُ إلىٰ أن أعييت، وأنا أعدُّ يومئذٍ مئةً وثلاث عشرة سنة، فرأيتُه راكعاً ساجداً مشغولاً بالعبادة، فيئستُ من الدلالة، فأومأ إليَّ بالسبّابة فعادَ إليَّ شبابي، قالت: فقلت: يا سيِّدي، كم مضىٰ من الدنيا وكم بقي؟ قال: «**أمَّا ما مضىٰ فنعم، وأمَّا ما بقي فلا**»، قالت: ثمّ قال لي: «**هاتي ما معكِ**»، فأعطيتُه الحصاة، فطبع لي فيها. ثمّ أتيتُ أبا جعفرٍ عليه السلام فطبع لي

(١) رَحبة المسجد - بالفتح -: الساحة المنبسطة. (مجمع البحرين/ الطريحي ٢: ٦٩/ مادَّة رَحَب).

فيها، ثمّ أتيتُ أبا عبد الله عليه السلام فطبع لي فيها، ثمّ أتيتُ أبا الحسن موسىٰ بن جعفر عليه السلام فطبع لي فيها، ثمّ أتيتُ الرضا عليه السلام فطبع لي فيها[1].

رواية حبابة عن الإمام الحسين عليه السلام:

٢ ـ العيّاشي: عن حبابة الوالبيَّة، قالت: سمعتُ الحسين بن عليٍّ عليه السلام يقول: «**ما أعلمُ أحداً علىٰ ملَّة إبراهيم إلَّا نحنُ وشيعتُنا**»[2].

٣ ـ محمّد بن مسعود، عن جعفر بن أحمد، عن العَمْرَكي، عن الحسن بن عليّ بن فضّال، عن ثعلبة بن ميمون، عن عَنبسة بن مصعب وعليّ بن مُغيرة، عن عِمران بن ميثم، قال: دخلتُ أنا وعباية الأسديّ علىٰ امرأةٍ من بني أسد يُقال لها: حبابة الوالبيَّة، فقال لها عباية: تدرين مَنْ هذا الشاب الذي معي؟ قالت: لا، قال: ابن أخيك ميثم، قالت: إي والله، إي والله، ثمّ قالت: ألَا أُحدِّثكم بحديثٍ سمعتُه من أبي عبد الله الحسين بن عليّ عليه السلام؟ قلنا: بلىٰ، قالت: سمعتُ الحسين بن عليٍّ عليه السلام يقول: «**نحن وشيعتُنا علىٰ الفطرة التي بعث الله عليها محمّداً صلى الله عليه وآله، وسائر الناس منها بُراء!**»[3].

---

(١) كمال الدين وتمام النعمة/ الصدوق: ٥٣٦ و٥٣٧/ الباب ٤٩ في سياق حديث حبابة الوالبيَّة/ ح ١.

(٢) تفسير العيّاشي ١: ١٨٥/ ح ٨٨.

(٣) أُنظر: المحاسن/ البرقي ١: ١٤٧/ الباب ١٦ ما علىٰ ملَّة إبراهيم غيركم/ ح ٥٤ و٥٥، عنه: بحار الأنوار ٦٥: ٨٧ و٨٨/ الباب ١٦ أنَّ الشيعة هم أهل دين الله وهم علىٰ دين أنبيائه وهم علىٰ الحقِّ ولا يُغفَر إلَّا لهم ولا يُقبَل إلَّا منهم/ ح ١٥ و١٦.

رواية حبابة عن الإمام السجّاد عليه السلام:

٤ ـ أبو الفضل الشَّيبانيّ في (أماليه)، وأبو إسعاف العدل الطبريّ في (مناقبه)، عن حبابة الوالبيَّة، قالت: دخلتُ علىٰ عليّ بن الحسين عليه السلام وكان بوجهي وَضَح، فوضع يده عليه فذهب. قالت: ثمّ قال: «**يا حبابة، ما علىٰ ملَّة إبراهيم غيرنا وغير شيعتنا، وسائرُ الناس منهم بُراء**»[1].

رواية حبابة عن الإمام الباقر عليه السلام:

٥ ـ عن الثُّماليِّ، قال: دخلَتْ حبابة الوالبيَّة علىٰ أبي جعفر عليه السلام، فقالت: أخبِرْني ـ يا ابن رسول الله ـ أيَّ شيءٍ كنتم في الأظلَّة؟ فقال عليه السلام: «**كنّا بين يدَي الله قبل خلق خلقه، فلمَّا خلق الخلقَ سبَّحنا فسبَّحوا، وهلَّلنا فهلَّلوا، وكبَّرنا فكبَّروا، وذلك قوله عزّ وجلّ: ﴿وَأَنْ لَوِ اسْتَقامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْناهُمْ ماءً غَدَقاً﴾**[2]»[3].

٦ ـ عن ظَريف بن ناصح وغيرِه ممَّن رواه، عن حبابة، قالت: قلتُ لأبي عبد الله عليه السلام: إنَّ لي أخاً، وهو يعرف فضلكم، وإنّي أُحِبُّ أن تُعلِمَني أمن شيعتكم؟ قال: «**وما اسمه؟**»، قالت: قلت: فلان بن فلان. قالت: فقال: «**يا فلانة، هاتي الناموس**»، فجاءَت بصحيفةٍ تحملها كبيرة، فنشَرها، ثمّ نظر فيها فقال: «**نعم، هو ذا اسمه واسم أبيه هاهنا**»[4].

---

(١) مناقب آل أبي طالب/ ابن شهر آشوب ٣: ٢٧٦/ باب إمامة عليّ بن الحسين عليه السلام.

(٢) الجنّ: ١٦.

(٣) بحار الأنوار/ المجلسي ٢٥: ٢٤/ الباب ١ بدو أرواحهم وأنوارهم وطينتهم عليهم السلام وأنَّهم من نورٍ واحد/ ح ٤٠.

(٤) بصائر الدرجات/ الصفّار: ١٩٠/ الباب ٣ ما عند الأئمَّة عليهم السلام من ديوان شيعتهم الذي ⇦

هذه بعض الروايات التي تدلُّ علىٰ أنَّ حبابة الوالبيَّة ممَّن روىٰ عن الأئمَّة عليهم السلام، بدءاً من أمير المؤمنين عليه السلام إلىٰ الإمام الثامن عليّ بن موسىٰ الرضا عليه السلام، كما أورده الرجاليّون في كتبهم وبأسانيد معتبرة تدلُّ علىٰ وثاقتها وصحَّة حديثها، واستند الفقهاء علىٰ هذه الروايات في كتب العقائد والكتب الفقهيَّة للاستدلال بما جاء فيها من مسائل إثبات الإمامة وبعض أبواب الفقه من الأطعمة والأشربة والأخلاق وغيرها.

فيا راوية الإمام الحسن المجتبىٰ عليه السلام! قد أدَّيتِ الأمانة لمولاكِ الحسن عليه السلام صابرةً مجتهدةً، لم تتوانَي عن نصرة سبط رسول الله صلى الله عليه وآله، فشرَّفكِ الله بالرواية عنه ونقلِ أحاديثه، ليُسجَّل اسمُكِ بأحرفٍ من نور في كتب السيرة الحسنيَّة الكريمة بأنَّكِ راوية الحسن عليه السلام، اجتباكِ لتكوني حاملةً لكلماته النورانيَّة وعبقاته المحمّديَّة، طبع علىٰ حصاتك خَتم الجنَّة، وعلىٰ قلبك الإيمان، لتقفي بين يدَي الله تعالىٰ في صفِّ أصحاب الحسن عليه السلام، متقلِّدةً وِسام الشرف، متحلِّيةً ببهاء العزِّ والكرامة، فطوبىٰ لكِ يا حَسَنيَّة وحسنُ مآب.

* * *

➪ أسماؤهم وأسماء آبائهم/ ح ١، عنه: بحار الأنوار/ المجلسي ٢٦: ١٢١/ الباب ٧/ ح ١٠، مدينة المعاجز/ السيِّد هاشم البحراني ٥: ٣٣٣/ ح ١٦٦٥، مكاتيب الرسول/ الأحمدي الميانجي ٢: ٢٩/ كتاب ديوان الشيعة/ ح ١٧.

السيّدة نفيسة بنت الحسن

ذرّيَّـةٌ بعضُـها مـن بعـض، وشـجرةٌ أوراقهـا تـأبىٰ الانـتماء لغيرهـا، أهـلُ بيـتٍ طُهِّـروا مـن الـرجس، ونـالوا الشـرف بالنسـب والسـبب، كُمِّـل النـاس وزينـة العبـاد، بهـم نظمـت الأُمـور وامتـدَّت الرسـالة، توارثوا العِـزَّة والشـرف والبهـاء كـابراً عـن كـابر، ومـا طلبـوا أجـراً إلَّا المـودَّة في القُربـىٰ.. قـال رسـول الله ﷺ: «**يـا عـلي، خُلِـقَ النـاس مِـنْ شجرٍ شتّىٰ، وخُلقـتُ أنـا وأنـت مـن شـجرةٍ واحـدةٍ، أنـا أصـلها، وأنـت فرعهـا، والحسـن والحسـين أغصـانها، وشـيعتنا أوراقهـا، فمَـنْ تعلَّـق بغصنٍ من أغصانها أدخله الله الجنَّة**»[1].

مـا أينـع ثـمار هـذه الشـجرة، ومـا أعظـم بركاتهـا، ومـا أورف ظلّهـا! ومـن ثـمار هـذه الشـجرة النبويَّـة العلويَّـة الحسـنيَّة السـيِّدة نفيسـة بنت الحسن الأنور بن زيـد الأبلـج بـن الحسـن السـبط عليه السلام بـن عـليّ بـن أبي طالب عليه السلام[2]، أُمُّها أُمّ ولد.

وُلِـدَتْ السـيِّدة نفيسـة عـام (١٤٥هـ) في مكّـة، ونشـأت في المدينة[3].

---

(١) عيون أخبار الرضا عليه السلام/ الصدوق: ٧٨/ ح ٣٤٠.

(٢) الأعلام/ الزركلي ٨: ٤٤.

(٣) المصدر السابق.

كان لوالدها الحسن بن زيد مكانة اجتماعيَّة رفيعة، تولّىٰ إمرة المدينة من قِبَل أبي جعفر المنصور عام (١٥٠هـ)، وكان حازماً شديداً في حدود الله، رؤوفاً بالناس، ذا شخصيَّةٍ مرموقةٍ ومحبوبة، مُستلهماً منهاج آبائه في الإحسان للرعيَّة، وهو سيماء وسمة أهل البيت عليهم السلام، امتداداً طبيعيَّاً وشرعيَّاً يُضفي روحانيَّةً علىٰ الملأ لتصفو نفوسهم ببركة أرواحهم الشريفة.

ومِنْ قَبل تبوَّأ والده زيد بن الحسن مكاناً سامياً في نفوس أتباعه، وكان جليل القدر، كريم الطبع، ظَلِفَ النفس[1]، كثير البِرِّ، كان يلي صدقات رسول الله صلى الله عليه وآله، مات وله تسعون سنة، ثمّ عزله سليمان بن عبد الملك عن الصدقات، ثمّ أعادها إليه عمر بن عبد العزيز، وكان رأيه التقيَّة[2].

تزوَّجها إسحاق بن جعفر الصادق عليه السلام، وكان يُلقَّب بإسحاق المؤتمَن، وهو من أهل الصلاح والخير والفضل والدِّين[3]، فتكون نفيسة ابنة عمٍّ له، وكان مِنْ رواة الحديث، ونُقِلَ عنه أحاديث عدَّة، فكانت نفيسة مُحاطةً بأجواء التبجيل والقدسيَّة، ترتوي من نبع آبائها مَعيناً صافياً لا لجة فيه، مستثمرةً قُربها من الإمام الحسن المجتبىٰ عليه السلام لبثِّ فضائل أهل البيت عليهم السلام ومناقبهم، مشعَّةً لعلومهم وآدابهم وأخلاقهم، مؤثِّرةً في نفوسٍ غيَّمَت عليها

(١) ظَلِفَ نفسَه عن الشيء يظلفها ظلفاً: منعها مِنْ أن تفعله أو تأتيه. (لسان العرب/ ابن منظور ٩: ٢٣١/ مادَّة ظَلَف).

(٢) أُنظُر: الإرشاد/ المفيد ٢: ٢٠ - ٢٣.

(٣) أعيان الشيعة/ السيِّد محسن الأمين ٣: ٢٦٨.

غمامةُ الضلال الأُمويّ والظلم العبّاسي، لتستنقذ قلوبهم من مهاوي الشرك والنفاق، مُذكِّرةً مَنْ حولها بعلم عليٍّ عليه السلام وعبادة فاطمة عليها السلام ومظلمة الحسنين عليهما السلام، تشقُّ لُجج بحار الغيِّ والخنوع لنفوس الحاقدين لعترة النبيِّ والمتربّصين للإسلام وأهله، تُقدِّم نفسها أُنموذج العزَّة الحسنيَّة، مؤجِّجةً روح الحماسة والبطولة، مؤطِّرةً حركتها بإطارٍ سجّاديٍّ بالدعاء والعبادة، قالبةً ظهر المجن علىٰ أعدائها.

نفيسة العالِمة:

كانت السيِّدة نفيسة حافظةً للقرآن الكريم، مُفسِّرةً لآياته، ضابطةً لأحكامه، مستنبطةً منه الحلال والحرام، مُستجلِيةً غوامضه، فكانت تُشَدُّ إليها الرحال مِنْ كلِّ مكانٍ للاستفادة منها ومن علوم أهل البيت عليهم السلام، متبحِّرةً في الحديث النبويّ، محدِّثةً عن آبائها، فاستقطبت طلَّاب العلم لِما وجدوا عندها مِنْ ملَكةٍ علميَّةٍ توحي وتُنبئُ عن أنَّها سليلة النبوَّة وبنت الإمامة.

ولم يقتصر فضلها وعلمها علىٰ أتباعها، بل امتدَّ ليشمل حتَّىٰ أصحاب المذاهب الأُخرىٰ؛ لعلمهم بنقاوة مصدرها وثباته، حتَّىٰ أنَّ الشافعيّ حضر عندها عندما دخل مصر وسمع منها الحديث، ولـمَّا تُوفّي أُدخلَت جنازته إليها فصلَّت عليه في دارها[1]، _ ولعلَّ صلاتها هي من باب التقيَّة _ لأنَّ بيتها كان محطّ أنظار العلماء من

(١) أُنظُر: مرآة الجنان وعَبرة اليقظان/ عبد الله بن سعد اليافعيّ المدني ٢: ٣٣/ سنة ثمانٍ ومئتين.

كلِّ المذاهب الإسلاميَّة. ولم تكن تبخل السيِّدة نفيسة بتقديم النصيحة والمعلومة لطالبها، فهي تُمثِّل سيرة أجدادها وما درج عليه آباؤها، فهم مرجعيَّة الناس في المهمّات والملمّات.

زهدها وعبادتها:

هي السيِّدة الطاهرة العابدة الراكعة الساجدة، تقوم ليلها وتصوم نهارها، مِنْ أهل التُّقىٰ والصلاح، دائمة البكاء من خشية الله، كثيرة التضرّع إلىٰ الله، وكانت قد حفرت قبرها بيدها، وصارت تنزل فيه وتُصلّي وتقرأ القرآن، وختمَت فيه ستَّة آلاف ختمة[1]، وحجَّت بيت الله الحرام ثلاثين حجَّة[2]، فكانت شديدة التعلّق بالله تعالىٰ، موجِّهةً لنا أروع صور التربية النفسيَّة والأخلاق وأدب العبادة.

كانت زاهدةً في معيشتها، لم تستعِنْ في معيشتها علىٰ خادمةٍ أو أَمَة، بل خدمَتها ابنةُ أخيها زينب بنت يحيىٰ بن الحسن في هجرتها إلىٰ مصر أربعين عاماً، لم ترَها إلَّا عابدةً آناء الليل وأطراف النهار، مؤثِرَةً بساطةَ العيش، عازفةً عن ملذّات الدنيا، منشغلةً بدِينها عن تُرّهات عالم المادَّة، مقدِّمةً لغة الروح علىٰ لغة الجسد، لم تأكل من غير زوجها شيئاً، ولا تأكل في كلِّ ثلاث ليالٍ إلَّا أكلةً واحدة. قالت زينب بنت يحيىٰ المتوَّج: خدمتُ عمَّتي نفيسة أربعين سنة، فما رأيتُها نامت الليل ولا أفطرت فيها، وقلتُ لها: أمَا ترفقين بنفسكِ؟!

(١) مُستدرَك سفينة البحار/ النمازي ١٠: ١٢١.
(٢) الأعلام/ الزركلي ٨: ٤٤.

فقالت: كيف أرفقُ بنفسي وقُدّامي عقباتٌ لا يقطعها إلَّا الفائزون[١]!؟

تبليغها الإسلامي:

كانت السيِّدة نفيسة من المُحسنات إلىٰ الفقراء والمرضىٰ من الناس، تقضي حوائجهم، وتعود مرضاهم، وتدافع عن مظلوميهم، فلمَّا ظَلَم أحمدُ بن طولون قبل أن يعدل، استغاث الناس من ظلمه وتوجَّهوا إلىٰ السيِّدة نفيسة يشكونه إليها، لمعرفتهم بشرفها وفضلها ومكانتها، فقالت لهم: متىٰ يركب؟ قالوا: في غد. فكتبت رقعةً ووقفَت بها في طريقه، وقالت: يا أحمد بن طولون! فلمَّا رآها عرفها، فترجَّل عن فرسه وأخذ منها الرقعة وقرأها، فإذا فيها: ملكتُم فأسرتُم، وقدرتُم فقهرتُم، وخلوتُم فعسفتُم، ورُدَّت إليكم الأرزاق فقطعتُم، هذا وقد علمتُم أنَّ سهام الأسحار نافذةٌ غير مخطئة، لاسيّما مِنْ قلوبٍ أوجعتموها وأكبادٍ جوَّعتموها وأجسادٍ عرَّيتموها، فمحال أن يموت المظلوم ويبقىٰ الظالم، اعملوا ما شئتُم فإنّا صابرون، وجوروا فإنّا بالله مستجيرون، واظلِموا فإنّا لله متظلِّمون، ﴿وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ﴾[٢]، فعدَلَ لوقته[٣].

تدلُّ هذه الرواية إلىٰ عظمة وكبرياء السيِّدة نفيسة بنت

(١) أعلام النساء المؤمنات/ محمّد الحسّون: ٧٦٧.
(٢) الشعراء: ٢٢٧.
(٣) أعلام النساء المؤمنات/ محمّد الحسّون: ٧٦٨.

الحسن، حيث إنَّ الظالم المتجبّر أحمد بن طولون يترجَّل مِنْ فرسه عند رؤيتها، ثمّ بكلماتٍ أوقعُ مِنْ لحظ السهام تقلب هذا الظالم إلىٰ حاكمٍ عادلٍ في رعيَّته، فهي ثورةٌ قامت بها السيِّدة نفيسة بإصلاح الحاكم، وبالتالي إصلاح المجتمع.. خطَّة هامَّة جدّاً في مسار التاريخ غيَّرت اتِّجاه أُمَّةٍ كاملةٍ من الظلم والضياع إلىٰ العدل والاستقامة، وما تغيُّر الحاكم بهذه الكلمات إلَّا انعكاس لشخصيَّة وروحانيَّة هذه السيِّدة العلويَّة، التي اتَّضحت معالم سيرتها العمليَّة بهذا الموقف الشجاع الذي لا يصدر إلَّا ممَّن كان له تسديدٌ إلهيٌّ، فهي عالمةٌ عاملةٌ عابدةٌ من جانب، ومبلِّغةٌ إسلاميَّة ومدافعةٌ عن الحقِّ من جانبٍ آخَر، عِرقٌ هاشميٌّ ينبض في صدور آل عليٍّ في مواجهة الظالمين وغاصبي الحقوق.

هجرتها من المدينة إلى مصر:

تبقىٰ هجرة السيِّدة نفيسة إلىٰ مصر من مدينة جدِّها رسول الله صلى الله عليه وآله ومكان نشأتها أمراً مجهول الأسباب لم يُصرِّح به التاريخ، وربَّما كان بسبب الاضطهاد الذي مارسه الأُمويّون والعبّاسيّون علىٰ آل عليٍّ وشيعتهم، فحاولوا كسر هذا الحصار الفكريّ والايديولوجي بالهجرة إلىٰ باقي البلاد الإسلاميَّة، ليبدؤوا مرحلةً جديدةً في نشر الفكر المحمّديّ والإسلام الصحيح، الذي حاول تشويهه ملوك الظلال.

ويبدو أنَّ أهل مصر كانوا مِنْ مُريدي أهل البيت عليهم السلام،

فكان لحضورها عندهم حظوةٌ كبيرةٌ ومقامٌ محمودٌ، فعاملوها بإجلالٍ واحترامٍ شديدَين، سواء عامَّة الناس أم أُمراؤهم.

وقيل: إنَّ سبب هجرتها إلىٰ مصر هو دخولها مع أبيها الحسن بن زيد. وهو بعيد!

بعد عزل أبيها عن ولاية المدينة وسجنه لمدَّةٍ من الزمن، وبسبب توجُّس الأُمويّين والعبّاسيّين من أهل هذا البيت الذي كان يحول دون تسلّمهم للمناصب، خشية الانقلاب عليهم وتأجيج الناس ضدّهم، هاجرت مع زوجها إسحاق بن جعفر الصادق عليه السلام وبنتِ أخيها زينب بنت يحيىٰ، محمَّلين بهمومهم بعد ترك ديارهم وأهلهم وأحبّائهم، مودِّعين قبر رسول الله صلى الله عليه وآله والإمام الحسن عليه السلام بلوعةٍ وألم، يعتصرهم حزن الفراق عن مضارب الهاشميّين، لكنَّ القدَر له حكمته، ولله تعالىٰ مقادير العباد، فهي هجرةٌ في سبيل الله، وليس طلباً لشهرة أو مال، بل تكليفٌ شرعيٌّ اقتضىٰ أن تترك السيِّدة نفيسة المدينة والسفر إلىٰ مصر.

وداعها الدنيا:

بعد رحلةٍ طويلةٍ قضَتها السيِّدة نفيسة في العبادة والعلم والتبليغ والتقرّب إلىٰ الله تعالىٰ، مرضت السيِّدة مرضاً شديداً، فكتبت إلىٰ زوجها إسحاق المؤتمن كتاباً _ ممَّا يظهر أنَّه كان مسافراً _، وحفرت قبرها بيدها، وصارت تنزل فيه وتُصلّي وتقرأ القرآن، فماتت في شهر رمضان عام (٢٠٨هـ)[1]، وكانت صائمة،

(١) الأعلام/ الزركلي ٨: ٤٤.

فألزموها الإفطار، فقالت: وا عجباً، إنّي منذ ثلاثين سنةً أسأل الله تعالىٰ أن ألقاه وأنا صائمة، وأفطر الآن؟! هذا لا يكون! ثمّ قرأت سورة الأنعام، فلمَّا وصلَت إلىٰ قوله تعالىٰ: ﴿**لَهُمْ دارُ السَّلامِ عِنْدَ رَبِّهِمْ**﴾[1] ماتت، فقام زوجها إسحاق بتجهيزها والصلاة عليها، ثمّ عزم علىٰ حملها إلىٰ المدينة لدفنها عند جدِّها الإمام الحسن عليه السلام في البقيع، لكنَّ تعلّق أهل مصر واعتقادهم بها طلبوا منه إبقاءها ودفنها عندهم للتبرّك بها، وبذلوا له مالاً كثيراً فلم يرضَ، فرأىٰ النبيَّ صلى الله عليه وآله فقال له: «**يا إسحاق، لا تُعارِض أهل مصر في نفيسة؛ فإنَّ الرحمة تنزل عليهم ببركتها**». فردَّها ودفنها في البيت الذي كانت تسكنه في محلَّةٍ تُسمّىٰ: درب السباع[2].

ولأهل مصر اعتقادٌ كبير بها، وبظهور الكرامات العديدة لها في شفاء المرضىٰ أصبح قبرها مزاراً لأهل مصر. يقول اليافعي: وقد قصدتُ مشهدها، فوجدت عندها عالَماً من الرجال والنسوان والصحاح والعميان[3]. فالكلُّ له حاجة يطلبها من الله تعالىٰ ببركة السيِّدة نفيسة.

لاقت ربَّها مجتهدةً في العبادة، مخالِفةً لهواها، عالمةً بالقرآن ومعلَّمةً به، مجلَّلةً بالعزِّ والفخار، لتجاور في جنان الخُلد جدّها رسول الله صلى الله عليه وآله وأباها الحسن المجتبىٰ عليه السلام، ثمرةً طيِّبةً من فرع الحسن عليه السلام، لتمتدّ فروعه الحسنيَّة مُثمرةً بالعطاء المحمّديّ

---

(١) الأنعام: ١٢٧.

(٢) أُنظر: مُستدرَك سفينة البحار/ النمازي ١٠: ١٢٠ و١٢١/ النفيسة الثالثة.

(٣) مرآة الجنان وعبرة اليقظان/ اليافعي ٢: ٣٣.

الأصيل، مُشرقةً بأنوار الهداية، ذرّيةً طيِّبةً مباركةً من ريحانة الرسول وسبطه الأوَّل.

* * *

محتويات الكتاب

مقدّمة المركز..... ٣
الإهداء..... ٥
المقدّمة..... ٧
تمهيد..... ٩
الصدّيقة الطاهرة فاطمة الزهراء عليها السلام..... **١٣**
فاطمة عليها السلام أُمّ أبيها..... ١٣
أنوار الزهراء عليها السلام..... ١٥
تسبيح فاطمة عليها السلام..... ١٧
البيت الفاطمي..... ١٩
الأُمّ وابنها..... ٢١
وقد حان الفراق..... ٢٥
محطّاتٌ في حياة الحسن عليه السلام مع فاطمة عليها السلام..... ٢٦
آية التطهير..... ٢٧
آية المباهلة..... ٣٢
آية المودَّة..... ٣٦
استجلاء معنىٰ الآيات..... ٣٩
زينب الكبرىٰ بنت عليّ عليها السلام..... **٤١**

ولادتها المباركة ٤١
نشأتها ٤٣
شخصيّتها ٤٥
زواجها من عبد الله بن جعفر ٤٧
الأُخت وأخوها ٤٩
إكمال المسيرة الحسينيَّة ٥٣
وفاتها ٥٦
هند بنت أبي أُميَّة (أمّ سَلَمة) ٦١
نسبها ٦١
زواجها من رسول الله صلى الله عليه وآله ٦٢
روايتها للحديث وتوثيقها ٦٣
أُمُّ سَلَمة تشهد الوصيَّة لأمير المؤمنين عليه السلام ٦٣
آية التطهير وحديث الكساء ٦٨
وفاتها ٧٣
أسماء بنت عُمَيس ٧٥
سيرة السيّدة أسماء ٧٥
توثيقها ٧٦
مكانتها ٧٦
مع عليّ وبنيه عليهم السلام ٧٩
أسماء مؤنسة فاطمة عليها السلام ٨٤
روايتها ٨٧

فضَّة النوبيَّة (جارية الزهراء عليها السلام) **٩٣**
فضَّة إرث فاطمة عليها السلام ١٠٠
مع سيِّدها الإمام الحسن عليه السلام ١٠١
الملامح الشخصيَّة للسيِّدة فضَّة ١٠١
أُمُّ رِعْلة القُشَيريَّة **١٠٧**
سيرتها العلميَّة..... ١٠٧
سيرتها العقائديَّة..... ١٠٩
أُمُّ رِعْلة والإمام الحسن عليه السلام ١١١
السيِّدة فاطمة بنت حزام **١١٣**
اقترانها بالإمامة..... ١١٣
راعية السبطَين..... ١١٦
أُمُّ البنين عليها السلام والحسن عليه السلام..... ١١٧
أُمُّ البنين عليها السلام والحسين عليه السلام ١٢٠
وفاة السيِّدة أُمِّ البنين عليها السلام ١٢٢
أُمُّ بشر بنت أبي مسعود الأنصاريَّة **١٢٥**
رملة أُمُّ القاسم عليه السلام **١٢٩**
خَولة بنت منظور بن زبان الفزاريَّة **١٣٥**
أُمُّ إسحاق بنت طلحة **١٤١**
فاطمة بنت الإمام الحسن المجتبىٰ عليه السلام **١٤٥**
السيرة المباركة..... ١٤٥
روايتها عن أبيها الإمام الحسن عليه السلام ١٤٧

جوانب من شخصيّتها ومسيرتها..... ١٤٨
أُمُّ أسلم صاحبة الحصاة ١٥١
أُمُّ أسلم.. العالِمة..... ١٥١
استدراك..... ١٥٩
حَبابة الوالبيَّة ١٦٥
مع أمير المؤمنين عليه السلام..... ١٦٦
مع الإمام الحسن عليه السلام..... ١٦٦
مع الإمام الحسين عليه السلام..... ١٦٧
مع الإمام عليّ بن الحسين عليه السلام ١٦٩
مع الإمام الباقر عليه السلام..... ١٧٠
مع الإمام الصادق عليه السلام ١٧١
مع الإمام الكاظم عليه السلام..... ١٧٤
مع الإمام الرضا عليه السلام ١٧٥
شخصيَّة حبابة الوالبيَّة وسيرتها..... ١٧٩
روايتها للحديث..... ١٨١
رواية حبابة عن أمير المؤمنين عليه السلام..... ١٨٣
رواية حبابة عن الإمام الحسين عليه السلام ١٨٥
رواية حبابة عن الإمام السجّاد عليه السلام..... ١٨٦
رواية حبابة عن الإمام الباقر عليه السلام ١٨٦
السيّدة نفيسة بنت الحسن ١٨٩
نفيسة العالِمة..... ١٩١

زهدها وعبادتها ١٩٢
تبليغها الإسلامي..... ١٩٣
هجرتها من المدينة إلىٰ مصر ١٩٤
وداعها الدنيا..... ١٩٥
محتويات الكتاب ١٩٩

* * *